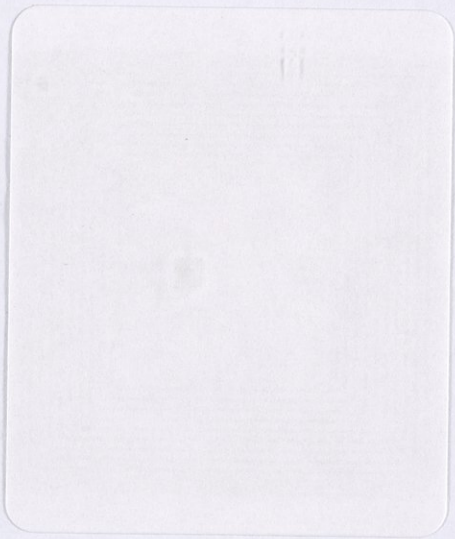


AMERICAN UNIV. IN CAIRO LIBRARY  
  
3 8534 01580 8896



  
D  
91  
.E  
19





2017

Handwritten text in Arabic script, including the words "بسم الله الرحمن الرحيم" (Bismillah) and "الحمد لله رب العالمين" (Alhamdulillah).

هدية الوخلص والولاء والمجبة والوفاء  
 الى رب العالمين حفرة القائل الاديبي  
 صاحب السعادة احمد شفيق باشا  
 من المخلصين

محمد الحسيني  
 البتوني

Handwritten text on the left edge of the page, partially obscured by the binding.

Handwritten text in Urdu script, located in the upper right quadrant of the page. The text is faint and appears to be bleed-through from the reverse side of the paper.

Handwritten text on the white strip on the right edge of the page, possibly a date or page number.

D  
919  
B37X  
1901



رحلة الصيف

في أوروبا

بقلم

محمد البديوي

حقوق الطبع محفوظة

{ الطبعة الاولى } \*

( طبعت بمطبعة اللواء عام ١٩٠١ )



إهداء الكتاب

إلى وليّ النعم الأكرم خديو مصر المعظم

سيدي ومولاي

لما كانت رحلة صيفي الماضي أثراً من آلاء جنابك الفخيم . ونهلة من  
فيض كرمك العميم . رأيت قياماً بواجب هذه النعمة أن أمثل صورتها في  
هذا السفر الذي أتشرف اليوم برفعه بيد الشكران والامتنان إلى مقام  
عظمتكم السامي عساه يسعد معي بنعمة القبول .

واني لأضرع إلى الله تعالى بحفظ هذه الذات العالية الفخيمة والأنجال  
الكرام ذخراً للبلاد والعباد آمين و

العبد الخاضع

محمد لبيب البتنوني



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أسرى بعبدته . والصلاة والسلام على سيدنا محمد خير من  
قام بشكره وحمده . وعلى آله وصحبه . وحزبه وجنده  
﴿وبعد﴾ فقد نالتني عناية سيدي ومولاي خديومصر الانخم أفندينا ﴿عباس  
حلمى الثانى﴾ حفظه الله بصدور نطقة السامى بتشريفى وإسعادى بالسفر الى  
الاقطار الاوروبية ضمن رجال حاشيته الكرام فى آخر صيف القرن التاسع  
عشر وهى أقصى ما يفضل به المولى على المخلصين من عبيده لسدته العلية .  
فيممنا صوبها وقد كانت طالما تتوق اليها نفسى للوقوف على أحوال تلك الامم  
الحية التى كثيرا كان ذكرى أعمالها وأحوالها يتشرف بها سمعى ويشتاق  
الى مشاهدة أعيانها بصرى . فزرت فى معيته السنية كثيرا من عواصمها وبلدانها  
واقطارها وأمصارها واستمحت الاذن الكريم . فى مشاهدتى بعض الجهات  
التى لم يقصدها جنابه الفخيم . فى هذه السنة مما درسته حق دراسته على ماسمح  
لى به ضعفى وزمنى القليل .

وأردت قياما بواجب هذه النعمة العظمى أن لأحرم قومى من أثرها  
حتى تكون الفائدة عامة والمنفعة شاملة وحررت بقلمى العاجز رسالاتى التى

كنت أبعث إليهم بها من أقطارها مما ذكر في جريدة «الموسوعات» الغراء في حينه. ورأيت من كمال الفائدة أني لا أقتصر فيها على شرح ما شاهدته من الماديات بل سموت الى البحث فيما مكنتني فيه فرصتي القصيرة عن تلك المعاني التي صعدت بالقوم الى مراتبهم القصوى مما استنبطته من خلالهم وأحوالهم وعوائدهم وطبائعهم وأعمالهم وقارنت بين ما كنت أنظره من كمال فيهم ونقص عندنا مراعيًا في ذلك التحقيق والتدقيق حتى اذا عرفنا الصفتين. ووقفنا على الطرفين. وتحققنا من نهايتي الطرفين. نزعنا عما نحن فيه الى الطريقة المثلى التي انما بها تتم الصالحات وتكون من ورائها السعادة الابدية. والحياة الحقيقية. ثم أردت جمعها بعد ما أضفت عليها ما لم أبعث به إليهم من رسالتي الاخيرة وطبعها في هذه الورقات واهداء نسخها الى الجمعية الخيرية الاسلامية راجياً بها المنفعة العامة وعلى الله القبول



الرسالة الأولى

﴿ على ظهر البحر من الاسكندرية الى ترليستا ﴾

بارحنا الاسكندرية مساء يوم السبت (الموافق ٢ يونيو سنة ١٩٠٠)  
وسارت بنا المركب نحو الشمال الغربي باسم الله مجراها ونحن وهي بين  
صفحتي الماء والهواء. وان شئت فقل السماء. وكان الوقت صافياً. والجو هادئاً.  
وما أصبح الصباح حتى رأينا البحر كأنه المرآة في صفائه. أو الصاحب الامين  
في ولائه ووفائه. لا يمكن للواصف أن يقول عنه سوى انه سهل من زجاج  
تبعث اليه الشمس بأشعتها فتنعكس على الفضاء بأنوارها الزاهية الباهرة  
وكأنما نحن جلوس على بساط فرش عليه لاتهننا غير ذكرى الوطن  
العزير. ولا يستوقف نظرنا في هذه الصحراء البلورية الا هذا الأفق الذي  
يحد أبصارنا بدائرة من ألوان الطيف تجعل النظر في دهشة من منظرها  
اللطيف الذي انما رسمته يد الطبيعة القادرة. وكأننا نحن مركز لهذه  
الدائرة. كلما سرنا. وحيث اقتنا. لاتربطنا بها سوى أشعة أبصارنا التي اذا  
وصلت اليها وأرادت أن تتجاوز حدودها انقلبت على أعقابها كأنما تجد هناك  
من يقول لها: الى هنا حدك. ومنتهى جهدك. فارجمي بسلام فانك لن تبغى  
ما وراء الطبيعة

وما زال بنا المسير حتى مررنا غرب جزيرة «جريد» وهي تبعد عن  
الاسكندرية بنحو مائتي ميل وهذه الجهة منها عبارة عن سلسلة جبال شاهقة  
طولها نحو ١٢٥ ميلاً وفي مساء يوم الاثنين اقتربنا من «نافارين» وهي قرية  
في الجنوب الغربي من جزيرة «موره» فهاج علينا البحر وأرسلت الينا

الامواج من جهة البر تتلوها الامواج وقد نثرت عليها ثريات من اللآلى فتخيل  
لى انما هي عبرات اخواننا المصريين بل العثمانيين الذين قضوا بميناها بيد الظلم  
والعدوان (١) بعد ما أبلوا بها بلاء حسنا فى حرب مورده سنة ١٢٤٢ هجرية  
وتصورت أن سبب هياج البحر هى تلكم الزفرات التى تصاعدت من أنفاسهم  
عند رؤيتهم لنا فاضطرب منها الماء . وانطبعت صورته فى مرآة الجوف فتغير لها وجه  
السماء . وأرسلوا الامواج سفراء بيننا وبينهم ليشكوا الينا أمرهم من جهة  
ولكيلا يسمعوا عن الوطن حديثا ربما تراح له ضمائرهم وتنتعش به أرواحهم .

(١) قامت ثورة فى مورده فارسى السلطان محمود رسالة الى العزيز جتتمكان  
محمد على باشا والى مصر يستنجد به فيها بتخليص أسطوله الذى كان أنفذه اليها حيث حوصر  
على حدود البانيا فارسى الوالى صهره محرم بك محافظ الاسكندرية فى ٢٤ رمضان  
سنة ١٢٣٦ مع ١٤ سفينة حربية فلما وصل الى جريد تلاقى بسبع عشرة سفينة رومية  
تطارده سفينة عثمانية تجارية فهجم عليها وأسر منها ثلاث سفن وهرب الباقي ثم اتبعه محمد  
على باشا باسطول آخر مؤلف من ١٨ سفينة تحت قيادة طبوز اوغلى محمد آغا وأمره  
بالانضمام هو ومحرم بك الى الاسطول العثمانى الذى كان تحت قيادة مختار بك فكان ذلك  
وساروا جميعاً وخلصوا الدونما العثمانية المحصورة ثم رجعت الدونما المصرية الى الاسكندرية  
لتصليح ماتلف منها سنة ٣٨ وفى سنة ٣٩ صدر فرمان سلطاني بتعيين ابراهيم باشا ابن  
محمد على والى جريد ومورده وطلب السلطان من محمد على باشا والىها مجدة مصرية للمساعدة  
على حرب اليونان وقام الاسطول العثمانى الى الاسكندرية وانضم الى الدونما المصرية وكان  
عدد مرابها ٩٩ سفينة بين حربية وثقلية وكان عليها ١٧٠٠ عسكرى بيادة و ٧٠٠  
سوارى وأربع بطاريات طوبجية وأقلعت منها جميعاً فوصلت مورده سنة ١٢٤٠ وأخضع  
ابراهيم باشا الثورة فى سنة ٤٢ ثم ذهب الاسطول وكان فيه ٥٣ مركبا حربية بين  
عثمانية ومصرية عليها ١٥٨٨ مدفعا الى مينا نافرين فتبعته الدونما الانكليزية والفرنساوية  
والروسية وكانت تتركب من ٢٦ سفينة حربية تحمل ١٢٦٦ مدفعا ودخلت خليج نافرين  
بدون اظهار عداء للدونما العثمانية وأخذتها على غرة ودمرتها تدميرا وكان ذلك باتفاق فيما بين  
دولهم خلد لها نقطة سوداء فى التاريخ

فانعطفنا الى هذا المكان بحكم العاطفة الجنسية والجاذبة القومية لنقضى بها ليلة استثناسا بهذا العظم الرميم . بل بذلك العظم المقيم . بل استندكارا لما كان لمصر والدولة . من المجد والقوة والصولة .

وبينما أنا غارق في فكرة ما كان لنا من عز قديم وملك نخيم باحثان سبب هذا الانقلاب الذي يدهش أولى الالباب اذ تخيل لي أني بين أولئك الغرقى من مصريين وثمانيين ورأيت من بينهم رجلا ذا أبهة وجلال تلوح على هيئته المهابة وعلى سياه الوقار وقد أحنى برأسه الى ما كاد يلصقها بالارض خجلا . فقلت في نفسي لعله رئيسهم فابتدرته بقولى السلام عليك أيها الشهيد . فرفع الى بصره وسلم وقال لا تقل الشهيد بل البليد . فقلت ولماذا وقد عمات كل ما يمكن عمله فى الذود عن الدولة والملة وكيف وقد حاربت حرب الابطال . واستشهدت بيد الغدر لا بميدان النزال . حتى كان يقال انك مغلوب وذاك غالب . فقال نعم ولكننا معشر الشرقيين ترانا بين نقطتى التفريط والافراط لانترك النقطة الاولى الا لناخذ بأطراف الثانية واليك البرهان :

فرطنا أولا فى البعد عن الغربيين حتى صرنا لاندرى ماذا يصنعون . وفى أى طريق من التقدم هم سائرون . فانهزوا فرصة نومنا عنهم وجهلنا بشؤونهم فجدوا واجتهدوا وتعلموا وعلموا وتفننوا واخترعوا حتى ترقى علومهم وصناعاتهم وتقدموا ونحن نحن على ما كنا عليه من الدعة والسكون .

ارتكنا على قوانا العقلية والمادية فقرطنا فيما تنمو به فكان من وراء ذلك هذا التأخر بل التقهقر . وبعد أن كانوا يأخذون عنا علومنا وصنائعنا أصبحنا نأخذها عنهم بأموالنا والكد والعناء . وقد عرفوا منا موضع الضعف فقصدوه بيد العداء حيث لا قوة ولا حول . لانا تحاسدنا فتباغضنا وتنازعنا فتقاطعنا

وأصبحنا وليس لنا ثقة بأنفسنا وأفرطنا في وضع ثقتنا بالأجنبي ولولا حسن  
ظننا بأولئك الذين غدرونا كما تقول لما كانوا وصلوا الى الايقاع بنا . وهذا ولا  
شك غاية في البلادة والجبن وضعف في العزيمة .  
فوخزني هذا الكلام . بسهام الآلام . وانتهت وكأني كنت في منام .

﴿ وصف نافارين ﴾

هذه القرية على الشاطئ الجنوبي من جزيرة مورده وكانت وقتها شبه  
جزيرة فلما قطع برزخ كورنت واتصل بحر اليونان وهو الارخبيل بمياه البحر  
الادرياتيكي صارت جزيرة (ويسمى الآن قنال كورنت وطوله خمسة أميال  
بحرية وعرضه ثلاثون متراً تقريباً)

وهذه القرية على منحدر جبل عدت بها بواسطة المنظار ١٢٠ بيتاً بعضها ذودورين  
والاغلب بدور واحد أرضي . وكلها صغيرة الحجم ليس بأكبرها غير صالون  
وأربع أود . ووجهة أبنيتها على البحر وهي من الحجر وموشاة كلها بالجير  
وهي تقرب من الطراز الشرقي لو لأن سقوفها منحدره من جوانبها الاربعة  
وبكل أودة منها شبك أشبه شئ بالشبايك الشمسية ومنازلها في الغالب  
يحيط بها غياض صغيرة بها بعض شجر الفاكهة والسرو والجازارونيا ولها  
ميناء ورصيف ترسو عليه المراكب الصغيرة يبلغ طوله نحو مائة متر  
ومن ورائه دار للحاكم وهي عبارة عن بعض أود صغيرة أمامها بواك يرتفع  
عنها الدور الثاني . وبها قلعة صغيرة داخل سورها نحو ثمانية مساكن تتخللها  
الاشجار وهي واقعة شرق البلدة . تبعد عنها قليلاً وبوسط القرية كنيسة صغيرة  
وقد شاهدنا فلوكة واحدة في مينائها التي تبعد بمسافة ٤٥ ساعة من الاسكندرية

على سير متوسطه ١١ ميلا ونصفا في كل ساعة  
وهذه الميناء رسم عليها الجبل من جهة الجنوب قوسا منه بمحيطه فوجتان  
الاولى بجوار الشاطئ وهي محل مرور المراكب والثانية صغيرة وقد اكلتها  
أفواه الامواج ولما تركناها الى سواح البحر حجب هذا اللسان عنا منظر  
القرية ولكننا شاهدنا به منارات نقرتها يد المياه لتأوي اليها الامواج من شر  
الامواج

### ﴿ جزيرة زنتا ﴾

ثم اتبعنا سيرنا حتى وصلنا الى جزيرة « زنتا » وهي في الشمال الغربي من  
جزيرة « مور » وتبعد عنها بمسافة ١٢ ميلا فسرنا شرقها ولم نرم منها غير هذه  
الجبال الشاهقة التي تكسوها الطبيعة بهذا الرذا السندسي العجيب الذي يقف  
عنده البصر حائراً ويرجع عنه وهو أكثر حيرة . فقطعنا طولها الذي يبلغ  
نحو ٢٠ ميلا في ساعتين تقريبا وأنا في غاية الدهشة وليعذرني القارئ فإنه  
أول منظر طبيعي وقع عليه بصري من أمثاله . ووسط جبال هذه الجزيرة  
قمة عالية خيم عليها الضباب حتى وصلها بالسحاب الذي هو سماؤنا منذ تركنا  
« جريد » . وعلى منحدرات هذه الجبال أشجار النخلة وكروم العنب وعنبها  
من أجود شيء في نوعه وله شهرة فائقة وتتصدر منها القواكه والخضراوات  
الى أوروبا . ومن معادنها غاز البترول والكبريت وعدد سكان هذه الجزيرة  
يبلغ ٤٦ ألف نفس وهي تابعة لبلاد اليونان وكانت أولاً للانكليز فأهدتها اليها  
بعد استقلالها وعاصمة هذه الجزيرة هي مدينة زنت وعدد سكانها  
١٨ ألف نفس

﴿ جزيرة كفالونيا ﴾

ثم وصلنا الى جزيرة كفالونيا في الساعة الاولى بعد الظهر وسرنا شرفيها وهي جزيرة عظيمة يونانية يحيط بها جبال شاهقة تكسوها الطبيعة حلة خضراء ذات منظر بهيج وهي أكبر من جزيرة زنتا بمثلها تقريباً ولقد رأينا على منحدرات جبالها مزارع وغابات من أشجار الفاكهة والسرو والزيتون وترتفع من أعلى جبالها قمة تمتد الى السماء على شكل هرمي تقريباً قد أحاط بها ضباب كثيف حتى يتخيل للرائي انه دخان يخرج من فوهة بركان ( جبل النار ) وهذه الجزيرة على مسافة ثمانية أميال من شمال « زنتا » وبينها وبين رأس « بتراس » الذي هو في الشمال الغربي من جزيرة مورده ثلاثون ميلاً وطولها ٢٨ ميلاً وبالقرب من منتصفها تري الجبل قد انشق الى الارض فيكون مدخلا الى واد كبير كائن أسفل منحدرات جبال تحيط به. وتري بهذا الوادي عدة بيوت على الطراز المتقدم تقرب من بعضها وأخرى بعيدة عنها تكتنفها الأشجار ومن وراء ذلك غابات من شجر الفاكهة تصعد مع منحدرات هذه الجبال الى أعلاها وبين هذي وتلك مزارع القوم قد جهزت فوق منحدر هذي الصخور وهي محدودة بفواصل من جسم الجبل تشير الى نصيب كل منها. وهي أكبر الجزائر اليونانية وعددها هله فوق الثمانين الفاً وأرضها خصبة الا انها مهملة وعينها من احسن عنب الدنيا وكذلك تفاحها وهو مايسمونه بالعنب والتفاح المسكات

﴿ جزيرة أثاكا ﴾

وفي الساعة الثانية بعد الظهر وصلنا الى جزيرة أثاكا وطولها ١٣ ميلاً وعدد أهلها



٢٠ الفاً وتبتديء عند منتصف جزيرة كفالونيا شمالاً وهما لليونان أهديتا اليها من  
الانكليز أيضاً مع سابقتهما ويفصلهما عن بعضهما قنال يسمى بقنال أثا كما عرضه  
ثلاثة أميال فمرربا به ورأينا ان الجزيرة الاخيرة كأنها هي جبل أشبه شئ بقبة  
هائلة تكسوها الاعشاب رداً أخضر نضيراً ويتخللها أشرطة غائرة في الصخور  
قد فرشت بالرمال الصفراء وهي من أثر السيول وعلى هذه القبة نباتات لها زهر  
أبيض كعميون النرجس وكأني بها « وهي تشرف علينا وقد ابتسمت لفرها » تحيينا  
بروائحها العطرية . ولقد رأينا فيها على سفح الجبل مما يقرب من البحر قريتين تبعد  
الواحدة عن الاخرى بنحو كيلو مترين . الاولى مكونة من ثلاثة عشر منزلاً  
والثانية من نحو ثلاثين بيتاً تحيط بها الاشجار من كل جوانبها وبينهما طاحونة  
هواء كاتى على المقطم وهناك رأينا زورقاً يشق عباب البحر من شاطئ الى الآخر  
وبه روميان يشبهان الجان ذوا هيئة وحشية كأنهما أبعد الناس عن أوروبا  
المتمدنة بل وربما لم يسمعا بها على قربهما منها .

ولم نزل سائرین حتى وصلنا الى أرض القارة الاوروبية من شمال بوغاز  
« كورنت » وهي من بلاد اليونان فوجدنا جبلاً هائلاً من الصخر كأنه قطع بمستوى  
عمودى على ماء البحر يخيم عليه الضباب الكثيف وفي أعلاه فئار لطيف يرشد  
السفن الى بوغازى « أثا كوكورنت » المار ذكرها ومازلنا بجوار الشاطئ  
حتى بلغنا جبال البانيا وهي جبال شاهقة جداً تتصل بالتي قبلها وقد منعنا  
الضباب الذى أحاط بها من رؤية ما عليها من المناظر ولاكنها بحكم الطبيعة  
لا تنقص عما سبقها فى الرونق . وبلاد البانيا (أو الارناؤود) مشهورة بخصوصية  
أرضها . وعدد سكانها مليون ونصف وهي تحت حكم الدولة العلية حرسها الله  
من سنة ١٤٦٧ م . وشهرة أهلها بالقوة والانفة أشهر من أن تذكر ولذلك

فلهم مشهورون بعمل الاسلحة على اختلاف أنواعها وتنزيلهم عليها الاسلاك  
الفضية والذهبية وما شاكلها. وفي جنوبها الغربي مدينة بريفيزا وقد مررنا بها  
على بعد خمسة عشر ميلا منها وهي التي حصر الاترك بخليجها دونمة اليونان  
طول مدة الحرب اليونانية الاخيرة مع الدولة العلية.

### ﴿ جزيرة كورفو ﴾

وعلى تجاه نحو الثلث الاول من طول البانيا بدت جزيرة كورفو  
ويبعد رأسها الجنوبي عن بريفيزا بمسافة ٣٧ ميلا فسرنا شرقها وبيننا وبين البر  
ثلاثة أميال تقريبا وطولها ٣١ ميلا وفي مياهها رأينا تيار ماء شديدا فرمينا  
مرسانا بالقرب منها ثم سرنا حذاءها فوجدناها كسابقاتها عبارة عن سلسلة  
جبال عالية ذات منظر جميل. ونحو الشمال الشرقي منها انحدر الجبل واتصل  
بسهل يصل الى البحر قامت عليه مدينة كبيرة من حيث كثرة وضخامة  
البنيان ولها ميناء لطيفة وفي هذه الجزيرة كثير من الاشجار المختلفة التي مررت  
بها

وبعد قليل يدخل البحر في أرض الجزيرة حتى يتخيل للناظر أنها انتهت  
ولكنك لم تلبث ان تراها وقد ظهرت لك ثانيا بأحسن زينة وأبهج رونق بما  
اكتست من رداها السندسى وقامت الاشجار تظلل ما فيها من البنيان. وفي  
هذا المكان كان مصيف ملكة النمسا. وتنتهي هذه الجزيرة بلسان رفيع يدخل  
في الماء وفي منتهى هذا اللسان ترى صخرة على البحر لونها بين البياض والصفرة  
قد نحتها أيدي الامواج على شكل مغارة من العاج وفي مدخلها شبه أعمدة  
تصل الى سقفها تمثل لك بعض هياكل الفراغنة في بلادنا. وفي الجهة الشرقية قطعة

هائلة من الصخر الابيض قد اقيت في البحر لتكون كعبة أو لعبة الامواج في  
مدها وجزرها المستمرين عليها وفي رأسها فنار عظيم يرشد الى البحر الادرياتيكي  
الذي مجرد ما دخلنا في مياهه رأينا على بعد منا من جهة الغرب المراكب تمخر  
في عباب البحر من والى أوروبا على طريق برنديزي (وهي ميناء ايطالية) كانت  
تبعد عننا نحو ٤٠ ميلا .

وبعد قليل من سيرنا في هذا البحر رأيت وسط مياهه من جهة البانيا قطعة من  
جبل لها ثلاث قمم على شكل هرمي منتظم وأكبرها مقطوع الرأس فثلث لي  
اهرام الجيزة تماما لولا ان الاولى صنعت بيد الطبيعة خلال الماء والثانية  
بيد الصناعة ووسط الصحراء .

وكأني بجميع هذه الجبال الشاهقة والاطواد الشاخنة التي مررنا عليها  
ما وضعها يد الطبيعة على محيط تلك الاراضي والجزر من جهة البحر الا لتكون  
أوتادا تثبتها وسط عجاج الماء وتجعلها في حصن منيع من عدوان الاعداء . فهي  
قلاع مكيئة حصينة متينة ولكن لا كالقلاع التي تقيمها يد الانسان . فان هذه تبلي  
وتلك تدوم مادامت الطبيعة لا يفتك بها ساعد الامواج ولا تؤثر عليها قنابل  
المدافع .

### ﴿ بحر الادرياتيكي ﴾

يبلغ طول البحر الادرياتيكي من الجنوب الى الشمال الغربي ٤٥٠ ميلا  
وهو كأن بين بلاد ايطاليا من الغرب وبين البانيا والجبيل الاسود وأملاك  
النمسا من الشرق ويدخل اليه من بوغازه الذي تبلغ سعته ٢٠ ميلا وأكبر  
عرض له ١٢٠ ميلا وأقله ٨٠ ميلا وعلى الشمال الشرقي منه مدينة تريستا وهي

أكبر ميناء نمساوية وامامها على الشمال الغربي مدينة فينسيا الايطالية المشهورة بشوارعها التي هي عبارة عن ترع دخلت اليها مياه البحر وتخللت المدينة في جميع أجزائها ونواحيها ومركبات القوم فيها الفلايك لاغيرها وبينها وبين تريستا ٦٦ ميلا . وكان سيرنا على الشاطئ الشرقى منه ولم نر فيه شيئا يستوجب الذكر لان القارة كانت بعيدة عنا

### ﴿ سراب البحر ﴾

وما قرب المساء حتى لاحظت منى التفاتة الى جهة الغرب فشاهدت امامى جبلا عظيما غربت من ورائه شمس يوم الاربعاء وعليه أشجار هائلة تقرب من بعضها وتكون غابة عظيمة جدا تكاد تعانق السماء بفروعها المرتفعة . فتناولت لها الاعناق وقلت في نفسى ياسبحان الله كلما تركت منظرا وجدت أحسن منه . وكنت أرجو لو كان لى أجنحة أطير بها حتى أسبق المركب اليها ببعض دقائق لامتع النظر بجمالها وأروى من رواها صدي هذه النفس العطشى الى مثل هذه المناظر البهيجة . وكما اقتربنا منها ما كنت أرى الا بعدها عنى وكأني بها وقد شاهدت منى شدة انعطافى عليها وميلى اليها وشغفى بها ورغبة اقترابى منها لما لبسته من كمال الجلال والجمال . فتمشيت مشية الدلال . وقالت لن تنال . ثم نقرت نفور الغزال . وتركتنى فى حال . منشغل البال . متهيج البال . فصرت أردد الطرف فى جوانبها وأنا فى دهشة من بهاء ونقهار اجيا الوصول اليها قبل الظلام لامتع الطرف منها على ما يتمناه ثم أحمد الله على ما أولاه من كبير نعماه وما زلنا نقفوا أثرها حتى اذا ما قربنا منها أو كدنا تنسم الهواء . فانقسمت الى جملة أجزاء . وانتشرت فى الفضاء . ثم تلونت تلون الحرباء .

وانسابت ولا انسياب العنقاء. وما عتمت حتى صارت كأن لم تكن . فعلمت  
حينئذ انه السحاب . وقعت من هذه الغنيمة بالاياب . ولكنى مسرور القلب  
مرتاح الضمير لاني عثرت في طريق اليها على سراب الماء . وان سبقني غيري  
بسراب الصحراء .

وما زلنا سائرين على شاطئ استريا حتى اذا قربنا من مياه تريستا بعد  
ظهر يوم الخميس رأينا على البر أرضاً فسيحة الجوانب بين نجوم وهضاب قد  
خـلا جـوها من السحاب والضباب وكستها الاعشاب بساطاً سندسياً كأنما  
صيغ من زمردة خضراء على شكل جميل لا يمل منه البصر وقد أقيمت عليه  
البلدان من شامخ البنيان بين غياض زاهرة ورياض باهرة ودوحات وجنان  
بها من كل فاكهة زوجان فتبارك الرحمن . وكنا أينما وجهنا نظرنا لانري  
سوي بساتين ومروج . بين هبوط وعروج . وغابات من الجوز والبندق  
والتين والزيتون تقر العيون بنضارتها وتسرع القلوب بحسن بهجتها . وأول  
مدينة مررنا بها على هذا الشاطئ من مدن النمسا هي مدينة « فيوما » وفيها  
يجهز الخشب على شكل الالواح المعروفة عندنا بالورقة ووراء هذه المدينة  
جبال شاهقة تنمو بها غابات الاشجار الكبيرة ثم مدينة « بولا » وبها الترسانة  
العمومية للمراكب النمساوية ثم رافينا . وماجا . وبيران . وكلها مدن ريفية وهناك  
رأينا الصيادين بفلوكاتهم يروحون ويغدون في البحر طلباً للصيد . ويخرج كل  
يوم من تريستا وابوران بحريان الى أقصى هذه البلاد الريفية التي يقصدها  
الناس للنسجة والنزهة . وتلك الجهة مشهورة بعمل النبيذ والسردين وزيت  
الزيتون وتزرع بها الحبوب من قمح وشعير وأذرة . وفيما وراء هذا الريف  
جبال شاهقة تكسوها الطبيعة حلة خضراء في غاية من النضارة وعلى بعد

سنة أميال من تريستا قبل الغروب شاهدت عليها قطعة من قوس قزح ألوانها  
زاهية باهية فكانت كأنها منارة من بلور رفعت رأسها الى السماء وأرسلت الينا  
بأشعتها الملونة محمولة الينا على أشعة الشمس الذهبية لتخبرنا بقرب المزار وسلامة  
الوصول الى تلك الديار . وما لبثت أن انصرفت وأرسلت الينا المطر ليظهر أمامنا  
الطرقات ويغسل ما يقع عليه بصرنا من النباتات .

وعلى نحو خمسة أميال من تريستا بصرت بمروج من القمح يبلغ ارتفاعه  
قدما . ولونه بين الخضرة والصفرة فذكرني ذلك مروج مصر فتهيجت  
أشجانى واضطربت أفكارى وأمست بين لوعتين لوعة حنينى الى ذكرى  
وطنى ولوعة ميلى الى رؤية منظر تريستا التى تطاوت الاعناق الى مشاهدتها  
ولكنى ملت الى الثانى لانه فرصة تمر مرور الرياح أما الاول فهو ثابت فى  
القلوب والارواح .

وما غربت الشمس حتى وصلنا الى محل يقال له سوتيل على أربع أميال  
من تريستا التى كان منظرها أشبه شئ بمنظر الاسكندرية من طريق البحر  
فرمينابه مرسانا لانه محل القورنتينا . وهو عبارة عن رأس عال يدخل فى البحر  
وقد فرشت أرضه ببساط من الزبرجد والزمرد . وفى صباح الجمعة نظرت  
فاذا هذا المكان فوق ما يصف الواصفون فى جماله وجلاله . وروائه وبهائه .  
فأردت وصفه لمواطنى الاعزاء فتحير الجنان . وقصر البيان . وصغر  
اللسان . ووقف البنان عند جماله الفتان . ولولا ان يسكنه الشيطان لقلت  
انه جنة من الجنان . فرّت من رضوان وأتت الى هذا المكان لتكون محل  
غربة الانسان على ممر الازمان

الرسالة الثانية ❦

❦ تريستا (١)

وبعد أن قضينا يوماً بالمكان الذي مرّ بك ذكره دخلنا مدينة تريستا وهي مدينة نمساوية لطيفة يبلغ عدد سكانها مع ما يتبعها من الضواحي ١٧٠ ألفاً قامت فيها على البحر أبنية نخيمة ومينائها من أكبر مين الدنيا حركة وتجارة وهي مشهورة بصناعة ورق اللعب والآلات الموسيقية والدنتيلا والشمع والحرير . وأشهر مبانيها البوسطة ويقال أنها أجمل بوسطة في العالم بأسره وهي بناء شاخج جداً مكوّن من ست طبقات سقف كل طبقة من البلور حتى ان الذي في احداها يري كل موجود فوقه من الطبقات العليا وتحتته من السـنـلى . وفيها مصلحة التلغراف وجميع مستخدمياتها من الجنس اللطيف وهذه المدينة مشهورة أيضاً بسرّاي ميرامارا التي على البحر غربي المدينة وهي سرّاي الدوق مكسيميليان الاخ الاكبر لامبراطور النمسا الحالي التي أبحر منها الى بلاد المكسيك حيث عين ملكاً عليها وقتله بها أهلؤها سنة ١٨٦٧ في ثورتهم ضد حكومتها فاستغاث في أثنائها بكثير من الدول ومن جملةهم مصر فأرسلوا اليه بعض الجنود ومصر أرسلت عدة أورط بين مصرية وسودانية نالوا في حربهم فيها شهرة عظيمة ولكن كان وصولهم اليها بعد قتله . وهذه السرّاي لا يسكنها الآن أحد الا من بها من الخدم والحشم وهي من الآثار التاريخية المحترمة

(١) كانت هذه المدينة تابعة للرومانيين ثم استولى عليها الفينيقيون وآل أمرها الي حكومة النمسا سنة ١٥٨٢ م وكان عدد سكانها في منتصف القرن الثامن عشر ٦٠٠٠ نفس ومن ثم جعلت ميناها حرة للتجارة فأخذت في عمرانها واهميتها حتى وصلت الي ما هي عليه الآن على أنها آخذة علي الدوام في التقدم بسرعة محسوسة لاهمية وضعها الجغرافي .

في النمسا ويقصدها النمساويون لزيارتها أحياناً. ولما كانت تذكارا محزنا لم يستطع الامبراطور الخالي ان يذهب الي تريستا أبدا بعد سفر أخيه الآن. وأبنية هذه المدينة شاهقة يحيط بها الجبل من غربها وشمالها وشرقها والبحر من جنوبها وقد أقيمت على البحر المساكن التجارية الكبيرة وبينها مساكن القوم وعلى الجبل منازلهم الخلوية ومنتزهاتهم على شكل جميل ويظهر لي ان اكبر محل بهذه المدينة هي تلك العمارة الهائلة التي بنتها شركة الملاحة المسماة « اللويد » وهي شركة الوابورات النمساوية وبها محل ادارتها وان كانت لا تزيد كثيرا عن ماجاورها من الابنية التي على البحر.

والطبقة السفلى من أهل هذه المدينة تلوح عليهم سيما البهيمية والوحشية وليس فيهم من الدعة ما يجعلك تطمئن اليهم مع ما هم عليه من هـدو اخلاقهم وسكونهم الطبيعي.

وكان وصولنا الى تريستا مع وابور المحروسة المخصص لركوب الجناب العالي الخديوي الذي بمجرد ما وصل الى مياها صدر أمر الحكومة النمساوية لمحافظة هذه المدينة بعدم الحجر الصحي على حضرته الفخيمة هو ومن بمعيته السنية وأظن أن خرق سياج المعاهدات الدولية مع شخص جنابه العالي يسمح لك بتصور مالمسده العلية من سامي المقام وعظيم الاحترام لدى حكومة النمسا ولكن جنابه الرفيع أبي الان يمضى مدة الحجر القانونية التي كان في أثنائها جميع مستخدمي هذا الشعر ورفاصاتها وفلائكها في خدمة ركابه العالي منتظرة أدنى اشارة منه ليقوموا بتأديتها. ولما انتهت هذه المدة ما كنت ترى الا رؤساء المدينة ومظاهر القوم وقناصل الدول وفي مقدمتهم قنصل الدولة العلية يغدون ويروحون بملابسهم الرسمية الى مركبه الفاخر لتأدية واجب السلام والاحترام وفي المساء



قصد حفظه الله السفر الى فينا فنزل الى البر وهنالك كنت ترى أهل المدينة كلها وقد هرعوا الى جانبي الطريق حتى محطة السكة الحديدية والبوليس قد وقف على جانبيه اجلالاً لمقامه السامى واكابر القوم قد تسابقوا الى ثم يده الشريفة بين مسلمين ومودعين .

### ﴿ الطريق من تريستا الى فينا ﴾

ركبنا اكبريس السكة الحديدية من تريستا فى الساعة الثامنة وربع مساء متجهين الى الشمال الغربى قليلاً ثم الى الشرق حتى وصلنا فينا الساعة العاشرة ونصف صباحاً ومسافة ما بينهما ٥٥٠ كيلو متراً .  
وكانت الليلة مقمرة بل من ليالى القمر بمصر فى مبدأ الثلث الثانى من الشهر العربى فسار بنا القطار صاعداً بميل خفيف على الجبل مما يحاذى البحر وهنالك ترى المحاجر التى يستخرجون منها الحجر المشهور عندنا باسم «حجر تريستا» وكان الجو معتدلاً والهواء عليلاً وقد وقف بنا الوابور على عشر محطات فى طريقه وكان فى سيره بين ارتفاع على جبل وانحدار الى واد وعلى جانبي الطريق فى كل هذه المسافة غابات كثيفة غاية فى الانتظام ترتفع الاشجار عليها مع انحدار الجبل من أسفله الى عاليه وكأنها قطعت من أعلاها بمستومائل مواز لسطحه الذى غرست فوقه . وقد فرشته يد الطبيعة طوراً والصناعة احياناً تحت ظل هذه الاشجار بساطاً اخضر مما يجعل منظره يستهوى الافئدة ويأخذ بالابصار . وماذا عسانى أصف لك منظرًا قد جمع كل قوى احساسى الى حاسة بصرى وجذبها اليه بحسن روائه وبديع رونقه حتى اذا ما نظرت اليه ارتسمت صورته فى خيالى وغطت على كل مابه من الصور الكامنة فيه حتى

كأنى انتقلت بجسمي وروحي الى عالم غير الذي ربيت في كنفه تاركا بهذا محفوظاتي ومعلوماتي القديمة . فكنت ترانى لا أستطيع أرى غير منظره الفاخر . ولا أسمع الا حديثه الباهر . ولا أشم عدا عرفه العاطر . ولا أحس بغير جماله الزاهر . ولا أذوق سوي معناه الفاخر . وكيف وهو منظر جمع بين نزهة القوم وثروتهم فلم يصيغوه عبثاً لمجرد الزينة التي لم تلبث ان تذهب نضرتها وليس من ينتفع بثمرتها . وكأنى به هو ذلك الفراء الذى يقولون عنه ان كل الصيد فى جوفه . فاذا قطع القوم ما طاب من هذه الغابات بالتدرج غرسوا محله شيئاً منه حتى اذا ما انتهوا الى الصف الاخير رجعوا الى الاول وقد بدا صلاحه وحان وقت الانتفاع به وهكذا فتكون من ذلك سلسلة ثروتهم التي تماسكت حلقاتها ببعضها حتى اذا أتوا على واحدة منها بدأوا الى الاخرى ولا نهاية . فهي لهم نعيم مقيم وخير مستديم . وقد كانت هذه الغابات من زمن قديم طبيعية فقطعها الفينيقيون واستعملوا أخشابها فى صناعاتهم وتجارتهم فلما انتهوا منها أصبحت أرضها بلقماً لا يسكنها وحش ولا بوم . حتى اذا أخذت أوروبا بأطراف المدينة وكانت تلك الجهة من نصيب حكومة النمسا اهتمت بها كل الاهتمام الى أن صيرتها على ما هي عليه الآن ولم تقف عند هذا الحد بل تراها كل سنة تصرف الملايين من الجنيهات على حفظها وترقيتها حتى وضعت بقانونها عقاباً صارماً لكل من يقطع شجرة لغير أوان قطعها وهكذا شأن الحكومات الساهرة على مصلحة الاهالى التي هي عين مصلحتها .

### ﴿ السمرنج ﴾

وما زال القطار يصعد بنا من جبل الى آخر صعوداً محسوساً قاصداً مدينة

فينا حتى وصل الى محطة « مدتس نوش لاك » وهي على بعد ساعتين ونصف من فينا وهي مبدأ السمرنج . وهناك رأينا جبلا شاهقة جدا كان لابد من قطعها للوصول الى عاصمة البلاد فوجدنا الواور يصعد أحيانا يمينا ثم يعرج شمالا ثم يرسم قوسا ثم يصعد الى قمة جبل فترى أمامك جبلا آخر وقد حال بينك وبينه واد عميق ومنخفض سحيق ترى عليه تلك الاشجار الضخمة كالأعشاب والحشائش الصغيرة فيهبط القطار الى هذا الوادي حتى اذا ما وصلت الي أسفلها ورفعت رأسك الي القمة التي كنت عليها لوقتك تكاد لا تصدق انك كنت عليها لولا ماتراه من قطار آخر قد مر بك صاعدا اليها . ومازلنا على هذا المنوال بين هبوط وصعود هائلين ( كأننا في بورصة الاسكندرية ) الي أن وصلنا الي قمة الجبل الاعلى وبه محطة السمرنج وحوها مساكن لمصيف القوم ولو كندات وغيرها وهناك استلقت نظري صاحب لي نمساوي الي ثلوج على قمة ليست بهيئة عنا فنظرت فرأيت شيئا أبيض كانه قطعة هائلة من لبن تجمد قد فرش على سطح هذه القمة وفوقه أشبه شيء بدخان كثيف ضارب الي البياض فلاحظت انما هو طبقة من هذه الكتلة الثلجية أرادت ان تحللها درجة حرارة النهار الشديدة فاحتاطت بها قوة البرودة هذه تريد تجميدها وتلك تود ان تذيبها وكانت القوتان متكافئتين فوقف بينهما موقف الحيران الا انها وفتت بين رغبتهما واقامت في نقطة الوسط بينهما .

ثم أخذ القطار في الهبوط بسرعة عظيمة فتراه ينحدر آونة يمينا وأخري شمالا وطورا يرسم قوسا على نفسه وقد قطع الجبل في طريقه بحال منتظمة وعليه أيضا شريط للقطار الصاعد وهو يسير بك أحيانا على قناطر قامت على قناطر أخرى لتصل ما بين جبلين وأحيانا تراه يمر بك في نفق بعد آخر قد

نقبت في بطن الجبل وهكذا مما يدهش العقل ويذهل الفكر حتى وصل الى محطة بيرنج وهي مبدأ الطريق الى السمرنج من العاصمة. وهذا الخط الحديدي صنع من مدة خمسين سنة وهو أول ما صنع في أوروبا على شكله وان شئت فقل في العالم كله .

وبينما كنا نسير على طول طريقنا هذا كنا نرى على يميننا وشمالنا فوريات الاخشاب والحديد منتشرة وسط المزارع التي تخلصها جداول مياه منتظمة يختلف عرضها بين أربعة وسبعة أمتار . وهذه الجداول تخرج من الجبل تارة من عيون محاذية للارض وأخرى تنزل منه على شكل شلالات وتياراتها تختلف في الصيف بين الشدة والضعف وقد وضع القوم فيها حواجز من الخشب من شاطئ الى آخر ليحفظوا بها موازنة المياه التي يرفعونها خلفها حسب ما تقتضيه حالة رى أراضيهم .

ولما اقتربنا من العاصمة كثرت فوريات الطوب المعد للبناء فيها وهو على شكل الطوب الافرنكي عندنا . وقبل وصولنا الى فينا برقع ساعة استلفت صاحبي النمساوي نظري الى جبل بجوارنا وقد أقيم عليه اثر من الحجر قائلاً هذا هو الحد الذي وصلت اليه فتوحات الاسلام .

### ﴿ نبذة تاريخية ﴾

ولا يمكنني أن أصف لك مقدار ما عتراني من الدهشة عند ما شاهدت ذلك الاثر الذي اقيم على أبواب « فينا » تذكراً لمحاصرة الاتراك لهذه المدينة وكيف لا أعجب وقد دلني هذا الاثر على ان الاتراك حاربوا هذه البلاد سنة ١٥٢٩ ميلادية حتى وصل جيشهم الظافر الى جدران هذه المدينة تحت قيادة

السلطان سليمان الثاني . وكان عدده مائة وعشرون ألف جندي ثم تركها بعد ان ضايقها مضايقة كادت تقضى على حياتها . وفي سنة ١٦٧١ قامت حرب أخرى بين تركيا ومملكة النمسا ففتكت الاتراك بجيوشها الكشيفة وهزموهم شر هزيمة ومزقوهم كل ممزق ومازالوا سائرين وراءهم حتى وصلوا الى عاصمة الديار وضربوا عليها الحصار لعدم قدرتهم الدخول اليها لمنعها الطبيعية لانها يحيط بها من الشمال والشرق نهر الطونه (الدانوب) ومن الجنوب والغرب جبال شاهقة وكان الجيش التركي في هذه المرة تحت قيادة ذلك البطل الشجاع قره على مصطفى الذي بعد ان أتى من انتصاراته وظفروه بما أدهش العالم بأسره دس أعداؤه عليه عند السلطان فأمر به فقطع رأسه ومن ثم اجتمعت جيوش حكومات المجر وبولونيا والنمسا والبايفير وفرنكوني وحاربوا الجيش التركي وقد ضعفت إرادته وعزيمته حتى ألزموه برفع الحصار والرجوع الى حيث أتى . وهذا المكان يسمى عند النمساويين ( كالمبير ) وهو الآن من منتزهاتهم بل من آثار بلادهم التي يقصدونها لزيارتها بواسطة سكة حديد تصعد الى سطح الجبل على قضبان وعجلات مخرسة تمسك القطار من الانزلاق الى الورااء .

### ✽ الوصول الى محطة فينا ✽

وماوصلنا الى محطة فينا حتى رأينا المحطة غاصة بالناس وأكثرهم من الذين علموا بمقدم سمو أميرنا المحبوب وبعدان أدوا واجب السلام على جنابه العالی ركبنا عرباتنا الى حيث نزلنا وتصادف انه كان يوم احتفال بوضع أساس كنيسة تذكارا للبرنس مكسيميان ملك المكسيك الذي سبق الكلام عليه

حتى اذا ما وصلنا الى مكان الرنج وكان قريباً منا وجدنا امبراطور النمسا  
قد مر بين هذه الجموع العديدة الى حيث مقر الاحتفال . وقد جمع هذا الميدان  
خلقا لا يحصى عددهم واصطفت على جانبيه الناس من جميع الطبقات وأمامهم  
صفوف الجنود على اختلاف مراتبهم وأسلحتهم وملابسهم فلما مر الجنب العالى  
بمركبته من بينهم انتقلوا من احتفالهم بملكهم الى الاحتفاء بضيفهم العزيز  
فكان حفظه الله أينما سارت مركبته محل اجلال القوم واحترامهم ولا شك  
فانهم أكثر الناس معرفة بشمائله العالية وعلما بجمال خلاله وكمال خصاله وكبير نبله  
وعظيم فضله وواسع علمه وعقله وأكبرهم أعجابا بسمو مقاصده وشريف رغباته .  
لذلك ترى احترامهم لمقامه السامى مشفوعا بمحبتهم الصادقة لذاته العلية . حتى  
ان حضرته الفخيمة كانت مدة اقامتها بهذه العاصمة مكان حفاوة واعظام زائريه  
من سفراء الدول ووزراء الحكومة وأكابر القوم فكان حفظه الله طول مدته  
بها بين زائر ومزور متعنا الله تعالى بحياته وبلغنا به آمالنا التي وضعناها بين  
يديه الشريفتين .

ولقد شاهدت وقت الانصراف من هذا الاحتفال شيئاً جديراً بالذكر  
وهو مرور فرق العساكر المتقاعدة كل فرقة بموسيقاها وضباطها وملابسها  
الرسمية ونياشينها هذا يمشى على ساق من خشب وذلك يحرك يدا صناعية  
وأخر قد تهشم وجهه من أثر السيوف أو غيرها من مهلكات الحرب وهم  
بين كهول قد أضناهم الكبر ورجال قد فقدوا بعض الاعضاء يسرون بانتظام تام  
على نعمة الموسيقى وهذه الفرق لا علاقة لها بالحكومة الآن ولكنى أقول  
لك ما كان من أمرهم وقت خدمتهم . الامر الذي حفظوا به لانفسهم عيشة  
راضية وراحة مستديمة : كان لكل فرقة منهم صندوق توفير مدة اشتغالهم

بالخدمة وكان كل واحد منهم يدفع في الشهر جانباً من مرتبه الضعيف فكبر هذا المبلغ بحسن استعماله في التجارة حتى اذا تقاعد الجندي رتب له منه شئ يقوم بحياته ويستمر بصفة معاش لاولاده القصر وهذا كبر دليل لك على ما للقوم من حسن النظر في المستقبل على ما فيه من حفظ ماء الوجه الذي هو اكبر فضيلة من فضائل الشهامة والمروءة

﴿ مدينة فينا وستة أيام بها ﴾

تنقسم هذه المدينة الى قسمين المدينة القديمة والابنية الحديثة التي توجد حول الميدان المسمي بالرنج ( الدائرة ) وكان هذا المكان للحكومة وكان به قشلاقتها وبعض مبانيها من قلاع وحصون وغيرها فلما ضاقت المدينة بأهلها هدمت الحكومة هذه المباني وخططتها أحسن تخطيط وباعتها الى سراة الناس بعد ان حجزت منها ما يلزمها واشترطت على المشترين البناء على أحسن شكل واكبر أهبة وأعفهم في نظير ذلك من عوائد أملاكها نحو عشرين سنين وما جمعت من اثمان هذه الاراضي ابنتت به محلاتها الفخيمة مثل سراي الملك الرسمية والبرلمان والانتكخانات ومدرسة الطب والمدارس العالية والاورا وسراي البلدية وغيرها .

وجميع المباني في هذه الجهة على شكل واحد تقريباً ونظام واحد ولون واحد في الغالب وارتفاع واحد حتى يكاد يتخيل للانسان أن المهندس الذي وضع رسومها واحد . فأينما نظرت لا ترى الا بناياتاً باذخاً مشيداً بين خمس أو ست طبقات وكثيراً ما ترى المنزل الواحد أو بعبارة أخرى العمارة الواحدة على شارعين ان لم تكن على أربعة . وشبابيكها كبيرة وكل منها من لوح زجاج

واحد وورائها ستارة من القماش السميك وعليها من الخارج أخري من الخشب  
إذا فردتها وجدتها على شكل الشبايك الشمسية عندنا والدور الأرضي منها  
غالباً من الحجر والباقي من الطوب .

أما الابنية القديمة فهي بين دورين وأربعة فقط وطبقاتها وأطية  
وشبايكها صغيرة لا تزيد عن متر ونصف طولاً ومتر عرضاً وهي مع ذلك  
جميلة المنظر وإن كانت بسيطة العمل . وترى المنازل التي فيها العمارة قد أحاطت  
بها سقالة طويلة عريضة محكمة الوضع ولها حاجز على طولها ارتفاعه نحو متر  
ونصف من ألواح الخشب حتى لا يمكن لأحد من الشغالين إذا زلقت رجله  
أن يذهب ضحية إهمال أو شح القائمين بعملية البناء كما يحصل كثيراً في بلادنا  
ولا يمكن أن ينال السائر تحتها شيئاً منها يشج رأسه أو يخمد أنفاسه أو يلوث  
ملبوسه . أما شوارعها فليست بالضيقة ويسير في كثير منها الترمواي الكهربائي  
وسط المدينة لا بأسلاك ممدودة فوق طريقه كالتى بمصر والاسكندرية ولكن  
بواسطة تيار كهربائي كامن في الأرض بين الاشرطة التي يمر عليها ولا يخفى ما في  
ذلك من عدم الخطر أو على الأقل من عدم المضايقة . والترامواي الذى تجره  
الحيل هو أشبه شئاً بعربات الاومنيبوس عندنا لولا أنه أحسن وأمتن وأنظف  
ويسير على قضبان من حديد . والنور الكهربائي كثير في المدينة ونور الغاز  
يكاد أن يكون عموماً في جميع الشوارع والمسكن .

وتقدم المدينة في هذه المدينة إنما حصل بسرعة هائلة خصوصاً في حكم  
أمبراطورها الحالى فرنسوا جوزيف فإنه أولاً أصدر أمراً عالياً سنة ١٨٥٧  
بقطع غابات الاشجار التي كانت تحيط بها وتضايقها وفي سنة ١٨٦١ أمر  
بالابنية الحديثة على الزنج كما مر بك ذكره وفي سنة ١٨٧٠ أمر بحفر ترعة من



جبال الالب الى المدينة توصل اليها الماء النقي على طول محيطها وطول هذه  
الترعة ١٣ ميلا ومياها تمر في طريقها تحت كثير من الانفاق والقناطر  
والكبارى التي أقيمت عليها وضافها من أحسن منتزهات القوم . ثم أمر  
بعمل سكة حديد تحيط بالمدينة أيضا فترى قطاراتها تسير بك تحت الارض أحيانا  
ثم تصعد الى سطحها ثم ترتفع الى ماوازي الطبقة الثالثة من المساكن على  
كبار أقيمت فوق الارض لمرور الناس من تحتها ويقوم عليها كل دقيقتين  
وابوران يقطع أحدهما محيطها من جهة اليمين والآخر من الجهة المقابلة لها .

وفي هذه المدينة نيف وأربعون الف بيت وعدد أهلها بضواحيها  
يبلغ مليونين تقريبا وقد اشتهر أهلها بركة أخلاقهم ووداعتهم وطيبة قلوبهم  
كما اشتهروا بعلمهم الرياضية والموسيقية والطبية وغيرها وكما مرتت بجهة  
من جهاتها ترى تماثيل قد أقيمت تذكارا للنابعين من رجالها مثل سمير وهشون  
واشمس ووال وغيرهم فاذا حققت نظرك في هذه الآثار رأيت عليها سيما الوقار  
والاحترام والاعتبار ولا حظت وداعة في أخلاقها مع تفكر في عمل من غير ان تشاهد  
منهم حركة أو تسمع منهم كلمة . ويوجد في هذه المدينة معامل كثيرة للخشب  
والحديد والجلود والادوات المعدنية والاقمشة الصوفية والقطنية وفوريات  
لا استخراج السكر من البنجر وغير ذلك .

ومن أجمل بل من أجل ما شاهدت بها معامل قد أقيمت على شاطئ الدانوب يتلو  
بعضها بعضا ويديرها تيار ما نه ليس الا . وكل منها عبارة عن مركبين من الخشب  
وضعتا في النهر قبالة بعضهما على بعد يسير من الشاطئ وقد بعدت أحدهما عن  
الآخرى بقدر دولا ب من الخشب يشبه رفاص وابورات البحر ومر بوسط  
هذا الدولا ب محور ثبت طرفه على المركب التي من جهة النهر وطرفه الثاني

على التي من جهة الشاطئ وفي هذا الطرف ترس تسلط على ستة اتراس يدير بعضها  
الآخر والاخير منها مسلط على طارة عليها سير يدير طارة فيما يقابلها على الشاطئ  
وهذه تحرك اتراس تدبر حجارة لطحين الغلال. فينزلق تيار الماء بين المركبين فيدور  
الدولاب فتحدث الحركة في جميع الاتراس والحجارة فيطحن القوم الى ماشاء  
الله وهم لم يخسروا الخم ولا شحما من غير ماتع ولا نصب الا اذا كلفوا خاطرهم  
ووضعوا الحب في مكان لياخذوه دقيقا من مكان آخر وياليت حكومتنا السنية تسمح  
للاهل بمثل هذا العمل على نيلنا الذي كثرت بركته وقلت فائدته .

وللقوم تمسك وان شئت فقل تعصب في لغتهم فاينما سرت أو قعدت لا ترى  
غير اللغة النمساوية حتى تخيل لي انه لا أثر البتة لما كنت اسمعه من ان اللغة  
الفرنساوية كثيرة الانتشار في جميع المسكونة وواظن انه لا لزوم لقول بان تعليمهم  
في مدارسهم مبني على لغتهم ولا يخفك ان هذا اول باعث على تقدم القوم في المعارف  
وهذه هي الدرجة الاولى التي يصعدون بها اليها لان الطفل يذهب الى المدرسة وقد  
عرف من لغته ما يسمح له بالتفاهم بواسطته فاذا التقي عليه الدرس فانه لا ينظر  
منه الا الى المعاني التي ترسم في عالم خياله حتى اذا كثرت عنده مادتها تربت  
فيه ملكة ولا حد لها تمكنه من التصرف بفكره وعقله في طريق معلوماته  
ومن ذلك ترى عندهم هذا التقدم المستمر في الاختراعات التي يتلو بعضها  
الآخر منتقلين بالطبع من حسن الى احسن وقد انتفعوا بها ونفعوا العالم كله  
بنوافذها التي لا تحصى ولا تحصر .

أما عندنا فترى الطفل اذا ذهب الى المدرسة وجد الدروس باللغة الاجنبية  
فلا يفهم منها شيئا وهي اما تمل عليه فيكتبها في كراسة أو يدرسها من كتاب  
وضع بين يديه فاذا حدد له المعلم درسه فيهما مضى هذا المسكين يومه وليلته

في الاشتغال بكل رموز الفاظه كلها أو بعضها بواسطة القاموس وإذا ساعدته المقادير وكانت حافظته قوية حفظ منه مبادئها كلها أو بعضها ولم تلبث كثيراً في ذهنه حتى تنهدم أركانها وتصبح أثراً هشيماً تذروه الرياح التي تتولد من ضغط درس ثان عليه ولا شك أنه باستمراره على هذه الخطة تضعف عنده قوة الزكاء وتحدد قوى ملكاته فلا يقع نظره إلا على ما بين يديه وقليل إذا بصر به ولعل في ذلك حكمة لا يعلمها إلا حكومتنا السنية .

﴿ رياضة في إحدى منتزهات فينا ﴾

كنت أستيقظ من نومي في الساعة السادسة صباحاً فأرى في الشوارع نساء ورجالاً وأطفالاً بين غادين ورائحين بنشاط في مشيتهم ولكن مع الرزانة والوقار فركاتهم سريعة إلا أنها هادية والكل سائر في طريقه لا يستوقفه عارض ولا يستميل نظره شيء وليس أمامه إلا السبيل إلى عمله حتى إذا ما وافت الساعة العاشرة وجدت الطرقات تقريباً وقد خلت من الناس إلا من كانت له حاجة يخرج لقضائها وأغلبهم من الكهول أو الشباب فترى هذا قد حمل شيئاً على كتفه وذلك يجر عربة صغيرة بيده وقد وضع عليها حملاً الثقيل وذلك يجرها له كلبه أو هما معاً .

ولقد ذهبت مساء يوم إلى مكان يقال له البراتا وهو يبعد عن وسط المدينة بنصف ساعة تقريباً وهو معد لمسحة القوم كالجزيرة مثلاً بالقاهرة أو ضفاف الحمودية بالاسكندرية على أن لا وجه للشبه وهناك رأيت الطرقات خاصة بالعربات والناس زرافات ووحيداناً مشاة أو ركبانا بين غادين ورائحين وقد ملأوا الطرقات والمحلات العمومية التي على جانبيها هذا به تشخيص

وذلك موسيقى وآخر غيرها من نوع ثان وقد غصت كلها بجماهير المتزهين  
من نساء ورجال وبنين وبنات ومشروبهم العمومي هو صنف البيره وهي  
عندهم كالقهوة عندنا وفي جانب هذا المكان أقيمت مدينة صغيرة على شكل  
ومباني مدينة فينسيا (البندقية) الايطالية

### ﴿ فينسيا في فينا ﴾

لقد تفنن القوم في كل شيء مفيد حتى في منزهاتهم فهي كلها أشبه  
بمتاحف تاريخية أو جغرافية تشخص لك ما كان وما هو كأن بشكل لطيف  
يرتاح له الانسان ويتروح به الفكر ولا تسأم منه النفس . ولقد أقاموا في  
شمال البراتا شبه مدينة صغيرة على شكل مدينة فينسيا المشهورة بجلال وضعها  
وجمال منظرها من حيث شكل البنيان وتخللها بالترع التي انما هي بدل  
الطرق والشوارع فيها ففري بها الابنية لا تزيد عن طبقتين أو ثلاث على الاكثر  
وقد جمعت بين البساطة واتقان الصناعة وجمال المنظر وحسن الشكل وكل  
هذه المباني عبارة عن لوكندات وتياترات وقهاو أوويرات مختلفة الاشكال  
والاوضاع هذه بها موسيقى وتلك بها أخري على شكل مخالف للاولى ونغماتها  
والحانها متغايرة نوعاً وموضوعاً حتى يرتاح كل الى ما يميل اليه ذوقه وسمعه .  
والتياترات أيضاً متباينة فهذا للتمثيل وذلك للتشخيص بالغناء (أوبرا) وغيره  
للعب الحيوانات بين أسدضاريه ونمور كاسره ودباب وكلاب وضباع وسباع  
من جميع الانواع . وكل هذه المحال وقد جمعت بين كمال . وجمال . يفدها  
الجم من الرجال . وربات العقال . والاطفال وقت خلوهم من الاشغال بما  
لا يمكن ان أصفه لك بحال من الاحوال . وقد وضع هذا المكان في بستان

عظيم وكله ينار بالكهرباء حتى انك ترى في كل ورقة من شجره (تقريباً) مصباحاً كهربائياً وفي وسط المكان ميدانان بوسط أكبرهما كشك تصدح به موسيقى الحكومة وقد وضع فوقه مصباح كهربائي عظيم جداً يجعل الليل نهاراً والظلمات أنواراً. وقد أحاطت بهما القهاوي والنوادي والمطاعم على اختلاف أشكالها. ومن الأطف ما رأيت منها لو كندة ليس فيها من الخدم أو العمال سوى حيطانها التي داخل مكانها. وهي عبارة عن محل فسيح قامت حوله دواليب كثيرة مقسمة أقساماً صغيرة وفي كل قسم منها ثقب كتب تحته اسم ما فيه وثمنه فترى هذه للحلوى على اختلاف أنواعها وتلك للبسكويت على تغاير صنوفه وغيرها للحجم المدبر أو الزبدة الموضوعه بين دفتين من الخبز وبجوارها دواليب أخرى وضعت فيها حنفيات وبها مشروبات مختلفة فمن أراد شيئاً منها وضع ثمنها في فوهتها من غير زيادة أو نقص (كما يفعل في الآلة التي تزن الناس في مصر) فما يشعر الا وقد اتى هذا الشيء ملفوفاً في ورقة نظيفة الى درج أسفل دولابه أو نزل المشروب على قدر معلوم من نفسه في كوبات وضعت تحته.

وبالجملة فاني شاهدت بهذا المكان ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر مثلي ممن لم يسبق له التوجه الى أوروبا.

ثم شاهدت بهذا البستان عجلة كبيرة جداً من الحديد قطرها أربعة وسبعون متراً وقد ارتفعت عن الارض بنحو عشرة أمتار عليها شبه تونس الساقية عندنا وقد تثبت فيه شبه أود طول الواحدة ثلاثة أمتار ونصف في عرض أكثر من مترين وارتفاع مثلهما وقد أحاط بها قضبان الحديد ومن ورائها شبابيك من الزجاج وهي على شكل أراجيح الصناديق (مراجيح) التي تراها في الموالد والمواسم عندنا (استغفر الله) فصعدت بها ورفيق لي

فلما انتهت بنا الى أعلاها وقفت نحو خمس دقائق فلما وقع بصرى على تلك  
المصابيح الكهربية التي كانت تحتها من جميع الجهات وكانما هي الكواكب  
ضياء ووراء رفعت بصرى الى السماء وكان الوقت صحوا فتخييل لى انى بين  
سمائين لولا ان هذه بها قمر واحد وتلك بها من الشمس والاقمار . ما يدعش  
الابصار . ولكنى لم أتردد فى أيتها أحسن . لانى اذا رأيت بالتي فوق النجوم  
وضياها . والقمر وقد جلاها . شاهدت بالثانية الكواكب وسناها . والشمس  
وحلاها . والبدور وصفها . والجبال وقد كساها . والكمال وقد حلاها .  
والنفوس وقد لبها شقاها أو تقواها . وقد أفلح من زكاها .

﴿ الموسيقى والتياترات والتمثيل بفينا ﴾

لولا ان الانسان كلما وجد كمالا أوروبا وحكم عليه بأنه منتهى حده  
فى بابها لم يلبث ان يرى أكمل منه لكثرة اشتغال الناس فيها بترقية المدينة  
والحضارة وعدم رغبتهم فى الوقوف عند أي حد يصلون اليه منها لحكم  
بضرورة وقوفهم عند هذا الحد الكمالى ولكنى لأشك فى ترقيتهم أكثر  
من الحالة التي هم عليها الآن . تلك الحالة التي كل من شاهدنا منا وصل به  
منتهى اعجابها الى الحكم بأنهم بلغوا غاية ما تتعلق به قدرة الانسان ولكن  
شدة رغبة القوم وقوة الارادة عندهم يلزمى بان اتخذ مافات منهم للحكم  
على ما هوآت وأقول أنهم ماداموا على هذا الاجتهاد فلا نهاية لتقدمهم الى  
ما يشاء أو شاء الله .

وقد وصل النمساويون فى علم الموسيقى الى حد لم يصل اليه غيرهم من  
مبدأ الخليقة الى الآن ولهم مدارس على غاية من النظام يدرسون بها هذا العلم أو

الفن في خمس عشرة سنة تقريباً ولهم به اهتمام عظيم جداً ولا شك بأن ذلك أكبر دليل على مافي القوم من عظيم الذوق وقوة الاحساس ولاغرو فان من يميز بين تلك النغمات الدقيقة جداً وهي تمر على سمعه مرور البرق على العين أمكنه ان يميز المعاني التي يجد سعة من الزمن في عرضها على فكره فضلاً عن المباني التي يشغل بها حسه با كمله وحسبك أن تتربى من ذلك في الانسان هذه الملكات الصحيحة عدا مايكسبه من قوة الفكر وشدة الذكاء وسرعة الخاطر فاذا علمت ذلك فلا تستغرب من اهتمامهم بعلم الموسيقى هذا العلم الذي بلغ مبلغاً عظيماً عند العرب وأهملناه نحن كل الاهمال حتى صار الاشتغال به في نظرنا من المهن الحقيرة

وقد رأوا أن فن التمثيل وهو عبارة عن تشخيص الحوادث التاريخية حقيقية كانت أو وضعية التي انما تأمر بمعروف وتنهى عن منكر بحسن مبانيتها وكمال معانيها حتى كأن المتفرج يشاهدها عياناً فتكون أقوى في التأثير عليه لا بد وأن يلحق بالموسيقى حتى اذا خلبت هذه العقول واستهوت القلوب بنغماتها وألحانها وجردت الفكر عن كل مايشغله عنها وتفرغ الذهن لها بعوامل الطرب بدأ التمثيل يشخص الحقائق المؤثرة فيعمل بالانسان مالا يعمله الوعظ والوعاظ لانه يدخل ذهنه ويرتسم في خياله وليس به غيره فيباح التياترو وقد تنبه من غفلته ونشط من عقاله . وتحرك من سكونه . وجد بعد كسله . وتشجع بعد جبنه . وتمسك بالفضائل . وارعوي عن الرذائل . لانه رأى بعينه . وسمع بأذنه . مصير هذه ومآل تلك

﴿ تياترو الأوبرا بفينا ﴾

لقد أسعدني الحظ فدخلت الاوبرا بهذه العاصمة لأول مرة وقد هرع

اليها القصاد من رجال وربات حجال . حتى اذا ما أتت الساعة المحددة للعمل  
أغلقت أبوابها في وجه كل من أراد الدخول اليها ولو كان بيده تذكرته التي  
تخول له هذا الحق كأن ذلك عقاب له على اهماله الحضور في الوقت المضروب  
لكيلا يشوش على الناس بصوت قدميه ويشغلهم بجرعة مشيه عمائم فيه .  
فابتدت جوقة الموسيقى وعددها ستون شخصا تقريبا . هنالك افتكرت فيما  
يقولون عنه بالمثلث والمثاني واضفت عليهما من عندياتي الخامس والرابع وتصحفت  
قاموس فكري فلم أجد ما يمكنني به وصف مجموع تلك الالخان المنتظمة  
والنغمات السليمة من كل ما يشوبها أو يزعج احساس سامعيها ( كما شاهدته أحيانا  
في ... ) وكيف وقد تخيل لي أن احساسى قد انقسم على نفسه أجزاء متساوية  
وأخذ كل موسيقى في الجوقة نصيبا منه فلما اجتمعت أصوات آلاتهم لم يكن  
في قدرة كل جزء من أجزاء هذا الاحساس أن يحفظ مجموع تلك النغمات كلها فلم  
يوصلها الى العقل من بابة حتى كان يحكم عليها بشئ يقربها الى فهمك  
وادراكك

أما مسرح التمثيل فقد بلغت كثرة المناظر فيه وتمام اتقانها . وجمال  
أشكالها . وكمال ما يلزمها من الاستعداد وتأثيرها على النظر الى حد يأخذ  
بالالباب . ولا يبلغه الاعراب . وحسبك أنى مع شدة شغفى برؤيته وتعلقى  
بمشاهدته مع عدم معرفتى بلغة المشخصين والمشخصات التي هي من أكبر  
المؤثرات كنت أفرح لفرحهم . وأبكي لبكاهم . وأضحك لضحكهم . وأنام  
مع من يتناوم منهم . وأستيقظ اذا استيقظ وقد شاهدت من أحلامهم  
ما شاهدوا . وهذا أظنه يكفيك في الحكم بنفسك على اتقانه ولست بمبالغ فيه . أما  
آداب القوم في الاوبرا أثناء العمل فلا أقول لك عنها سوى انى كنت افكر



انى موجود وحدى فى التياترو لولاما كنت اراه من تحرك بعض الايدى  
بالنظارات الى عيون اربابها وهذا هو الامر الوحيد الذي يمكنني به ان احكم  
على الموجودين حولي أنهم ذوو حياة وحركة وما ذلك الا لسلطان التمثيل  
عليهم . وبعضهم يبالغ فى السكون حتى يذهب بك الفكر الى أنه  
لا حركة له بالمرة وربما أخرجه فى هذا الوقت على مقتضى التعريف المنطقي  
من طور الانسان ولكن الى ما هو أعلى منه طبعاً . ثم هم لا يصفقون استحساناً  
الا بعد انتهاء كل فصل حتى لا يحدثوا خللاً فى سير العمل . وقد بالغوا فى  
احترام التياترو حتى أن من أراد فى الفترة التى بين الفصول وبعضها ان يشرب  
دخاناً أو قهوة أو خلافاً خرج الى خارج التياترو بالمرة . ثم انك ترى القوم  
وقت دخولهم وخروجهم مرة واحدة من غير غوغاء ولا شحناء فلا تكاتف  
ولا تراحم ولا تخاصم والحق انما هو للاول فالاول

### ﴿ استبداد أم استبعاد فى أوروبا ﴾

توجهت ذات ليلة الى أحد تياترات هذه العاصمة فى بستان فينيك  
( فينسيا ) فشاهدت به ألعاباً جميلة جداً بين تشخيصية وجمالية ولقد كان  
بين القائمين بهذه الاخيرة أربع بنات شقيقات فدهشت لسرعة خفتهن واتقان  
العبهن حتى تخيات ان أجسامهن ليست كأجسامنا وان سرعة البرق أو  
الكهربائية انما أخذت عن حركاتهن لانها كانت أسرع الى العين من الخاطر  
الى الذهن فراقبني ذلك جداً منهن وشاقني الى التزود منه مرة أخرى  
فقصدت هذا المكان فى الليلة الثانية وما هو الا ان أتى دورهن الذي كنت  
أنتظره بفروغ صبر حتى ظهرن بوجوه كئيبة وعيون ملؤها الدموع وأخذن

يؤدين مأموريتهم بحركات ثقيلة يلوح من خلالها التكلف والتأفف فقلت  
يا سبحان الله أهكذا ينقلب الحال بين طرفي نهار واحد؟ فلما انصرفت  
جلست بأحد النوادي العمومية للاستراحة قليلا فوجدت رجلا يقرأ  
جريدة هذه الليلة وهو بين متألم ومحوّل فسألته رقيق لي له معرفة به فقال ان  
في تياترو كذا أربع بنات قد ماتت أمهن التي هي سندهن الوحيد وحصنهن  
التريد عصر هذا النهار فأرسلن الى مدير التياترو وامتدارا عن عدم قدرتهن  
على الحضور اليه في هذه الليلة فقصد من فوره باب المحكمة وأرسل اليهن بانذار  
يهددهن فيه بأنهن ان لم يحضرن حسب عهدهن الممضى منهن كن ملزمات  
بدفع مبلغ عظيم يفوق أجرتهن طول السنة غرامة له ولما لم يجدن من حيلة  
ولا وسيلة تركن بالمنزل جثة أمهن وأغلقت عليها الباب وأتين الى التياترو ليؤمن  
بما عهد اليهن على ان العابه غير متوقفة عليهن لان به غيرهن بضع مئات  
من اللاعبين واللاعبات.

فانظر رحمى الله واياك الى هذه القسوة البربرية والمعاملة الوحشية  
واحكم بفكرك هل الاستبداد والاستعباد موجودان بأواسط أفريقيا أو بين  
ظهرانى أوروبا التي تدعى حصر الانسانية في أفرادها وتقول بأن الشفقة  
 والمرحمة من عواطف المدنية التي وصلوا منها الى ما لم يصل ولن يصل اليه  
غيرهم !!

﴿ الانتقحانة في فينا وآخر أيام الستة بها ﴾

لم يكن عندي من الوقت للتفرج على متاحف هذه المدينة غير أربع  
ساعات فقسمتها على ثلاث منها وهي

﴿ متحف الصنائع والفنون الجميلة ﴾

هذا المكان . شاهق البنيان . مشيد الاركان . جمع بين جمال الصناعة . وجمال الصياغة . ونخامة المنظر من الخارج . وجلال الهيئة من الداخل . حتى اذا خطوت من بابه شعرت في نفسك بواجب احترامك اياه فتمشى الى قاعاته الفخيمة وأرضها من الابنوس وكأنك بين يدي ملك من الملوك أو قيصر من القياصرة والزارون من حلوك كأنهم حاشية لهم وقد وقف اللسان عن الكلام . حتى لا تكاد ترى غير تحريك الاقدام . بكل أدب واحتشام فبدأت بالدور الارضى وفي كل قاعة منه خادم لها بلباس خاص وفيها دروع وزرور ملوك البلاد التي كانوا يلبسونها في حروبهم وهي على أشكال وأصناف فمنها غطاء للرأس فقط وله وللصدر ثم للجسم كله بمفصلات تسمح بتحريك الاعضاء بما في ذلك قنمازات (جوتى) ذات سلاميات متحركة وكل ذلك من نحاس او حديد ومنها ما هو على شكل شبكة من حديد او فضة على مثال الفنلا المقلدة من صدرها مما يسمونه بالزرد . وبين هذه الدروع انواع البنادق القديمة وكلها من ذوات الشطف وكرانيفها من خشب أو فضة او عاج أو ذهب او صدف وركابات مثل ركابات العرب المعروفة بالركابات التركيه بين طويل وقصير وقد صيغت من النحاس أو الحديد أو الفضة أو الذهب . ورماع على أشكال وألوان وطبول صغيرة للحرب كالتى تسمى عندنا بالنقرزان أو النقاريات . وكذلك دروع للخيل منها ما هو لبعض الاعضاء أو للجسم كله بحيث لا يظهر من الحصان الا عيناه وهي من الحديد أو النحاس . وترى بقاعات أخرى لوحات عليها صور وقائع حربية بارزة في غاية الاتقان وقد صنعت من النحاس أو الذهب أو العاج .

ثم آلات للطرب بين عود وقانون وناي وكمان وغيرها . ومن الطف ما شاهدت  
بهادولاب صغير من الخشب لا يزيد ارتفاعه عن ٧٥ سنتيمترا وهو مستطيل الشكل  
عرض كل جهة منه ٤٥ سنتيا وفيها ٤٨ درجا اعنى ان مجموع ما في هذا الدولاب  
الصغير ١٩٢ درجا وهو من خشب الابنوس . وفيها اطباق كبيرة من صدف  
واحدة وأخرى من العاج أو العقيق أو الذهب وعلى الجميع نقوش غريبة جدا  
يطول بنا شرحها وبها كاسات وأكواب وأوان وتمثيل من معادن مختلفة  
وصناعات متغايرة ونقوش متشكلة أو متباينة . وهناك قاعة أخرى بها من  
أنواع النجارة القديمة والحديثة ما يدعش العين كدواليب وموائد وكراسي  
وكلها من الخشب الثمين وقد نزلت عليها أسلاك الذهب والفضة والعاج والصدف  
باشكال توقع رائبها في إشكال اذا ما أراد المقارنة بينها . وبين ذلك اطباق من  
الصيني رسمت عليها الوقائع الحربية . وغيرها من البلور المرصع بالاحجار  
الكريمة وبجوارها هيكل عظيم قامت عليه منارة صاغتها يد صانع متفنن  
وعلى المنارة تمثال من ذهب يأخذ سنانه بالابصار . ثم خريطة البلاد من نحاس  
وقد وضعت عليها المدن والجبال والانهار بالرسم البارز وهي من الاشياء  
الجديرة بالذكر ثم تري بقاعة أخرى تمثالا يشبه أبالهومول المصري ( الذي هو  
رأس انسان على جسم أسد رابض ) الا أن الاول رأس انسان على جسم  
حصان يجرى .

فاستلفت نظري هذا الشكل الغريب وهناك قارنت بين الرمزين  
فرايت ان الاول وقف بل قعد مرتكنا على ما كان لا باءه من سابق المجد  
وميت العظمة أما الثاني فانما يجرى الى الامام لاشئ يردده ولا مانع يحول بينه  
وبين غرضه كما لا غاية أمامه يقف عندها لان كل غاية يسعى اليها ليست الا

عبارة عن مبدأ لغاية أخرى يحد في الوصول الى نهايتها لينتقل منها الى غيرها وهكذا مرددا في عالم بحثه واجتهاده هذا المثل الذي انما نردده على السنتنا عندما نشاهد أمرا من عمل الغير يعجبنا (ما من كمال الا وعند الله اكمل منه)

وكأني بأسلافنا الاقدمين تذبوا بما سيؤول اليه حال بنينهم بعدهم من الدعة والسكون فرمزوا لنا بهذا التمثال (أبي الهول) ليقول لنا ان أصغر حيوان حركة الامل . خير من أسد قعد عن العمل . وليظهروا الى المصري أنه وان قعد به كسله حتى سبقه غيره اذا نهض بحكم طبيعته فانما ينهض بقوة الآساد التي لا تقف في طريقها الموانع وتهرب من لقاءها الصعوبات .

ومنها تماثيل من البرونز والحجر تشخص لك الانسان بكل أعضائه حتى . . . قائلة لك بلسان حالها لاهياء في العلم . وفي قاعة أخرى وجدت بعض آثار مصرية مثل موميات وأدوات منزلية بينها مسارج كالتي عندنا ( لعلك تعرف المسرجة ) وهي أداة صغيرة من الفخار لا تزال في كثير من احياء فلاحي بلادنا الفقراء أما المتوسطون منهم فقد تركوها الى أقبح منها وهي هذه اللببات الصفيح التي لازجاج لها حيث لا يخفك ما ينجم عنها من الخطر على الصحة والحياة .

أرجوك ان تقف معي قليلا عند هذا الحد الاخير وتحكم حكما عادلا علينا وعلى القوم الذين أنا بين ظهرانيهم الآن فهل ترى مادة بأي قانون تضع لك الفرق بيننا وبينهم ؟ كلا ثم كلا . وكيف وقد انتقلوا من المسارج التي بدون شك كانوا استمدوها منا وقت ما كانت الشمس مصباحهم النهاري والقمر والنجوم مصابيحهم الليلية الى الشموع ثم الى اللببات البترول على أشكال كثيرة ثم الى غاز الاستصباح ثم الى البنزين ثم الى الكبر بائية التي هي من الغرابة بمكان عظيم . وربما وصلوا

الى غيرها مما يكون أرقى منها . . فالى أى طريق هم سائرون، والى أى  
هاوية نحن نازلون؟ فاللهم اهـدنا صراطك المستقيم صراط الذين أنعمت  
عليهم بهذا النشاط . واجد والاجتهاد . التى من ورائها الخير والثروة والعبادة  
انك على ما تشاء قدير . اللهم أرشدنا الى خيرنا ولا تكلنا فى ذلك الى أنفسنا  
فإنها شغوفة بحب الماضى والفخر بالعظم الرميم لاهية عن الحال غير ناظرة  
فى المستقبل . اللهم انى وقومى وثقنا كل الوثوق بكرمك حتى وقر فى نفوسنا  
انا نجوع لتطعمنا وننام لتغطينا راضين ظاهراً بهـذا القليل من دنيانا لننال  
ذلك الكثير ( الذى وعدت به المتقين ) فى آخرتنا . اللهم انا قد ذهب بنا  
الخبط فى ثقنتنا بنعيم الدار الآخرة الى الحد الذى تخيلناه معه وهو بين أيدينا  
واكتفيننا بذلك مهملين دار المعاش التى أمرتنا بالسعى فى منابكها وانما خلقتنا  
للعمل بها لالهدالكسل الذى اتخذناه آلة للتوكل عليك حتى ذهب البعض  
الى انه من ضروريات الدين وهو براء منه . اللهم انه ينفعنا كما لا يتفصك أن  
تبت فىناحب العمل لنكون سعداء فى الدارين واعف عن تقصيرنا فى أوامرك  
التى ضمننت لنا باتباعها هاتين السعادتين لانه أو شـك أن يكون قصـوراً عن  
ادرا كنا ثمراتهما . انك على ما تشاء قدير وبالاجابة جدير .

### ﴿ الدور الثانى ﴾

أما الدور الثانى فكل قاعاته على جوانبها لوحات من الرسوم الغريبة  
التى تدهش رؤيتها الناظرين لاقربها من الحقيقة ولكن لكونها هى اياها  
ويظهر لى أن القوم لما اجتهدوا فى علم الموسيقى الذى رقى فيهم حاسة السمع  
الى معرفة كل دقيقة من معانى الاصوات اشتغلوا أيضاً بفن الرسم الذى به

ترقت حاسة أبصارهم الى الدرجة التي بلغت أسماعهم حتى اذا أبصر احدهم شيئاً ووقع نظره منه على دقائقه فانه يعرف كنهه ما فيه من المعاني واحتوى عليه من المباني. ثم يجيل فيه حاسة ذوقه التي تربت عنده بالتبعية للحاستين السابقتين فيقبل الحق وينبذ الباطل. وهذه الرسوم التي يتخيل لك أنها ذوات روح تشاهد حركاتك وسكناتك وتسمع صوت ضميرك الذي يخرج من بين شفقي إعجابك المضطربتين لدي ما يقوم بها من هذا الجمال والجلال وقد منعها من كلامي تلك العظمة وهذه الكبرياء حتى اذا ما خطوت عنها خطوة التفتت عنى وكان لسان حالها يقول لى « نحن تترفع أيها المصرى الكسلان عن مخاطبة مثلك فاذا سلكت سبيل الجهد والاجتهاد شكرتك ورفعت منزلتك عندي فى مكان احترام يجدر بنظري اليك والتفاتي نحوك »

ومن أعجب ما رأيت به بين تلك الرسوم صورة أناس من قدماء القوم وقد قطعوا رأس رجل من عنقه وكانما الدم يسيل من أوداجه والرأس ملطخة به ثم أخذها رجل منهم ووضعها فى اناء بين يدي امرأة معهم وهى هاشية باشة كأنما عثرت على ضالتها التي كانت تشدها. فاذا عرفت ان هذه المرأة انما هى جدة هذا الجنس الذي يعبرون عنه الآن بالجنس اللطيف وقارنت بين مائته تلك الضارية وما وصل اليه اليوم احساس بناتها من الرفاهية التي رقت من قلوبهن وجلت من صدرها عرفت مقدار ما انتقلت اليه الاخلاق والعوادئ عندهم من تلك الوحشية والهمجية والفظاعة الى هذه الرقة واللطافة والوداعة.

ثم لوحة عليها فرسان من أهل البلاد الاقدمين ( من خمسة قرون على الاكثر ) وقد أغاروا على آخرين منهم وهم يقتلون أبناءهم ويسبون نساءهم

ويستعبدون رجالهم لا يعظفهم عليهم عامل شفقة ولا مرحة فأذ كرني ذلك  
مايشاكله من أحوال العرب في الجاهلية مما يذكروه الأفرنج عنهم ويهتمون به  
الموجود منهم الآن بقلم التحامل الذي يصفهم بأقصى ما وصلت أو تصل إليه الوحشية  
وقد نسوا ما كان لأبائهم من هذه الفظاعة التي تثبتها آثارهم التي بين ظهرانيهم  
وقد عموا عنها والغرض يعنى ويصم.

ثم ترى لوحة أخرى والملك فيها راكب وحده عربية مثل عربات  
الصندوق (الكرو) الطويلة والعرجى جالس على عريشها وقد أحاط به  
خيله ورجاله وأغاروا على قوم فسبوا وقتلوا وسلبوا. فانظر بالله عليك الى هذه  
العربة القديمة ثم انظر الى عربية الاتوموبيل التي تمشي وحدها بالكهربائية  
الآن فتشاهد بعينك أى تقدم وصل اليه القوم. ثم اسمع بنظرة الى هذا  
المحراث الذي رسمه قدماء المصريين على آثارهم مما يبعد عنا بأربعة آلاف  
سنة والذي نستعمله الآن وهو بعينه واحكم بما شئت لنا أولهم وعلينا أو عليهم  
والسلام.

### ﴿ متحف التاريخ الطبيعي ﴾

هي فى بنائها مثل الأولى رسماً وشكلاً يفصلها عنها بستان لطيف جداً  
قامت على جوانبه الأربعة فسقيات من الرخام على أشكال مختلفة وعليها تماثيل  
عجيبة وفى وسط البستان تمثال الامبراطورة ماري تيريزه احدى ملكات  
النمسا وهو فى غاية الجمال والجلال وهذه الملكة حكمت البلاد فى وسط  
القرن الثامن عشر بعقل وحزم مدة أربعين سنة وقد وضع أساس هذا المتحف  
والذى قبله فى سنة ١٨٧٢ وأول ما يرى الداخلى فى هذه قاعات كبيرة بها



دواليب حوت جميع أصناف المعادن من أحجار مختلفة وذهب وفضة ونيكل ونحاس وماس وزمرذ وياقوت وزبرجد وفيروز ( هذه التي أمكنني معرفة أسمائها ) وهكذا من كل ما انطوى تحت باطن الارض ثم تري بغيرها أشجارا ومعادن وأوراق أشجار متحجرة ثم الاسماك والاصداف والقواقع على جميع أشكالها وأنواعها ثم هياكل حيوانات متباينة استتلفت نظري منها هيكل عظيم جدا على شكل الضفدعة تماما وجسمه أكبر من الفيل ثم هيكل حيوان بحري هائل الحلقة وله ثمانية عشر ضلعاً كل ضلع منها بقدر ضلع الجمل خمس أو ست مرات ثم فك حيوان في طوله أربع أسنان كل واحدة طولها نحو عشرين سنتيمترا وعرضها نحو خمسة عشر وارتفاعها خمسة أو ستة سنتيمترات . وغير ذلك من الهياكل الهائلة والاسماك المتحجرة . ثم رأيت هيكل يتبل بقدر الجمل وقرونه يبلغ طول الواحد منها نحو مترين وعرض ما بين شعبها نحو متر ونصف . ثم تري ملابس الامم على اختلاف أجناسهم بين شرقية وغربية وهيئة منازلهم وخصوصاً الشرقية بين صينية ويابانية وقد صيغت من الخشب والحوص . وهنالك لاحت مني التفاتة فوجدت مصحفاً شريفاً مفتوحاً بين آثار هذه الامم الشرقية فنظرت فيه فوقع بصري على هذه الآية الكريمة ( لو أنفقت مافي الارض جميعاً ما ألفت بين قلوبهم ولاكن الله ألفت بينهم ) فوقع في ذهني للحال أن أول الضميرين المظهرين الاخيرين عائد الى أصحاب الآثار الشرقية وثانيهما راجع لجامعيها ( وان كان على غير مراده تعالى ) فأسفت وحوقلت واستمررت في طريقي وقد تمثل أمامي الشرقي وكسله وان كان هذا ليس محله ولم أجد وقتاً أستثني فيه من الشرقيين أمة اليابان لان الاستثناء حاصل من طبيعته حيث قد أبى النظام

الالهى الا أن يكون لكل قاعدة منه نصيب . وهم ولا شك نصيبه من الشرقيين .  
وربما يذهب بك جهلك بتقدمهم أو حسدك لهم على ما وصلوا اليه من  
التقدم الحقيقى أن تردفهم بالغربيين ولا تكنك اذا علمت ان اشتغالهم بالمدينة وسيرهم  
فى طريقها لا يبعد عن خمس وعشرين سنة من يومك هذا فلا شك انك  
تجعلهم فى مقدمة الجميع اذا علمت ما وصلوا اليه من التقدم السريع فى هذا  
الزمن اليسير خصوصا اذا علمت النسبة بينهم وبين الغربيين فى الزمن الذى قطعوه  
فى طريق مدينتهم وان كان الفضل للسابق على كل حال

ثم انتقلت الى قاعة أخرى فرأيت بها أصناف الحيوانات على اختلاف  
أنواعها بين سبع وفيل وزراف ونعام ونمور وقرود مختلفة الاشكال وغزلان  
وضباع وذئاب وتياتل ووالخ وقد بدت لك وهى مصبرة كأنها ذات روح  
لا يمنعها من الايقاع بك سوى ما يلقى عليها جلال هذا المكان من السكون  
الذى ألقاه عليك كما لا يمنعك من الخوف والانزعاج منها سوى شدة رغبتك  
فى التفرج عليها والوقوف على حقائقها . ثم دخلت الى قاعة فوجدت بها أشكال  
الطيور على اختلاف أنواعها ورأيت من ضمنها هيكل طائر اكبر من الفيل .  
وبجوارها قاعة أخرى بها أجناس العصافير والبلابل والعنادل وغيرها مصبرة وقد  
لبست حللا مختلفة بين خضراء وحمراء وبيضاء وزرقاء غاية فى الجمال والرواء .  
ومنها ما لبس حلته وقد جمعت بين جميع الالوان بشكل جميل فاستمالت الى  
مراها بصرى بكليته حتى أنها لم تجعل للاذن من سماع أصواتها وأغانيتها  
نصييا . وبعدها قاعة فيها هياكل حيوانات بحرية وفيها هيكل يبلغ طوله خمسة  
وعشرين مترا ورأسه اكبر من رأس الفيل وفى ظهره تسع وخمسون فقرة  
حجمها على نسبة طولها . وبالجملة فهذا المتحف قد حوى كل نوع مما فى باطن

الارض وما هو على ظهرها من خلق الله تعالى بين حيوان ونبات ومعدن مما  
لا يسع الكاتب حصره في مجلدات ضخمة .

### ﴿ الانتكخانة التجارية ﴾

هذا المكان عبارة عن معرض لكثير من أصناف الصناعات الشرقية  
والغربية وعلى الاخص الاولى منها . فترى به الصياغة المصرية والصناعة  
اليابانية والصينية والهندية والشامية والتركية والمغربية من حلي وحلل وأوان  
مختلفة جعلت لتكون نموذجا يدرس عليه أهل الصناعات من أبناء هذه البلاد .  
فهي أستاذ لهم اذا أرادوا فيأخذون عنها ما يدخلونه في صناعاتهم ويزيدون  
عليها ما يشاؤون مما يسمح لهم به جدهم وتفنههم اللذان لانهاية لهما .  
وأغرب ما شهدت بها قاعة أثرية تمثل لك ديانة البوذيين من الهنود  
والصينيين وفي صدرها هيكل متقن الصنع في أعلاه تمثال بوذا (اله السواد  
الاعظم من الهنود) وفي يده قضيب وعلى رأسه تاج وقد ترتب على قاعدة مربعة .  
وكل ذلك من نحاس أصفر وحوله أوان بها أشجار وأزهار وبجانبه مما يلي  
القاعدة التي يجلس عليها تمثالان صغيران (ولداه أو وزيراه) وأمامه مما يلي  
رجليه تمثال آخر وكأنه وقف بين يديه لتنفيذ أوامره . وحول الجميع مباحر  
وزهريرات وشمعدانات على هيئة شجرة تنتهي فروعها الى الشموع وهي  
من البرونز ومن غريب الصناعة بمكان . أما المباحر والزهريرات فبعضها من  
البرونز وبعضها من الصيني وهي من أنحر ما يرى الراؤن . وأرض القاعة مفروشة  
من الخصير الصيني وقد وضع على طول السقف وعرضه مثال طائر هائل  
الخلقة صنع من الخشب على شكل خاص به لا أدري ان كانت صورته خرافية

أو لها حقيقة في عالم طيورهم . ولقد رأيت بهذا المتحف سريرا صينيا غاية في حسن الصناعة وهو عبارة عن أودة صغيرة من الخشب مربعة الشكل طول كل ضلع منها ثلاثة أمتار وفي مدخلها كرسيان أحدهما بذات اليمين والآخر بذات الشمال ( على شبه المكاسل التي على أبواب المساجد ) . يليهما محل الفراش وقد ضربت على الجميع قبة من أحسن ما يمكن أن يشاهده الانسان وكل ذلك من الخشب . وبها منافذ ليدخل النور منها اليها وقد غطيت بشيء حسبته أولا من الزجاج المصنفر قامت عليه الرسوم من جميع الاشكال البديعة لولا أني لامسته فوجدته من الحرير ولكنني عذرت عيني في انخداعها الى هذا الحد لما فيه من كمال اتقان الصناعة النادرة المثل في بابها . ثم وجدت فلوكة يابانية صغيرة من البرونز طولها نحو سبعين سنتمرا وعرضها نحو خمسة عشر فيها خمسون رجلا كل واحد بيده مجذاف وفي وسطها كشك من محاسن الصناعة وهذا دليل على تقدم القوم في بحريتهم قبل اليوم . وفي هذا المكان غير ذلك من أعمال النجارة العربية القديمة وخلافها مما يطول بنا شرحه .

### ✽ الغرض من وضع الانتكخانات ✽

من يشك في أن لنا أنتكخانة من أحسن متاحف الدنيا ان لم تكن أحسنها . إلا أنها بكل أسف بعيدة عن افادتنا بالمرّة بل ( أستغفر الله ) نحن بعيدون عن الاستفادة منها فان المصري اذا غلط وتجشم الصعوبة لزيارتها فهو كأنه ذهب ليتفرج على شرك ( تياترو تلعب فيه خيل وكلاب ) ان لم أقل ان هذا يستميل نظره ويستدعي التفاته أكثر لانه يخرج منه وهو يقص على من لم يشاهده من جميع اخوانه كل ما رآه فيه من الالعب التي حركت من إعجابه

وغرابته . وان كان هذا الزائر ممن يحبون البحث أخبرك عن عموميتها من حيث أبهة محلها . وإحكام نظامها . هذا هو الحاصل عندنا وربما كان لنا العذر في ذلك لبعدها المسكان عن السكان حتى اذا وصل الزائر اليه يكون قد حل التعب منه محل ارادته ورغبته في مشاهدة ما فيه من الغرائب فيدخلها وقد خارت قواه وضعفت عزيمته وصار غير مفكر الا في الدقيقة التي يبارحها فيها ليستريح من مشقة بعد المشقة . أما وقد وضعت هنا ( بفيينا ) وسط المدينة وفي جانب من الانتكخانة الاولى مدرسة الفنون والصنائع ومن الثانية مدرسة الجيولوجية والتاريخ الطبيعي والثالثة قد وضعت بين يدي التجار والصناع فقد شاهدت أثناء زيارتي لها خلقا كثيرا هذا يرسم لوحة مما فيها وذلك يدرس أثرا وغيره يبحث عن تركيب معدن وخلافه يشتغل بطبيعة حيوان أو نبات وسواه يجد في الوقوف على صناعة من الصناعات ولا يخفك ما في وضعها بمقربة منهم من التسهيل على الباحثين وعدم ضياع وقتهم الثمين في ذهاب واياب منها واليهما عدا ما يتجشموه في ذلك من المصاريف التي ربما تعدت حد استطاعتهم . ومن ذلك ترى القوم في تقدم مستمر لانهم يبحثون عن حقيقة الاثر الذي تركه لهم الاولون فاذا عرفوه لم يقفوا عند حده بل يعملون على ترقيته كأنهم يقولون في أنفسهم اذا ترك لنا الآباء هذا وانتفعنا بما حصلناه منه فلم لانعمل لابنائنا نحن أيضا فنترك لهم أثرا بعدنا كما فعل آباؤنا معنا وكأنما أدركوا أن هذا دين عليهم خلفهم فيقول كل منهم هذا دانتى به أبى فأرده الى ابني بفائدته نظير انتفاعي به . وبالجملة فليست هذه الانتكخانات الا بسكا أهليا أدبيا فتح في البلاد ورأس ماله قليل فلم يلبث ان أصبح أهله وذووه من الثروة والسعادة بما أكل الى ذكائك تقديره .

﴿ المعرض المصري في فينا ﴾

دعاني صديق لي من أهل البلاد للتفرج على هذا المعرض فلبيت طلبه  
مفتكراً أنه شيء يستوجب الاهتمام فتوجهنا الى جهة البراتا ودخلنا بستانا  
للحيوانات بجوارها وأول ما وقع بصري على بنات من الاعراب على هياتهن  
البدوية وفي أيديهن صور عرب على جمال وخيل مختلفة الشكل يعنها على  
المتفرجين وبعضهن يتسولن في طرقات الحديقة ولم نلبث أن مررنا على شاب  
مصري في عشة من الحصير وهو مشغول بقلي الحمص والفول السوداني ثم على  
آخر بجواره يعمل القلل وبينهما قهوة حقيرة من قطع قماش قديم كثيفة المنظر  
كالتى تراها في الموالد الصغيرة وفيها بعض دكك من الخشب وسخة وفي  
مقدمتها نصبة عليها السلاحى والكنك والفناجين وبجانبها شيشتان من الزجاج  
أو من الطين للتراب الذى تراكم عليهما . وفي صدر المكان دكتان قد ضمتا  
الى بعضهما جلس عليهما رجل بيده عود صوته أشبه شيء بصوت وتر قوس  
المنجد وآخر بيده رق قد صيغ من جلد ثور مثله وآخر معه دربكة لها دربكة  
تشبه الرعد وأمام الجميع امرأة شوهاء عرجاء براء وربما كانت عوراء أو عمياء  
وهى آونة تغنى بصوت أنكر من صوتها وحيناً ترقص أو بعبارة أخرى ترفض  
بجال تضحك الشكلى أو بالاحرى تبكى العقلاء والناس من حولهم يتغامزون  
ويتقهقون قائلين لبعضهم هذا هو الرقص المصرى وذلك هو ناديهم الذى  
يجتمعون اليه فانقبض صدري وامتلأ قلبى بالحزن وقات في نفسى الهم لاحول  
ولا قوة الا بالله . هلا كان في بلادنا شيء يستميل الاوروبى غير هذا الذى  
يشمئز منه المصرى أكثر من غيره . ثم سرت قليلا فوجدت دائرة واسعة

أحاطت بها الكراسي وجلس القوم عليها من نساء ورجال وأطفال على اختلاف طبقاتهم وما جلسنا بها حتى دخل إليها جماعة من البدو من نساء ورجال وقد امتطى الرجال خيلهم وهي كالكلاب الضئيلة وركب النساء جمالا كالمعز بعد ما أوردفن خلفهن أطفالهن وأخذ الكل يصيحون ويصرخون كمن به جنة ثم ترجل الرجال . وأناخوا الجمال . وابتدؤا يصنفون للنساء فيرقصن محركات هذه الاجسام الثقيلة الرذيلة وهن في ذلك يمثلن للقوم رقص الاعراب بل الدباب وكأن الواحدة منهن قد صيغ جسمها من صخر . أو تمساح خرج من بحر ( ولا نخر ) ثم انصرفوا بعد هذا الفصل البارد الى أبرد منه فدخلوا ثانيا في هذا المرشح على شبه قافلة وبينما هم يسرون باغتتهم لصوص منهم فأوثقوا الرجال الكتاف وسبوا النساء وأخذوا الكل مع المال الى حيث ألت . ثم ظهر بعدهم مشايخ قد لبسوا العمام وأرخوا العذبات وصاروا يمثلون الاذكار ويحرقون اجسامهم بالنار . ويأكلون الزاحفات . ويشخصون الصلوات . مظهرين للقوم أنهم من رؤساء الدين . وأهل اليقين . وأئمة المسلمين . بل وخلفاء سيد المرسلين . ثم انصرفوا بلعنة الله والناس اجمعين . وكنت في أثناء ذلك اكاذاً تميز من الغيظ وقد لاحت على وجهي علامات الكآبة والحزن فقال لي صاحبي مالي أراك قد انقبض صدرك . وتغير لونك . ألم يسرك أن تنظر الى أثر بلادك وتري شيئاً يذكرك بدينك؟ فقلت رويدك ان كل بلاد فيها الكمال والنقص وهذه كلها نقائص يجها الذوق السليم عندنا ولا يعمل بها الا السفلاء وهم كثيرون فينا وفيكم . وأغلب ما شاهدت الآن لا حقيقة له بديارنا ولا كنهم يعملونه على شكل بنطوميم ليضحكوكم أو يضحكوا منكم به . أما هؤلاء الذين يمثلون الدين على ما تقول فهم خارجون عنه وهو بريء منهم . لان الدين الحنيفي خلو من ذلك كله وانما هم من السفلة العظلة

الذين لم يتيسر لهم العثور على مهنة يكسبون بها قوتهم فيعملون ماشاهدت  
ويتخذونه حرفة تقوم بعيشهم وهم في ذلك كاللصوص أو قطاع الطريق وغيرهم  
من المشتغلين بما يضر ولا يعود بخير على النوع الانساني . ثم ظهر أمامنا  
في المرسح صبيان وشبان يابانيون بملابس قصبية لطيفة المنظر جميلة الشكل  
وأخذوا يلعبون ألعاباً جبارية مما يدهش الفكر ويحير العقل فقطعت كلامي  
واستأنفت نظرننا اليها وشخص لها جميع الحاضرين وأنا أمسح ماء الخجل  
عن وجهي قائلاً في نفسي ليت هؤلاء كانوا قومي حتى كنت أفتخر بهم أو  
على الأقل كنت أكتفي مؤنة هذا الحزن وذلك الخجل . فالى متى أيها الغبي من  
المصريين تكون آلة صماء بيد الاجنبي الذي يضحك منك ويضحك الخلق  
عليك بأجر زهيد يشترى به منك دينك وشرفك ووطنك وبتاع منك  
أهلك وذويك وأنت فيما بين ذلك الطائع المختار أيها الحمار . اللهم هب السفلة  
منا أبصاراً ينظرون بها وآذاناً يسمعون بها . وقلوباً يعقلون بها . وعقولاً يدركون  
بها ما يريد الاجنبي منهم . ان هو الا يريد أن يظهرهم أمام الاوروبي الذي هو  
لا غيره في مثال السائمة ويسقطهم في عينه فلا تقوم لهم بعدها قائمة فيرجعون  
على أنفسهم باللائمة والندم ولات ساعة مندم .

❖ سراي شونبرون وهي سراي الملك الصيفية ❖

توجهت لزيارة هذه السراي الملوكية وهي في ضواحي المدينة من الجهة  
القبلية ويصل اليها الترامواي من جميع جهاتها فوجدتها من حيث بناؤها ليست  
أحسن من مماثلاتها عندنا ولكنما بها بستان في غاية من العظم فانك بمجرد  
دخولك اليه ترى فناء عظيماً على شكل مستطيل يبلغ مسطحة خمسة أو ستة



أفدنة قد زرع بوسطه حديقة على الطراز الانكازي أى زهرية فقط . وعلى الجانبين فى طول الزهرية ترى أشجارا قد أدخلت فروعها فى بعضها وقد قطعت كلها مما يحاذى الزهرية بمستوى عمودى على الأرض على طول المستطيل من الجهتين وقد تداخلت أوراقها ببعضها حتى تراها كأنها حائط خضراء ذات ارتفاع هائل يبلغ نحو خمسة عشر مترا وقد فتح فى هذا الحائط بوابات كثيرة فى نفس فروع الشجر غاية فى الانتظام موصلة الى دهاليز قامت حيطانها على الشكل المذكور وهذه توصل الى الجنينة الحقيقية التى تنتهى الى أورمانات كبيرة وفى أثناء اندهاشى من هذا العمل وهذا النظام كنت أتفت يمينا وشمالا فلا أجد ورقة من الحوائط خارجة أو داخلة عن أختها . وبعد أن انتهينا الى آخر المستطيل وجدنا فى ضلعه المقابل للسراى فسقية هائلة جدا تصل طرفيه ببعضها وفى جانبها طريقان يصعدان الى جبل عليه كشك بديع قام على أعمدة من المرمر على طول هذه الفسقية وبينه وبينها بركة لطيفة على طولها فيها ماشاء الله من الاسماك اللطيفة المختلفة الالوان بين أحمر وأخضر وأزرق وأبيض وذهى وفضى وهكذا وقد قامت على هذا الجبل زهريات على جوانب الكشك . وفى منحدره من الجهة الأخرى بحيرة عظيمة بها أشكال الطيور المائية وفيما وراءها محلات الحيوانات من جميع الاشكال والانواع وهذا البستان هائل جدا وفيه كثير من الجباليات التى ينزل منها الماء على هيئة الشلالات وقد أقيم على احداهما سنة ١٧٧٧ مسلة مصرية يبلغ ارتفاعها نحو عشرين مترا وعليها نقوش هيروغليفية . وبالجملة فهذا البستان من الابهة والعظمة بمكان . وهو جدير بمشاهدة الزائرين اياه وقد فتحت أبوابه لنزهة العموم حتى لا يحرم أحد من مناظره الجميلة وأجملها تربية الاشجار

وقطعها على النسق الذي عرضت صورته على عينك وان كنت أود أنك ترى  
عينه بنظرك حتى تحكم بأن الوصف مهمل كان . لا يبلغ حقيقة هذا المكان

﴿ الاخلاق في فينا ﴾

قد اشتهر النمساويون بحسن الخلق . وجمال الخلق . وكمال الخصال .  
ولطافة الخلال . وكثرة الادب . ولين الجانب . ورقة الطبع . حتى تراهم وقد جمعوا  
ما حسن من اخلاق المصري وأضافوا اليها انكبابهم على العمل وعدم اشتغالهم  
الابما يفيدهم ويعود بالخير على النوع الانساني معهم . ولقد اشتهر نساؤهم  
بالجمال الباهر . والوجه الناضر . الذي يزيد في بهجته عدم تشويه زهرته  
الطبيعية بتلك الجمالات وان شئت فقل المشوهات الصناعية مع ما يليق عليه  
بساطة الملبس ونظام الخطوات ورزاقه العقل وتام الادب والتؤدة في السير  
الى العمل من حلي الكمالات التي هن في غنى بها عن الحلل الفاخرة والجواهر  
القيمة والجمال المستعار . وأغلب القوم فقراء من كثرة ما عانوه من كرب الحروب  
وشدة الخطوب وعدم اشتغالهم بالمدينة الا من عهد قريب . ومع ذلك فان  
الحكوماتهم الفضل في تهذيب اخلاقهم الى حيث تكون ثروتهم ورفاهيتهم .  
ومن ذلك أنها سنت قانونا لا يسمح بفتح محل عمومي الا الى الساعة العاشرة  
مساء ماعدا ليالى الاحاد والاعياد فانها الى نصف الليل . وقانونا آخر يحتم على  
من يسهر في الخارج بعد الساعة المذكورة أن يدفع الى بواب منزله غرامة  
قدرها نصف فرنك عن كل مرة يتأخر فيها عن الميعاد وفي ذلك جبر  
معنوي للقوم على عدم الاسترسال في لهوهم حتى يأتي زمن ( وقد أتى ) يكون  
لهم فيه من أنفسهم وازع عما يشينها أو يضر بها وبالجملة فاخلاق النمساويين كلها

غايات كمالات تضمن لهم كل خير في حياتهم

﴿ الفلاح النمساوى في فينا ﴾

ان أرض الحكومة النمساوية في غاية من الخصوبة . فالجهد المنحطة  
ترويهامياه الانهار . والجهد العاليه تسقيها الامطار . والرجل الفلاح وامرأته  
يشتغلان بها على الدوام بين حرث وعزيق وزرع وقلع وغير ذلك والعمل  
بينهما على السواء . وفي الجهات التي بها فوريقات تشتغل المرأة في الحقول والرجل  
في هذه المعامل . والفرق بين عمل المرأتين عندنا وعندهم في المزارع أن الفلاحة  
المصرية تشتغل بارادة زوجها لبارادتها لخصوصية وهي تقلده في بعض  
مايصنع على غير علم مما تعمل وهي في الغالب مسخرة لحمل الاثقال ولا فرق  
بينها وبين حمارها سوى أن الرجل يستعملها معا في حمل ما يريد وهي  
تستعمل أحيانا هذا الاخير فيما يجب أن تنقله على ظهره من دارها الى غيظها  
أو بالعكس وهي تتحمل المشقة والعناء أكثر من الفلاحة النمساوية . وأما هذه  
فانها تعمل بعلم وعقل وترتيب ونظام وارادة عارفة مع ذلك بالاقتصاد الزراعى  
وهو المحور الذى تدور عليه الفائدة من الزراعة .

والفلاح النمساوى محترم في بلاده ويضع على قبعته ريشة خضراء في  
الغالب لتمييزه عن غيره . ولقد رأيت كثيرا منهم في العاصمة ملحوظين من  
القوم بعين الاعتبار بل بالعين التي ينظر بها الانسان الى من يعمل بما يقوم  
بحياته . أما عندنا فالفلاح مسكين أى مسكين ويكفى في بلادنا ذكر هذا  
اللفظ لاشنع سبة وأكبر اهانة أو للدلالة على ان الشخص الموجه اليه هذه  
الكلمة في الحضيض الاسفل من الدرك الاقل ولاذنب له غير انه يشتغل

بأولى أمهات الحرف التي تتولد عنها كل هذه الصناعات التي نعجب منها ونندهش  
لرؤيتها على ان هذه كماليات يستغنى عنها في سبيل الحياة وتلك أولى الضروريات  
التي لا يقوم الانسان بل ولا الحيوان بسواها.

❖ الرسالة الثالثة ❖

❖ من فينا الى كولونيا ❖

ركبنا قطار الاكسبريس في الساعة العاشرة صباحاً ووصلنا الى كولونيا  
في الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي وكنا في أثناء سيرنا في القطار نري  
الغابات والمروج الخضراء على يميننا وشمالنا والفلاحين والفلاحات يشتغلون فيها  
هذا بمحراثه وتلك بفأسها حتى اذا وصلنا المحطة التي في الحدود الفاصلة بين  
أمالك النمسا والمانيا أتى عمال الجمر ك وقتشوا أمتعة المسافرين في هذا القطار  
وأخذوا عوائد الجمر ك ممن معه أشياء تستدعي ذلك . وبعد ان أدوا عملهم في  
نحو ربيع ساءة أخذ القطار في طريقه حتى وصلنا الى كولونيا

❖ لطيفة ❖

كنا نتناول غذاءنا وشرابنا في القطار منذ بارحنا فينا وكان شرابنا الماء  
المعدني الذي كنا نشتره من لوكاندة القطار بما كان معنا من النقود النمساوية  
فلما بارحنا الحسدود عن لي طلب زجاجة ماء معدني اسمها (چيس هبلر) وهو  
من مياه النمسا المعدنية وكنا نشربه منذ بارحنا فينا فأجابني صاحب اللوكاندة  
بأنه يستحيل عليه ذلك في أراضى المانيا لأن العهود التي أخذت عليه تقضي  
بأن يستعمل ماء النمسا في أراضيا وماء عيون المانيا في أراضيا . فطلبت ماء

من عيون المانيا فأعطاني زجاجة من ماء (بولينارس) فأردت ان أنقده ثمها من العملة النمساوية فأبى قائلاً انا في بلاد المانيا ولا تستعمل فيها نقود النمسا . فقلت ولا كنىك كنت تأخذها من قبل هذا الوقت بقليل . فقال نعم قد كان ولكن لا يكون الآن فكل أرض تعطى حكمها فنقدته جنياً انكليزيا أخذ منه نصيبه وأعطاني الباقي نقوداً المانية وأنا مندهش من تمسك القوم بعهدهم وتعصب الدول لترويج بضاعتهم التي يشترك في ثروتها الحكومة والاهالى معاً . وهكذا تكون الحكومات الساهرة على مصالحها . ولا عجب اذاً من تقدمها الى حيث ترى فيه مدينتها في الاوج الاعلى أو تسمع به وانت بعيد عنها والسلام

### ✽ يومان في كولونيا ✽

هي مدينة عظيمة لطيفة البنيان على شكل جميل فترى أغلب مساكنها صغيرة جداً لا يسع الواحد منها الاعائلة واحدة افرنكية أعنى ليس فيه زيادة عن لوازمها ولكنها غاية في الزخرفة فترى القوم قد تفننوا كل التفنن في الرسم حتى يتخيل لك ان كل بيت برسم غير الذي بجواره وترى امام كل منزل بستانا لا يزيد عرضه عن خمسة أمتار في طول وجهة المنزل وجميعها تستلفت النظر بحسن رواها وجميل منظرها حتى اذا اكرت النظر في أحدها وتركته الى غيره ولم تكف العين منه استمالها هذا اليه اكثر من سابقه لما فيه من كمال النظام وحسن النسق الذي يخالف هيئة الذي قبله وهكذا كلما مررت على منزل استعارك نظرك جميعه حتى انك لم تلبث أن ترى نفسك حائراً مندهشاً لجلال الرسم وكمال الصناعة وجمال الصياغة . وجميع مبانيها تشبه بعضها تقريباً لاني وضعها ولكن في تمام نظامها وحسن هيئتها وصغر حجمها مع عظم

نخامتها . وهذه المدينة تجارية محضة بمعنى أنك لا ترى بها رجلاً أو امرأة أو طفلة من غير عمل . أما نشاطهم وجدهم فليس في استطاعتى وصفه ولذا تراهم وقد شعروا بما فيهم من القدرة على العمل الذي جرّ لهم الثروة الطائلة والقوة الهائلة والحكمة الفاضلة في قليل من الزمن فرفعوا رؤسهم الى السماء كبراً وأنفة وهم لا يلقون نظراً الى الغريب الا شراً ويحق لهم ذلك لا لكونهم والانكليز تجمعهم جدة واحدة وانما لكونهم من هؤلاء الالمان الذين ظهرت فيهم قوة الارادة بعد حرب السبعين فنمت بها عقولهم وزادت معارفهم وعلومهم وصناعاتهم ومخترعاتهم حتى أصبحوا اليوم في مقدمة الدول قوة ومنعة وحضارة ومدنية .

وهذه المدينة مركز لمديرية الرين . وهو هذا النهر العظيم الذي يخرج من جبال الالب في سويسرا ويمر من الالزاس واللورين ثم يخترق هذه المدينة ويستمر في طريقه ببلاد المانيا حتى يصب في بحر الشمال . وهو يقسم كولونيا الى قسمين : قسم عن يمينه وهو المدينة الاصلية وفيها الميناء التجارية وقسم عن يساره وبه ابنية مستجدة وفاوريات كثيرة لصناعات مختلفة . وهذه الميناء تشبه ميناء الاسكندرية في ارضفتها تقريباً وفيها المراكب البخارية والسفن الشراعية من جميع الاشكال والانواع هذا يغدو وذلك يروح . ومن هذه المراكب وابورات البوسطة النهرية ومنها الاكسبريسات والوابورات التي تقف بجميع محطات المدن التي على هذا النهر ووابورات البضاعة التي لا تعد ولا تحصى . شئ يدهش الفكر ويحير العقل وحركة ولا حركة المولد الابراهيمي عندنا ولكن شتان بين الحركتين فهذه ليس وراءها ما يفيد الناس في معاشهم وتلك انما وراءها كل الخير والسعادة

واتساع النهر فيما يقابل المدينة ستون متراً وقد أقيم عليه كبريان أحدهما  
كوبري متحرك من مراكب خشبية بجوار بعضها وعليها درابزين من جهتيها  
وله هويس يفتح لمرور السفن وهو عبارة عن مركبين تخرجان من محلها  
في هذا الكبري الذي انما هو غاية في جمال الصناعة وكمال الاتقان مع ما هو  
عليه من البساطة . والثاني صنع من الحديد تمر السكة الحديدية من وسطه  
ولناس من جانبيه طريق للرائحين وآخر للغادين . ولكل من الكبريين  
رسم مرور سواء على الانسان أو على العربات أو على الحيوان . ولاجل  
زيادة السهولة على التجار قد عملوا لساناً من هذا النهر يدخل في المدينة الى  
نحو خمسمائة متر وبنوا على جوانبه أرصفة للبضائع وقد أحاطت به المخازن  
التجارية . وهذا اللسان لم يعمل الا من مدة خمس سنوات فقط والحركة  
فيه فوق الوصف كما أن حركة التجارة في هذه المدينة لا يمكن تقديرها  
خصوصاً بواسطة هذا النهر الذي يربط المدينة ببحر الشمال الذي هو مركز  
حركة التجارة البحرية الانكليزية والالمانية والسويدية والنرويجية والروسية  
والدانمركية والبلجيكية والهولندية والفرنساوية ومنه تساق الى جميع الاقطار  
والامصار . ولذلك ترى أهل هذه المدينة في ثروة عظيمة جداً لا تقف عند  
حد بل تزيد بتوالي الايام والاعوام . أما الصناعات التي توجد بها فهي فاوريقات  
الانسجة الحريرية والقطنية والحديد وتكرير السكر وماء الكولونيا وغير ذلك  
مما شاء الله وأراد القوم ايجاده

أما أخلاقهم فهي العظيمة التي لا تتعدى ظل صاحبها والميل بكليتهم الى  
العمل مع كمال في السير لا فرق بين الرجل في ذلك والمرأة حتى تكاد تظهر  
لك أنها هو في أخلاقه وصورته وهيئته لولا لباسها الذي لا يختلف عن لباسه

في خشونته كثيراً . وبالجملة فهي مدينة بها حركة أشغال وأعمال لا حركة  
دلال وجمال

### ﴿ محل الزهرة بكولونيا ﴾

توجهت الى مكان زهرة القوم بعد عصر يوم أحد وهو محل واسع  
الارجاء شرق المدينة يسمونه فلورا ( زهره ) فوجدته وقد احتشد اليه  
آلاف من الجنسين العاقل والعاقل ( لا اللطيف كما يعبر عنه الفرنسيون )  
فدخلنا أول الامر بستان الازهار وهو جنة جمعت كل أنواع الزهور . بين  
منظوم ومنتور . على أشكال يأخذ جمالها بالالباب ويدخل عرف رياحينها  
الى أعماق القلوب فتشعر بزيادة في قوتها . وبسطة في لذتها . وبوسطها بحيرة  
فيها فلائك وقد نزل اليها بعض النساء وهن يحركن ( أو بالاحري يحركون )  
مجازيفها بقوة أين منها قوة بحارتنا ويسقمها بشدة سواعدهن الى حيث أردن .  
وقد أحاطت بهذه البحيرة القهاوى واللوكاندات التي تستدعيك نظاقها وكمال  
نظامها وما فيها من نغمات الموسيقى الى أخذها نصيباً من وقتك . وفيها محلات  
غطيت بالزجاج من جميع جهاتها ( سير ) لتربية النباتات الغريبة وفيها مواسير  
بها بخار . ليجول جو هذه التربة الى الجو الذي تصلح فيه هذه النباتات  
أما النوفرات والنسقيات المختلفة الاشكال والاوزاع فشيء كثير  
جداً . وبالجملة فهذا البستان مشهور بأنه في مقدمة أمثاله باوروبا وخصوصاً  
بجمال رسمه . ولطافة كسمه . ورسم دخوله نصف فرنك . ثم تركناه  
ودخلنا بستان الحيوانات وهو بجواره فرأينا به سائر أنواع الحيوان  
من آساد مختلفة ونمور متغايرة وفيلة وضباع وذئاب وثعالب وخراتيت



وغيرها . وطيور متباينة كالنعام والزراف وغيرها مما يشبهها ولا أعرف  
اسمه . والعصافير والبلابل بجميع أشكالها وقد أحدث رنين صوتها هزة في  
الآذان وحركة سرور في النفس وكأنها وهي تتطير على أغصانها وتتلاعب  
على أفنانها تقول لك أين للموسيقى والبيانو وما في معناها أن تصل الى نعمات  
هذه الكائنات الحسان . فتبارك الرحمن . وبجوار هذه أنواع البغاء على أشكال  
ألوان . ولسان يتكلم بلغة الانسان . من كل مكان . وترى في هذه الحديقة  
البحيرات التي تحيط بها القهاوي واللوكندات وبها كثير من أنواع الموسيقىات  
والخلق فيها لا يحصيهم الا الواحد القادر .

وبجوار هذه الحديقة بستان قد وضعت فيه قبيلة من قبائل الاشاتي ( قوم  
في غرب أفريقية مما يلي خط الاستواء معروفون بالقوة الجسدية وشدة  
البأس ) يمثلون للقوم عواندهم في بلادهم وصناعاتهم فيها . فرأيت الرجال قد  
لبسوا فوطة الى سرتهم يسترون بها عورتهم وباقي جسمهم عريان والنساء  
يرفعن هذه الفوطة الى مايداري الثدي . ولهم مكان يجتمعون اليه بصوت  
طبولهم فيرقصون رقصهم الذي يقرب من رقص السودانين عندنا ثم يحمل  
أربعة منهم تحتروانا صغيراً عليه رئيسهم ويسرون والقوم من أمامه بين نساء  
ورجال يطبلون ويرقصون ويذهبون به الى حيث مقره . ثم ترى أكواخا  
على محيط هذا البستان يمثلون بها صناعاتهم فترى هذا يشتغل بحياكة شقة  
أو حزام وذلك بصياغة أساور من صفائح الحديد أو أسلاك الفضة وغيرهم  
يطبخ بما يشبه طبيخ السودانين . ومنهم من يحرس الاولاد في المنزل وهو  
يعاملهم بالقسوة عند ما يرى منهم أقل مخالفة لاوامره العالية . أما هيئة القوم  
فتشعر بما عندهم من قوة أجسام هائلة . وعضلات قوية . وعيون متوقدة .

ووجوه منتظمة . وشعر أجعد على جهة عظيمة . وأنف ليس فيه كبر . وفم  
لاسعة فيه ولا مشافر تحيط به .

ثم دخلنا بجوار باثونتيكوم (متحف صور مصنوعة من الشمع) فرأينا  
في مدخله أودة جلس بها بسمارك أبو الأمة الألمانية . ورأس ساستها  
وجامع وحدتها . وأشهر رجالها . الذي أقام هيكل قوتها ووضع أساس  
ثروتها . وهو حاضر الذهن متوقد الفكر تكاد أجفانه حين التصاقها ببعضها  
توري ناراً تريك منه قوة ذكائه . وقد جلس على كرسي عظمته وأهنته .  
بعد حرب السبعين وأمامه نابليون الثالث امبراطور فرنسا على كرسي آخر وهو  
في غاية الحزن والكآبة يمثل حالة المقهور . كما أن الاول يشخص هيئة الظافر  
المنصور . ثم رأينا بقاعة أخرى غليوم الاول في ميدان الحرب المذكورة وقد  
جلس على لوح من الخشب وضع طرفه على حجر كبير والطرف الآخر على  
جثة حصان ميت قد أخذت قوائمه قبلة من قنابل العدو . وقد وقف حوله  
بسمارك والجنرالات وأركان حربهم وكلهم منصتون الى أوامره يتباحثون  
في الخطة اللازم اجراؤها للحركة الحربية التي كانت نتيجتها ظفرهم بالفرنساويين .  
هذا الظفر الذي صعد بالغالب الى أوج المجد . ونزل بالمغلوب الى حضيض  
الذل . وغير ذلك من الاشكال التي لا تخرج عن معنى تاريخي أو موضوع  
جغرافي مما يفيد العامة ويكون تذكرة للخاصة

وبجوار ذلك أصناف كثيرة من الارجيح التي هي عندهم لا تخرج عن  
درس جمبازي يتصفحون صفحاته عند مقتضيات الاحوال . والفراغ من  
الاعمال . وبالجملة فكل ملاحظهم علمية فيها فأدتان : راحة الفكر من عناء  
الاشغال مع عدم حرمانه مما عساه يزيد في قوته ومعلوماته . وناهيك بها

من تربية صععدت بهم الى حيث لا تراهم الا بالتلسكوب الذى نرى به  
الشموس فى أفلاكها الانحطاطنا عنهم بهذا البعد الشاسع . والقدر الواسع  
وأهل هذه المدينة مشهورون بالتقوي وفيها دوم دو كولونى ( أى  
كنيسة كولونيا ) وهى من اكبر كنائس العالم . وارتفاع منارتها ٥٦ مترا .  
وسكان هذه المدينة يبلغ عددهم ٣٠٠ ألف نفس أو يزيدون وبها كثير من  
المدارس على أحسن نظام وأتم ترتيب وقد بنتها الحكومة بعد حرب السبعين  
من الغرامة الحربية التى أخذتها من فرنسا وكذلك البوسطة ومحطة السكة  
الحديدية ودار المحافظة والانتكخانة وغير ذلك من الابنية التابعة للحكومة

✽ من كولونيا الى انقرس ✽

بارحنا مدينة كولونيا الساعة العاشرة صباحاً بوابور الا كسبريس  
فوصلنا انقرس فى الساعة الخامسة مساء وهى مدينة قديمة على نهر الاسكو  
ولها ميناء كبيرة عليه تصل اليها المراكب التجارية من بحر الشمال ويصعد  
تاريخها الى القرن السابع وقد هدمها النورمانديون سنة ١٨٣٧ ثم بنيت وجعلت  
عاصمة امارة مستقلة واشتغل أهلها بالتجارة وخصوصاً من أول القرن  
الخامس عشر وكان عدد سكانها فى ذلك العصر لا يزيد عن مائة وخمسة  
وعشرين الف نفس ثم استولت عليها حكومة النمسا وكانت مدة حكم  
شارلسكان من أحسن البلاد وأطفها وأتمها نظاماً وأوسعها تجارة وأكبرها  
ثروة بالنسبة لسكونها أقرب مينا على الاسكو الذى هو محل ذهاب واياب  
المراكب على الدوام . وانتشرت تجارتها وصناعتها من البسط والاقمشة  
والفضيات والمعادن الى بلاد الهند والصين والعرب ومصر وغيرها . فلما استولى

عليها الاسبانيون سقطت من ذروة مجدها وأخذت تحط شيئاً فشيئاً وكثرت فيها الفتن الداخلية. عند ذلك هجرها كثير من العائلات الى بلاد الانكليز فالعدمت تجارتها وماتت صناعاتها حتى وصل عدد أهلها سنة ١٥٨٤ الى خمسة وثمانين الف نفس. وفي سنة ١٥٨٩ نزل الى أربعين الفا فقط ومن ثم فقدت قوة الملاحة في هذا النهر فالتفتها يد الفلمنك ثم وقعت المدينة نفسها في قبضتهم على مقتضى معاهدة باريس سنة ١٨١٤. هنالك أخذت تجارة المدينة في تقدم محسوس حتى اذا ما أتت سنة ١٨٣٠ قامت ثورتها مع البلجيك ضد حكومة هولاندا وطردها الهولنديين من بلادهم ومن ثم صارت تابعة لحكومة بلجيكا ولكنها وقعت في نتائج هذه الثورة المدمومة والحرب المشؤمة فضاعت ثروتها. وذبلت زهرة تجارتها. واستولى عليها الضعف. ولم تفق من غشيتها الا في سنة ١٨٣٦ فاشترت سنة ١٨٣٩ الملاحة في نهر الاسكو من هولاندا بمبلغ ٣٦ مليون فرنك وكان عدد المراكب التي دخلت مينائها في تلك السنة ٢٩٥٧ سفينة تحمل ٨٢٢٥٣٣ طناً وقيمتها ٤٧٠ مليون فرنك وصارت تزداد وارداتها شيئاً فشيئاً حتى بلغت في سنة ٩٦ خمسة آلاف سفينة تقريباً حمولتها خمسة ملايين و ٨٠٠ ألف طن منها أربعة آلاف وخمسمائة مراكب بخارية والباقي شراعية قيمة ما فيها الف وخمسمائة مليون فرنك وكذلك كانت نسبة صادراتها فانها ارتفعت من ١٥٠ مليوناً الى ستمائة مليون فرنك ووارداتها كانت من الغلال والبن والدخان والصوف والبتروال والجلد والخشب وصناعاتها المشهورة هي قطع الماس وعمل الدنتلا والسيجار وتكرير السكر والتقطير والبيرة ومن ثم أخذت في التقدم الذي سارت في طريقه الى اليوم وهذه المدينة من أكبر بلاد البلجيك وأحصنها بل من أشهر بلاد

أوروبا وهي المينا الوحيدة البحرية التي تصل البلجيك ببحر الشمال بواسطة  
نهر الاسكو الذي يخرج من فرنسا ويخترق أراضيها ثم يسير في بلاد البلجيك  
ويصب في البحر المذكور وبين هذه المدينة ومصب النهر نحو عشرين  
فرسخا فقط وبينها وبين بور فيكتوريا نحو ١٥ ساعة سافراً في النهر ثم في  
البحر. وهي مينا انكليزية على مصب نهر التيمس كرشيد أودمياط مثلاً من  
مصبي النيل وهذه لا تبعد عن لوندرة الامسافة ساعة سيراً في النهر  
وأبنية هذه المدينة على النظام الاروبي الجديد غير ان منازلها صغيرة  
ولكنها غاية في لطافة البنيان وحسن المنظر. وجميع أبنيتها من أربع الى ست  
طبقات وهي وان كانت لاتصل مباني كولونيا فانها لاتنقص عنها كثيراً وهي  
مشهورة بانتقخاتها التي بها آثار ذلك الرسام المشهور ( روبنصون ) الذي  
كان في أوائل القرن السابع عشر وهو في الصف الاول من النابغين في هذا  
القرن وغيره ممن اشتهر من رجالها. وبها بستان للنباتات وآخر للحيوانات  
والاول منهما من أجل بساتين الدنيا في بابه. وحيث اني لم أقم بها الا ليلة واحدة  
كنت أتقلب فيها على فراش المرض والألم فلم يتيسر لي مشاهدة متاحفها وصناعاتها  
ولكنني قبل مبارحتي لها ركبت عربتي وأمضيت بها ساعتين قبل سفري منها  
الى بروكسيل ولم يساعدني حظي الا بزيارة ديوان العديلية بها ( نظارة الحقانية )  
فوجدت مكاناً غاية في العظمة والابهة يدخل الانسان من بابه الى صالون كبير  
ضربت عليه قبة عظيمة ترى مرسوماً عليها أولاً عذراء قدتهلل وجهها بالفرح  
وأخذت بيمينها ميزاناً يمثل لك القسطاس المستقيم وقد اعتدلت كفتاه كل الاعتدال  
وأمسكت بيدها الاخرى باقة من الازهار كأنها تريد ان تقدمها الى من يحكم  
بالعدل وهي في معناها اكبر ما يهدى. ثم ترى عذراء اخرى قد عسبت وقطبت

وأمسكت بيدها ذلك الميزان وقد نزلت احدي كفتيه عن أختها وفي يدها الثانية سيف قد جردته وكأنما قد همت تضرب به من يخرف عن جادة العدالة وأخرى قد أخذت بميزان ووضعت على رأسه تاجا عظيما كأنها تقول لمن حولها العدل أساس الملك فخرجت وأنا معجب بحسن ذوق القوم في رموزهم وغير مستغرب ماشتهر عنهم من العدالة التي يدرسونها في تلك الصور الجميلة الجميلة .

ثم ركبت عربتي ومصررت في شوارع المدينة بقية وقتي فوجدتها في غاية الجمال والنظافة وفي وسطها جنينة عظيمة وبها بحيرة لطيفة جعلت لنزهة القوم يقطعها طريق تسير به العربات وأخري للسايرين على أرجلهم وفي وسط ساحة المدينة قد أقيمت تماثيل لمن اشتهر من ملوكها وعلمائها وساستها . أما المدينة فهي تموج في حركة أهلها المستمرة وهم ذوو نشاط عظيم وجميع أشغالهم تجارية تقريبا وفيها كثير من الشركات الكبيرة التي انبثت صناعتها وتجارها في جميع أنحاء العالم وهم مشهورون بغزارة ثروتهم وعلى غاية من لطافة الاخلاق وحسن المعاشرة وبالجملة فهم أناس كأنهم لم يخلقوا الا للعمل

وعدد سكانها أكثر من ثمانية ألف نفس وبها الترامواي الكهربائي والبخاري والقهاوى والمطاعم واللوكاندات الجميلة والتياترات والمخازن التجارية وبها غير محطتها العمومية ثلاث محطات أخرى وهي مركز مديرية من مديريات الباجيك التسع والمسافة بينها وبين فينا ثمانمائة ميل

ولما أتى وقت السفر قصدت المحطة فوجدتها هائلة يكاد المسافر ان يضل فيها طريقه لكثرة القطارات التي على أرضيتها وكلها مستعدة للسفر الى جهات مختلفة فركبت القطار الساعة الرابعة بعد الظهر الى بروكسيل عاصمة البلاد

ووصلتها في منتصف الساعة الثامنة والمسافة بينهما سبعة وعشرون ميلا

﴿ مدينة بروكسيل ﴾

وهي عاصمة بلاد البلجيك وتاريخها يبتدىء من القرن الثامن حيث كانت مدينة صغيرة واتخذها شارل لورين مركزا لحكومته في سنة ٩٧٧ واستولت عليها فرنسا في القرن الخامس عشر ومن ثم صارت تابعة لحكومة دوق دي برجونيا وفي مدته انتشر فيها الفرنسيون وأثرت أخلاقهم على أهلها تأثيرا عظيما

وفي سنة ١٥٥٩ نقل اليها فليب الثاني ملك اسبانيا مقر حكومة البلاد الوطية التي كانت تابعة له

وفي سنة ١٥٦٦ قامت ثورة أهلها من كثرة المظالم التي كانت تنالهم من الاسبانيين ولكنهم لم يفلحوا فيها ولقد تجشمت هذه المدينة صعوبات حمة من حروب اسبانيا المتواليه بين لويس الرابع عشر ولويس الخامس عشر ملكي فرنسا وبين ماري تيريزه اميرة النمسا

ثم استولت عليها فرنسا في سنة ١٧٩٥ وصارت تابعة لها الى سنة ١٨١٥ ثم انفصلت عنها واتصلت بحكومة البلاد الوطية ( هولاندا ) وفي سنة ١٨٣٠ قامت الثورة التي أعقبها استقلال البلجيكا في السنة التالية وكان عدد سكانها وقتئذ مائة ألف نفس فقط

وهذه المدينة تنقسم الى قسمين . القسم العالى وفيه محل اقامة الملك والاشراف وبه النظارات واللوكاندات المعدة للطبقة العالية من السواحين وبه السفارات وأعيان القوم وسرااتهم واللغة الغالبة فيه هي اللغة الفرنسية.

والقسم الواطى وبه التجار والصناع وفيه مركز الحركة التجارية وأغلب سكانه يتكلمون باللغة الفلامندية وهى لغة البلاد القديمة وبعض اللغة الفرنسية و عدد سكانها الآن مع ضواحيها يبلغ خمسمائة وخمسين ألف نفس

وهذه المدينة تشبه باريس فى أبنيتها وشوارعها ومنتزهاتها فان كان فى هذه غابة بولونيا المشهورة بجبالها ورونتها فى الاولى غابة (كامبر) حتى ذهب القوم الى تسميتها بباريس الصغرى ولكن شتان بين الرجلين البلجيكى والفرنساوى فانهما وان اتحدا أخلاقاً وطباعاً فقد امتاز الاول بقوة الارادة والمثابرة على العمل مع الاسترسال فى الشهوات. ومن أحسن آثارها تماثيل (جودفروا) (١) الذى أقيم له على المكان الذى كان يدعو الناس فيه سنة ١٠٩٧ الى حرب الصليب الاولى التى كان على رأس الجيوش النصرانية فيها وقد أقيم له هذا الاثر سنة ١٨٤٨ وغيره من تماثيل علماءهم وملوكهم وساستهم وقوادهم

وهذه المدينة مشهورة بثروة أهلها وهى من أغنى بلاد العالم على صغر حجمها وقلة أهلها

(١) وجودفروا له شهرة عظيمة فى الحروب الصليبية وقد لقب بملك أورشليم (بيت المقدس) ومات فى سنة ١١٠٠ حيث قصد الاغارة على دمشق وأتى بجثته الى أورشليم ودفن بها وخلفه أخوه بلدوين الاول على ملك بيت المقدس وهو الذى يسميه العرب بالبردويل وقد سميت باسمه البحيرة الموجودة بين العريش ويور سعيد (سبخة البردويل) التابعة الآن للحكومة المصرية حيث كان قد قصد الاغارة على مصر فرض فى الطريق ومات عندهذه البحيرة ودفنت أحشاؤه بجوارها وأتى بجثته فدفنت بجانب جثة أخيه فى بيت المقدس آخر سنة ١١١٠ ميلادية



﴿ أنتيخانة الصنائع والفنون الجميلة في بروكسيل ﴾

دخلت هذا المكان فوجدته مشيد البنيان ولكنه أقل من نظيره في  
فيينا بكثير. وفي الدور الارضى منه وجدت تماثيل كثيرة بعضها صنع  
من الرخام وبعضها من الحجر والبرونز وهي قليلة الا انها متقنة الصناعة.  
ثم صعدت الى الدور الاعلى فوجدت قاعاته كلها قد علقت على حيطانها الاربع  
لوحات من الرسوم الجميلة المتقنة الصنع وأغلبها دينية نصرانية أعني تتعلق  
بصور المسيح والعدراء على أشكال عديدة وهذا المتحف مشهور بها. وبين  
هذه اللوحات لوحات أخرى كثيرة عليها صور الملوك الذين جلسوا على  
سرير حكومتها. ومن ضمن ذلك شاهدت لوحة عليها تسعة أشخاص من حكام  
البلاد وقد قدم اليهم السكرتير أوراقا فأخذوا يفحصونها بكمال تبصر وترو  
وتفكر وتأمل وهم يدرسونها درسا محكما قبل الاجابة عليها حتى اذا قرروا  
شيئا في شأنها يكونون انما قرروه بحكمة وعقل وحزم لا يكون بعده الا  
خير البلاد والعباد وهكذا كان والفضل ثم الفضل لهم ولا مثالهم (رحمهم  
الله) وكانما هذه اللوحة وضعت هنا درسا لغيرهم من ملوك وحكام البلاد  
يقول لهم لسان حالها هكذا عملنا فأوصلناكم الى درجة من الرفاهية والعزة  
بمكان عظيم فاعملوا اتم مثلنا وامشوا على سنننا كي تبلغوا غاية الآمال. وتصل  
البلاد بكم الى ذروة المجد والكمال

وفي لوحة ثانية رأيت صورة البرنس دورانج يقود جنده في واطعه واترلو  
في سن السابعة والعشرين من عمره وهو يسير على جواده في مقدمتهم يريك  
كيف تكون الشجاعة والاقدام وبعد قليل تراه وقد خرّ صريعا عقب رصاصه

اعترضته في صدره من جيش العدو .

وصورة أخرى تدلّك كيف كانوا يدفنون الموتى في ( رومة ) أيام  
الطاعون فتري الميت يحمله من الخلف رجل أخذ بذراعيه مما يلي كتفيه وآخر  
قد أخذ برجليه وسارا به الى حفرة فيلقيانه فيها غير مأسوف عليه  
وهذه اللوحة تمثل لك ولاشك ما كان عند أهل رومة من القسوة  
والشناعة

ثم لوحة قديمة تمثل الناس في العاصمة وقد لبسوا في أعيادهم بنطلونات  
قصيرة يدخلون ارجلها في جوارب طويلة وعلى أكتافهم شبه حرملة وهي  
الملابس الحديثة الجديدة الآن المخصصة لركوب ( البسكايت ) ومن ذلك  
تعرف ان كل تبديل وتغيير في أشكال الملابس يرجع الى الملابس القديمة  
بتعديل خفيف في زيناها وتحسين في صناعتها ليس الا

ولوحة رسم عليها أحد الملوك القدماء للقوم وقد أغار بخيله ورجله على  
أناس من جيرانه وأخذ يذبح أبناءهم من غير شفقة ولا رحمة وهو دليل على  
أنهم كانوا على قسوة وشناعة ليس لها حد ولا يقدر على وصفها أحد. ولكن  
هؤلاء كتبوا على اللوحة ( قتل الابرياء ) فكأنهم سبقونا في الانتقاد على  
سلفائهم وأرادوا أن يخبرونا بأنهم اطلعوا على تاريخ السالفين فأخذوا ما حسن  
منه ونبذوا ما قبح

ثم لوحة رسم عليها صور من الملائكة (على زعمهم) وقد فتكت بقوم من  
الجن على هيات مختلفة وأشكال متغايرة جمعت بين هوام البر والبحر وهي كأنها  
تقول لهم . ألا ان جنود الله هم الغالبون . وقد تخيل لي انها مثال لسلطة العقل  
الذي هو روح من عند الله تعالى على هذه النفوس الخبيثة التي تحاربنا بسلاح

الشهوات فاذا استعملته ضدها فانه لا يلبث ان يظهر عليها ويضعف من قوتها  
أما اذا أمنت لها وركنت اليها فانها توردك مورد حثفك والجزاء عليك  
لا عليها لانك استسلمت اليها وغرك لين لمسها ولم تبصر في قاتل سمها .

ثم رأيت لوحة فيها اناس قد انهالت عليهم المصائب من كل حذب  
ووطئت رؤس أناس غيرهم بأقدام من حديد وقد اندك عنق بعضهم تحتها  
فلم يحركوا ساكناً ولكن فريق منهم احتمل هذه المصائب وأخذ يزحف  
تحت أعباء حمله الثقيل بحزم وعزم حتى نجا بنفسه من ورطتها فتخيل لي من  
ذلك ان الفريق الاول قد استسلم لها وخاب منه الامل . فوقف عن العمل .  
وصادف منها منيته على عجل . وأما الثاني فقد جرد جيش الصبر تجاه بلواه  
وأخذ يعمل ويتقدم قائلاً ( ألا بالصبر أبلغ ما أريد ) وبعد قليل كشف عن  
رأسه بيد جده واجتهاده تلك المصائب فانجحت عنه مغلوبة مقهورة وخرج  
هو من هذا الميدان ظافراً منصوراً . مسروراً مشكوراً

ولوحة قد رسم عليها صورة رجل يشتغل في نول حياكة كالذي عندنا في  
بلادنا الآن . ثم حكيم يعمل عملية جراحية لآخر وهو يعمل في جسمه كالنجار  
في قطعه الخشب والمريض يستغيث ولا مغيث .

فاذا عرفت ذلك وقارنته بما وصلت اليه الصناعة والطب الآن فيهم  
وجدت ان القوم قد تقدموا تقدماً بليغاً ثم اذا نظرت الى مانحن فيه من ذلك  
التأخر والانحطاط عرفت ان تقدمنا ليس بالامر المستحيل لانا الآن على الاقل  
فيما كانوا عليه من قبل وحيث أمكنهم الوصول الى هذه الدرجة فمن الممكن ان  
نصل الى ما وصلوا اليه لاسيما وقد مهدوا لنا السبيل وأرونا طرق الوصول الى  
هذه الغاية

وكنت أثناء زيارتي لهذا المتحف أرى هذا يدرس وذلك يرسم ثم شاهدت امرأة تسحب ابنها وتعبه له عما يشاهد من الآثار بحالة تقرب من فهمه فقلت في سرى أين هذه المرأة من المرأة التي عندنا وهي إذا عرفت الانتكخانة فانها لا تقصدها الا اذا تأخر حبلها التحمل كأنماها مادة التلقيح البشري . والجنون فنون . فما دامت المرأة فينا على هذا الحال فهيات هيات ان نصل بها الى ما تعلق به الآمال .

﴿ بستان النباتات في بروكسيل ﴾

هو بستان لطيف جداً شرقى محطة السكة الحديد الغربية وهو في غاية من حسن النسق ولطافة الرونق وعلى كل شجرة منه أو نبات ورقة مكتوب عليها اسمها والجهة التي ينمو فيها وفيه كثير من أنواع الاشجار والازهار قد وضعت بترتيب جميل تشهد لواضعها بحسن الذوق . وترى أرض هذا البستان تصعد بك الى ما يبلغ عشرين متراً تقريباً بمعنى انك تدخل من الباب الغربى فتري أرضاً مبسوطة بوسطها بركة صغيرة فيها بعض الطيور المائية ثم تصعد مع الارض على منحدر لطيف فتصل الى بعض درجات تصعد منها الى مثل سابقها ثم تصعد من هذه الى أخرى وفي كل منها ترى اشكالا وألواناً من الازهار والاشجار قد أحاطت بفسقيات جميلة . وفي أعلى هذا المكان محل كبير جداً في غاية من حسن النظام لتربية أنواع الزهور والاشجار الاجنبية وقد جعل هذا البستان لنزهة القوم ودراسة النباتية وقد فتحت أبوابه لجميع الناس طول النهار وهو أشبه شئ بجنيئة الازبكية بمصر التي هي اكبر منه كثيراً والفرق بينهما ان هذه يقصدها أغلب الناس لما فيها من الخور والفجور

وذلك لان شراح الصدور. ودراسة ما فيه من النباتات والزهور. والجامعة  
بين القاصدين هي نفس الجامعة بين النقص والكمال. والضعفة والجلال.  
والقباحة والجمال. أو البطالة والاشتغال. فبطالتنا أورثتنا كل مفسدة.  
واشتغالهم أتى اليهم بكل فائدة.

﴿ قصر العدالة أو نظارة الحقانية في بروكسيل ﴾

هنا هو القصر الجميل. بل الأثر الجليل. والبنيان العريض الطويل  
الذي لم يكن له في العالم الارضى مثيل. ضخامة بناء. في لطافة رواء.  
ورحيب فناء. في عجيب علاء. تنسيك أهبة هيئته. وجلال رؤيته. عظمة  
الأكاسرة. ونخامة القياصرة. وكأني به وقد ارتفع الى السماء. واتصل  
رأسه بعالم الضياء. ليكون مقرا للذكاء ( الشمس ) حتى اذا أشرقت بأشعتها على  
رجال القضاء أنارت بصائرهم بنبراس العدل. وأضاءت سرائرهم بمشكاة  
الحق وأرشدتهم الى الصراط المستقيم. والمنهج القويم. فانكشف لهم طريق  
الرشاد. الذي انما به كمال اليمين والاسعاد. وظهرت لعينهم ما يحيط بها من  
هاويات الجور. ومقاويز الظلم والفجور. حتى اذا لاسمى الله نحس طالع أحدهم.  
وانحرف عن جادتهم. التي ترفعهم الى عليين. هوى بنفسه الى أسفل سافلين.  
واستوجب سخط الله والملائكة والناس أجمعين.

وقد ابتدئ في عمل هذا القصر سنة ١٨٦٦ ولم يفتح رسمياً الا في سنة ١٨٨٢  
وهو اكبر وأعظم بناء في عصرنا هذا وهو ذو ثلاث طبقات وطول كتلة  
البناء فيه ١٨٠ متراً وعرضها ١٧٠ متراً وهذا البنيان الجسيم قد أحاطت به  
أعمدة هائلة من الحجر في جميع جهاته وعلى الاخص في مدخله العمومي وقد

أقيم في وسط سطح الطبقة العليا منه شكل مربع يحيط به أربعة وعشرون عاموداً من الرخام وعلى هذا المربع آخر على شكله إلا أنه أصغر منه وقد أحاطت به أيضاً أعمدة من المرمر في كل جهة من جهاته وقام على رأس هذا البناء تاج عظيم مصفح بالذهب يأخذ سنانه بالابصار وقمة هذا التاج ترتفع عن الأرض بمسافة قدرها ١٢٢ متراً. وفي مدخل هذا القصر الغريب جملة تماثيل هذا اللعدالة وذلك للقانون وآخر يمثل السيطرة الحاكمة وغيره رحمتها وحنانها. وفي هذا المكان ٢٧ بهوا كبيراً وفيه ٦٦٥ قاعة وثمانية جيشان ثم قاعة هائلة يبلغ مسطحها ٣٦٠٠ متر مربع ويبلغ ارتفاع قبوتها ٩٧ متراً ونصفاً وقد صرف عليه في تشييده خمسون مليون فرنك أي مليونان من الجنيهات الإنكليزية تقريباً. وبالجملة فهذا المكان آية من عمل الإنسان في هذا الزمان.

### ﴿ ميدان واقعة واترلو ﴾

وهي هذه الواقعة الشهيرة التي حصلت في ١٨ يونيو سنة ١٨١٥ وأفل في سماءها نجم ساعد نابليون الأول (بونابرت) امبراطور فرنسا الذي شنت بجيشه جيوش أوروبا بأسرها. وامتلك أغلب أراضيها بما كان فيه من قوة البأس والارادة وشدة العزيمة.

ولما كانت هذه الواقعة مبدأ سقوط فرنسا التي كانت أقوى الممالك في أيامه منعة وأرفعها مقاما وأكبرها سلطاناً وأنفذها كلمة أحببت زيارة مكانها لكي أشرح لقومي صورتها واقص عليهم شيئاً من تاريخها.

ركبت قطار السكة الحديدية الى محطة واترلو وهي على بعد ثمانية عشر كيلو متراً من بروكسيل ولكننا لم نزل بها بل في المحطة التي بعدها لقرتها

من مركز الواقعة واسمها (برين لالو) وركبنا منها عربة أمينيوس واتجهنا نحو الشرق وبعد نصف ساعة وصلنا الى اثر عظيم اقامه الهولنديون والبلجيكيون في مركز دائرة الواقعة وهو عبارة عن تل جسيم أقيم على شكل قبة هائلة وعلى رأسه قاعدة عظيمة من الحجر أقيم عليها أسد واقف على قوائمه الاربع قد صنع من مدافع الفرنسيين التي تركوها في ميدان الواقعة المذكورة فصعدنا اليه بواسطة سلم من الحجر به ٢٣٥ درجة فوجدنا هذا السبع كامل الاعضاء لولا ان الفرنسيين عند محاصرتهم لمدينة أنفريس سنة ١٨٣٠ كسروا قطعة من ذيله بيد الغيظ الذي ذكرهم بتلك الكسرة الشنعاء .

ومحيط هذه القبة مما يلي الارض ألقا قدم وارتفاعها ٤٥ متراً . وقد بنى بوسطها عامود من الطوب من سطح الارض الى قمته به ثلاثة ملايين ونصف مليون طوبة ليكون حاملاً لقاعدة الاسد الذي تبلغ زنته ٢٤ ألف كيلو غرام وقد مكثوا في عمل هذا الاثر ثلاث سنوات وصرقوا عليه ثلاثين مليوناً من الفرنكات وأقاموه تذكاراً للمكان الذي جرح به البرنس دورنج الذي كان على رأس البلجيكيين .

وفي الشمال الغربي من هذا الاثر الهائل أقيمت على جانبي الطريق بعض منازل ولو كندات صغيرة للزائرين وبها بعض آثار الحرب المذكورة من بنادق من ذات الشطف وسيوف مكسرة وبعض قطع من المدافع وبعض عظام من هياكل القتلى .

ثم سرنا الى جهة الجنوب فوجدنا عامودين قريين من بعضهما أقيم الاول تذكاراً للمكان الذي جرح به الدوق والنجتون الانكليزي الذي كان على رأس جميع الجيوش المتحالفة والثاني تذكاراً لمقتل ٤٢ ضابطاً من

الالمانيين . وعلى بعد منهما بنحو ساعتين من جهة الشرق المنزل الذي نزل به نابليون أثناء هذه الحرب .

ولاجل أن لا أحرم بني جلدتي الأعزاء من صورة هذه الواقعة رأيت أن أشخصها لهم في كلمتين تماما للفائدة فأقول :

كانت هذه الواقعة تحصر في دائرة طول محيطها ١٦ كيلو مترا . وكان الجيش الفرنسي من جهة الشرق منقسما الى جناحين وقلب . فكان في هذا نابليون وعلى الجناح الايسر جيروم بونابرت ( أخو نابليون ) وعلى الجناح الايمن الجنرال جروشي

وكان الجيش الفرنسي يبلغ ٧١٩٠٠ محارب منهم ٤٨٩٥٠ مشاة و ١٥٩٠٠ سوارى و ٣٤٦ طوبجية . أما الجيش الاتحادي فكان فيما يقابلهم من جهة الغرب وكان يتركب من الجيش الانكليزي والايكوسى والهانوفري والالمانى والهولندى والبلجيكي والبروسيانى وكان عدده ٧٥٠٠٠ ألف جندى منهم ٤٠٦٠٠ مشاة والباقي بين فرسان وطوبجية . وكان ينقسم الى جملة أقسام وفى وسطه الدوق والنجوتون وهو القائد العمومى لهذه الجيوش السبعة . وعلى الميسرة الجنرال وليم بونسيم وعلى الميسنة الجنرال كوك والجنرال همبير وقد التجأت ميسنة الجيش الاتحادي « وكانوا من الانكليز » تحت ستار الظلام الى عزبة هناك فى دائرة الميدان تسمى بعزبة هوجومون . فكانت نيرانهم تصيب الغرض من الفرنسيين الذين ما كانت نيرانهم تصيب الاحطيان العزبة المذكورة التى كانت تخفيها عن نظرهم سحب دخان المدافع . هذا من جهة الميسرة . أما القلب فقد أرسل نابليون خمسة آلاف من السوارى للهجوم على قلب الجيش الاتحادي تحت ستار الدخان فهجموا بقوتهم المعروفة وقتلوا اكثرهم لم يلبثوا أن وقعوا فى هاوية عظيمة كانت



أمام جيش العدو وكانوا على غير علم بها فهلكوا جميعاً ولم ينج منهم الا من أخبر  
بأمرهم . هنالك أرسل نابليون الى الجنرال جروشى بأن لا يدع جيش البروسيين  
الذي كان على مسيرة الجيش الاتحادي يتحرك من مكانه ولكن هذا تعامى عنهم  
وتركهم يسيرون حتى حصروا جيشه من جهة ومؤخرة جيش نابليون من  
الجهة الاخرى . والفرنساويون يعتقدون أن جروشى خدع نابليون بهذه الفعلة  
الشنعاء التي كانت سبباً في كسره نظير رشوة أخذها من جيش العدو . ثم هجم  
قلب الجيش الاتحادي فانحصر نابليون بجيشه بين يران العدو من كل جهة  
وهناك قال « لقد هلكنا » وهم أن يقتل نفسه فمنعه أحد العساكر قائلاً لا تفعل  
يامولاي فان في حياتك حياتنا وفي موتك موتنا فهرب وتشتت جيشه شذر  
مذروبه وانتهت هذه الواقعة التي ابتدأها ضعف الفرنسيين الى الان وأعقبها  
القبض على نابليون ونفيه الى جزيرة سنت هيلانه ومات به اسنة ١٨٢١ .

#### ❖ الرسالة الرابعة ❖

#### ❖ سياحة تحت الارض ❖

توجهت الى مدينة شارلروا وهي جنوب بروكسيل على مسافة مائة  
ميل وهي عبارة عن بنيان منتظم لطيف الشكل حسن المنظر وقد أحاطت  
به من كل جهاته الفوريقات والمعامل : فهذه للاخشاب والحديد وتلك للصلب  
أو العربات الكهربائية وغيرها . وفي جوار هذه المدينة جبل به مناجم للفحم  
الحجري وفي أعلاه كثير من المعامل التي أقيمت عليه لاستخراجها وهي  
تابعة لجملة شركات أهلية فتوجهت الى هذه المعامل بقصد التفرج على كيفية  
استخراج الفحم المذكور الذي له في العالم شأن عظيم وسرت على هذا الجبل

نحو ساعة وهناك وجدت ابنة لطيفة فأرشدني المرشد الى محل مدير احدي هذه الفاوريات ويقال له منجم جران مونيورج وبعد السلام عليه قلت له ان أحد المصريين قد أتى ليزورك ويرجوك أن تسمح له بالنزول الى هذا المنجم وأظن انك تلبي طلبه لانه ربما كان أول طلب وجه اليك من مصرى مثلي . فاندھش الرجل من جرأتي وجسارتى وبعد ان أكرمني دعا بوكيل ادارة هذه المعامل وأمره ان يقدم لي الملابس اللازمة ويلازمني في التفرج على كل المعدن وما فيه من الاعمال والعمال فلي بالطاعة ثم أخذني الى مكان فيه بعض الخاديات وأتى الى الملابس تامة من قميص ولباس ابيضين وبنطلون وچا كيتة من التيل الازرق وجزمة ضخمة وجورب سميك وطاقيّة من التيل برباط وبرنيطة من الجلد المتين لتمنع الرأس من ألم بما ينتج من مصادمته بشئ ما . ثم قادني الى مكان آخر به بعض الخاديات أيضا فأتى الى بمصباح أنير بالزيت وقد احاطت به زجاجة طويلة فنفخوا فيها ليملؤها هواء يسمح بتغذية السراج الذي وضع فيها ثم صعد بي الى مكان بوسطه بئر قطره ستة أمتار قد بنى تحت الارض على بعد ثمانمائة وسبعين متراً من سطحها ركبت عليه سلسلة عظيمة حديدية تحمل في كل طرف منها جهازا يدخل فيه ست عربات من الحديد واحدة فوق الاخرى . وطول العربة نحو مترين وارتفاعها اكثر من متر وعرضها كذلك . فاذا كان أحد طرفي السلسلة صاعداً يكون الآخر نازلاً والاول به العربات المملوءة من الفحم والثاني به العربات التي صار تفرغها وهي تنزل وتصعد بالبخار فجلست مع مرشدي في مكان عربة مع التحفظ التام ونزلنا الى الطبقة السفلى من هذا المعدن ويبلغ عمقها ثمانمائة متر وأربعة أمتار وكان نزولنا بسرعة تامة حتى كنت اذا جعلت المصباح بجوار

عيني ونظرت الى جدران البئر كان تهباً الى اننا صاعدون لانازلون ومكشاني  
هذا السفر خمس دقائق وأربعين ثانية . وعلى رأس كل ستين متراً كنا نرى  
طبقة بها عمال ويدهم مصابيح يشتغلون في استخراج الفحم من طبقاته .  
ولما وصلنا الى نهاية البئر المذكور وقف الوابور فنزلنا من عربتنا الى مدخل  
سرداب به سكة حديد ضيقة للعربات التي تنقل الفحم فسرنا به وسماؤه  
ملاصقة لرؤسنا بل لرأسى أنا فقط لاني كنت أطول من رفيقي وكان الظلام  
حالكاً وسقف السرداب حابكاً ولا يستطيع المرء أن يري مما بين يديه الا  
ما يكاد يلامس هذب عينيه والمصباح بجوارهما . وهذا السرداب ارتفاعه أقل  
من مترين وعرضه مثلها أو يزيد قليلاً وقد وضعت على طول جانبيه أعمدة  
من خشب على مسافة متر واحد من بعضها تحمل كتلاً منه أفقية لتحتفظ  
سقف السرداب من السقوط وبوسطها أنبوبة من الحديد على طوله قطرها  
نحو أربعين سنتيمتراً قامت على حوامل من الخشب أيضاً وبها الهواء النقي  
الذي يأتي الى داخل هذه السرايب بواسطة آلة فوق سطح الارض تكبس  
الهواء النقي اليها من جهة وتطرد غير النقي من جهة أخرى أعني بعد ان نفذ  
مافيه من الاوكسيجين الذي يصلح لتنفس مابه من نوع الانسان والحيوان .  
وبعد خمسين متراً وصلنا الى سرداب صاعد أقل ارتفاعاً وعرضاً من الاول  
وقد حمل سقفه على خشب أيضاً مثل سابقه . فكنا نمشي فيه وقد أحسنا ظهورنا  
ثم انتهينا الى سرداب نازل ارتفاعه نصف متر فقط في عرض متر وحمل سقفه  
على حوامل من خشب كسابقه فكنا نرحف فيه طورا على بطوننا وآخر على  
ظهورنا ولازلنا نرحف هكذا نحو ثلاثين متراً أو يزيد حتى انتهينا الى سرداب اكثر  
منه ارتفاعاً وفيه طبقة الفحم الحجري كأنه بين طبقتين من الصخور وسمكها

لا يزيد عن ستين سنتيمترا وفيه أناس قد أطاقوا لباسهم الا سراويل يسترون  
بها عورتهم وقبعة من الجلد كالتى على رؤسنا تحمى رؤسهم من مصادمها بسقف  
هذا النفق أو بما عساه يقع عليها منه . وفى يد كل واحد أزميل ومطرقه فيضع  
الازميل مائلا على قطعة الفحم ويدق عليه بالآخرى فتساقط قطع الفحم  
على الارض . ومن خلفهم أناس يجرونه الى حيث يشحنه آخرون فى عربات  
صغيرة يدفعونها بأيديهم على قضبان حديدية الى نهاية هذا النفق حتى اذا  
أصلوها الى نفق آخر كثير الانحدار ربطوها بحبال من الحديد وشدوا سلكا فى  
نهايته جرس فتدور آلة فتسحب العربات الى ذلك النفق الاول المرتفع  
وهناك يربطون فيها حصانا يجرها الى حيث يوجد البئر فيضعونها فى محلاتها  
مما يلي السلسلة ويحركون آلة تنبه العاملين فوق الارض الى تمام الشحنة  
فيديرون الآلة التى تسحبها الى سطح الارض وهكذا .

وطبقات الفحم متوازية وهى على الدوام تجبه من الجنوب الى الشمال  
فى جميع المعادن على شكل فروع شجرة . وكلما انتهوا من نفق الى نهاية  
فرع منها فحروا نفقا آخر يوصلهم الى غيره من جهة أخرى وقد رأيت من  
شكل وضعها بين الصخور على الكيفية التى شرحتها لك ما يؤيد قول علماء  
الجيولوجيا ( علم طبقات الارض ) بأن الفحم الجبرى أصله شجر كان على  
سطح الارض ثم انقلبت به فى زمن الطوفان فغطته تحت صخورها فاحترق  
بالحرارة الكامنة فى باطنها وحفظت فيه مادته وغازاته لعدم وجود فوهة تصعد  
منها والله أعلم .

ويشتغل بهذه المعادن خلق كثير حتى أنه يوجد فى بعضها أكثر من  
سبعة آلاف عامل ومرتباتهم تختلف فالذين يشتغلون تحت الارض يأخذ

كل واحد منهم يومياً من ستة فرنكات الى اثني عشر فرنكا والذين فوق سطحها من فرنكين الى أربعة . وبعد أن شاهدنا كل مافي هذه الطبقة من الاعمال انحدرنا الى بئراً آخر فنزلنا فيه بواسطة آلة كالتى قبلها الى مسافة ستين متراً فوجدنا هناك أناسا ينقبون أنفاقا فى الصخور موازية للتي فوقها توصلهم الى الطبقات الفحمية وهكذا ينزلون الى مسافة ثلاثة آلاف متر تحت الارض وهو غاية ما وصلت اليه هذه الطبقة الفحمية فى جميع الاقطار لحد الآن وقد سألتى صاحبي عن بلادي فقلت انها مصر فقال أليس عندكم مناجم للفحم ؟ فقلت له لم نثر على شئ منها الآن . فقال من الضروري ان يكون فيها مناجم كثيرة حيث انها فى المنطقة المعتدلة ويلزم ان يكون بها الفحم على بعد سبعائة متر على الاكثر . فدعوت الله ان يكون لكلامه أثر من الصحة وأن أرى مناجمها فى حياتى . ولم أطل الكلام معه فى ذلك لأنه حكم على الغائب . وهذا المنجم يستخرج منه تقريباً ٧٠٠ طونيلاته من الفحم الحجري كل يوم وهى ولا شك ثروة يبرف قدرها من له أدنى علم بأثمان هذا الفحم الآن .

### ﴿ يومى الثالث فى بروكسيل ﴾

( مغارة هان « HAN » )

( أومدينة الظلمات )

قصدت هذه المغارة التى طارصيتها فى جميع الآفاق لزيارتها ورؤية ماها من عجائب الطبيعة وهى من أجمل الآثار الموجودة فى البلجيك بل فى الدنيا بأسرها . وهى واقعة بين مدينتى رشفنور وجامل المشهورة بمعادن

الرخام وقطعه وصقله . فركبت الوابور من محطة بروكسيل في الصباح  
وقصدت « جامل » وهي منها على مسافة مائة وعشرين كيلو مترا ولما  
وصلتها وجدت في محطتها عربية الامنيوس فركبتها وهي تابعة لاحد  
اللوكدات الموجودة بجوار المغارة فوصلنا بعد نصف ساعة وبابها في منحدر  
جبل شاهق ينزل من مرتفع منه نهر ( ليس ) ثم يدخل في المغارة على هيئة  
شلال ذي صوت مزعج ويختفي فيها تحت الصخور فدخلناها نحن أيضا من  
فوهة بجوار مصب النهر وهناك أوقد مرشدنا مصابيح أعطائها لخدمة  
المكان وسار كل واحد منهم بجوار كل زائر وكان معي ثلاثة رجال من أهل  
البلاد وجدتهم هناك قدامنا لهذه الغاية . فسرنا نازلين تارة على سلام نحتت  
في الصخور وأخرى صاعدين ثم اتجهنا في سرداب صغير ومنه الى آخر أصغر  
منه ثم الى أكبر منهما وكنا نسمع حولنا خريير مياه فروع النهر وقد حفرت  
لها طرقات في الصخر حتى انتهينا الى شارع كبير فتخيل لي انما هي مدينة  
من مدن قدماء الرومان . أو عاصمة من عواصم حكومات الجان .

وكيف وهي مدينة ارضها الغمر . وسماؤها الصخر . وساكنها النهر .  
وطيورها نقط القطر . وجوها الوعر . ويومها الدهر . فلا مغرب ولا  
ظهر . ولا ضحوة ولا عصر . ولا أصيل ولا فجر . ولا يوم ولا شهر . ولا  
زيد ولا عمرو . ولا شمس ولا أقمار . ولا زهر ولا أزهار . ولا نبات  
ولا أشجار . ولا ديار ولا ديار . الا من كان من الزوار . ظلام حالك . وضيق  
مسالك وانزعاج سالك . يرى انه لا محالة هالك . وقد نسي ما هنا وما هناك .  
ولم نزل سائرين في هذا الشارع تارة صاعدين . وطورا نازلين . على سلم من  
الصخر حتى انتهينا الى قاعة هائلة قد نحتها يد الطبيعة بشكل يخرس عنده

اللسان . ويحار الجنان . ويقف اليراع . وتندهب له الابصار والاسماع .  
فرايت في جانب منها الاحجار . في صور الاشجار . تجرى من تحتها الانهار .  
وفي الآخر قد أقامت هذه اليد القادرة معبداً امام محرابه تماثيل كوَّنت  
من نقط المطر « stalactites » التي تنزل من ثقب كثر في سقها تتصل بظهر  
الجبل فتقع نقطة نقطة على بعضها فيتبخر الماء ويبقى ما اتصل به من المواد  
الحجرية « stalagmites » فتكوَّنت هذه التماثيل بطبيعة الحال على هذا الشكل في  
آلاف من السنين وكان هذا قد ركع وذكر . وذاك سجد وشكر . وكان  
لسان الطبيعة من حولها يقول : أيها الانسان . ما كملك الله بالحكمة والعقل  
والجنان . وأمنك في خوفك . وسلطك على خلقه بضعفك . وجعاني بين  
يديك . أقدم اليك ما تعلق به رغبتك . ونفذت اليه ارداتك . لتكفر بنعماء .  
وتجعاني أنا اياه . فيأيها الذايم . ما غرك بربك الكريم . الذي خلقك  
فسواك . ورفعك وأسماك . حتى أنزلتني غير منزلتي . وسموت بمكاتي الى  
ما فوق طاقتي . وافتكرت أني ولا نهاية . وقدرتني ولا غاية . فانظر كيف  
أقت بيدي ذلك الهيكل في هذا المحل للخالق سبحانه لأحيي به ذكره .  
وأقدس سره . وأكثر شكره . فعساك ترجع عن خلطك وخبطك . وتعرف  
اني بريئة منك ومن شططك . »

ثم اتبعنا طريقنا بين نزول وصعود على درج من الصخر حتى انتهينا الى  
سرداب ضيق لا يسع الا رجلا واحداً وقد أثرت دولة الظلام على مامعنا  
من المصابيح حتى كنا نرى ناراً ولا سناء . بل نوراً ولا ضياء . وقلب  
السراج يخفق خشية ورهبة فسرنا طويلاً ونحن نتخبط ببعضنا . والخوف  
ملء قلوبنا . وهناك سمعت صوت مرشدنا يقول هذا يسمونه طريق العزيت .

فزاد الطين بلة . وازداد على الخوف وله . وما زلنا حتى وصلنا الى طريق  
واسع . وجو شاسع . فاطمأنت القلوب . وزالت بعض الكروب . ثم دخلنا  
الى قاعة هائلة يبلغ ارتفاع قبوتها ١٢٩ متراً وطولها ٢٦٠ متراً وعرضها ١٨٥  
متراً يسمونها قاعة الملك وقد قام في صدرها عرش على أعمدة كأنما تربعت  
الطبيعة على دسسته ( وكل ذلك من ماء المطر المتحجر ) وهو غاية في كمال الصناعة .  
وحسن الصياغة . وقد أحاطت بها العظمة والجلال . فنظرت اليها وقلبي ممتلئ  
خشية ورهبة فرأيت كأنها تشير الى قائلة : هذا محل عظمتي ومقر سلطتي .  
فكيف تراني . وأنا في سمو مكاني . وجبروتي وسلطاني . فانظر الى ضعفتك  
امام هيبتي . واستكانتك تجاه عظمتي . وصغر رسمك . وضعف جسمك .  
تلقاء قدرتي . واعجابك الابدي بما صنعته يدي . مما يخفق عند نظره قلبك .  
ويحار لبك . ثم أجل نظرك في حالك وحالي . وأعمل فكرك ولا تبالي .  
واحكم بما وهبك الله من العقل . وما اكتسبته من العلم والتجربة والنقل . هل  
ترى نفسك تحت سلطتي . وأسير قدرتي وقوتي . أو تجدني من خدمك  
وحشمك . تنهرني بفمك . وتطأ عظمتي بقدمك ؟ لاشك أنك تعجز عن  
الجواب . فانه حير قبلك أولى الالباب . نعم أقول لك أيها المصري ان ماتراه  
من سلطاني . وعلو شاني . هو دون سلطان عقلك ومكان حكمتك . اللذين  
وهبهما الله لك . فجعلت بينك وبينهما حجاباً كثيفاً من الكسل . يزداد كل  
لحظة بما عندك من ضعف الامل . فيبعدهما عنك حتى أصبحا الآن ولا  
يسمعان نداءك . ولا يبصران ما وراءك . فانتابتك الايام . ووطئتك الاقدام .  
ثم سرنا في طريقنا حتى وصلنا الى قاعة يسمونها قاعة الأثدية وفيها كثير من  
الاحجار المائية وقد تكونت على صورة ثدي المرأة تماماً وهي بين صغيرة



وكبيرة فنظرت فاذا بينها على شكلها حجر عظيم جداً اكبر من حجم الانسان الضخم وقد أشرف على الجميع بعظمته . وأخذ الابصار بلمعان بشرته . فانددهشت من تكوينه من نقط المطر الصغيرة . وبينما أنا غارق في بحار دهشتي سمعت كأنه يقول « لا تستبعدن وصولك الى ما بعد عنك . ولا يهولنك أمر تتصوره فوق قدرتك . واجتهد في عمالك . فمن جد حصل . ومن سار على الدرب وصل . ولا تعجب من كوني تكوّنت مما في ماء المطر من الذرات الحجزية . فان اهرامك التي تناطح السماء . وتعانق الجوزاء . انما بنيت على حجر قام عليه آخر وعلى هذا غيره في أوقات مختلفة حتى تكوّنت وقد أدهشك مخبرها . وهالك منظرها . وما هي في مبدئ الامر الا ذلك الحجر البسيط الذي لم تشرفه بالقاء نظرك اليه . واعلم ان الانسان لا يصل الى غاية الامل . بغير الدأب على العمل . فاذا سار كل يوم ولو خطوة واحدة لم يلبث ان يصل الى غايته . وما كل الامور في أوائلها الا صغيرة فتصبح بالجد وهي كبيرة وليس من الممكن الوصول الى أمر جسيم مرة واحدة ولكن شيئاً فشيئاً . سنة الله في خلقه الذي كونه في أيام ستة . وما ذلك لعجزه عن ايجاده في أقرب من لمح البصر ولكن . ليسن لك قانونا تسير على مقتضاه ارادتك وقدرتك المحدودتان » .

ثم اتبعنا طريقنا حتى وصلنا الى قاعة يسمونها قاعة الاعلام فنظرت فاذا على جدرانها وأرضها اعلام من حجر المطر يندھش النظر . وتحار الفكر . من حسن وضعها وجمال تنسيقها . ورأيت بوسطها علما كالثلج في بياضه وكأنه قد رفعته امي يد الطبيعة وهي تقول : لعسل قارصات كلامي . وسهام وعظي وملامي . أثرت فيك أيها المصري فنشطت من عقالك . ونفضت عنك غبار كسلك وخمولك . وسرت فيما ينتهي بأمالك . فها أنا اكف عن حربك .

ولا أقف عثرة في سبيلك ودربك . واني لأقف امامك عند هذا الحد فقط  
بل أرفع لك هذا العلم الابيض استسلاما اليك . بل انعطافا عليك . فلعلك لا تثير  
عليك بكسلك عوامل غضبي بعد الآن . فسر في طريق الحزم والعزم والمجد  
والجد والله هو المستعان .

ثم تركناها وسرنا في طريقنا أوفى سردابنا وهنالك أخذت أفكر في  
كيف ان تلك القاعات وهذه السرايب قد نحتها يد الماء اللطيفة . في هذه  
الصخور الصلبة الكشيفة . التي لا تقوى عليها عوامل الحديد . بالجهد الجهد .  
وعجبت كيف ان النهر صدع الصخور . وجعلها بين منحوت ومنقور .  
ومقطوع ومشطور . ورسم فيها طرقات وقاعات . بين عاليات ومنخفضات  
ومتسعات وضيقات . وبينما أنا أمشي في تيار هذه الافكار اذ ظهر لي منه  
لسان اشد زئيره . ورعد خريره . وبرز ضميره . وهو كألاسد قد ثار  
غضبه . وتحرك ذنبه . وهجم على الواقف في طريقه فقصم ظهره . وأباد أثره  
ولسان حاله يقول : أيها العاجز لا تغتر باللين . وتستسهل الهين . وتستوثق  
باللين . فكم من لين بطش بيد من حديد . وهين يقف عند نواله العزم الشديد  
وبين ينسبك بتقلبه كل قديم وجديد . فلا تثق بصفاء الايام . واحذر بطشها  
بك بما لا يخطر في الاوهام .

وما زلنا في طريقنا حتى وصلنا الى بحيرة قد كونها النهر قبل مخرجه  
من المغارة فركبنا زورقا صغيرا بها وسرنا متبعين تيار الماء ولم نشعر الا وقد  
اطفاً مرشدنا المصابيح . فهالتنا تلك الظلمات التي بعضها فوق بعض ولا كنا  
لم نلبث أن شاهدنا امامنا لسانا من النور قد انبعث من فم المغارة وكان بيننا  
وبينه خمسون مترا وكان يمثل ضوء القمر تماما . ففرحنا برؤيته . واستبشرنا

بطلعته . وكأنا قد انتقلنا من عالم الظلمات . بل الممات الى عالم الحياة . وكأنا بهذا  
النور وقد انعكس على صفحة الماء وهو متحرك بحركته يقول لنا : « النور  
خير من الظلام . الحياة خير من الموت . والحركة خير من السكون » وكان  
فروع الاشجار التي على فم المغارة وقد انكسر ظلها على سطح الماء وقد تسنمت  
متون الامواج تتسابق تهنئتنا بسلامة الوصول . وهناك سمعنا صوتاً تخيلت  
أن قد ارتجت له الارض . في طولها والعرض . ودوى في جوف المغارة  
ولا دوى الرعود . وزئير الاسود . فعلمنا انه مدفع صغير قد أطلق ايذاناً  
بوصولنا الى مرفأ السلامة . وعند ذلك بارحنا مخرج المغارة ورأينا العالم الحى  
فانتعشت منا الارواح . وعلت أصوات الافراح . وانشرت الصدور .  
وتبسمت الثغور . وخرجنا الى النور . بين عوامل السرور . تاركين  
ما عترانا من الاكثاب والاوهام . بين صفحتى ذلك الظلام . الذى بارحناه  
والحمد لله بسلام .

وكانت المدة التي امضيها بداخل تلك المغارة ثلاث ساعات لان طولها فقط  
يبلغ نحو ١٥٠٠ متر تقريباً . وقد اكتشفت في سنة ١٨١٨ ولم يعثروا إذ ذاك  
الا على مدخل واحد لها . وفي سنة ١٨٥٢ عثروا على مدخلها الثانى وهو الذى  
خرجنا منه وكانت في مبدأ أمرها تابعة للحكومة البلجيكية فاشترها منها  
البارون وسين سنة ١٨٥٥ بمبلغ ٤٥٠ ألف فرنك ومتوسط دخلها الآن  
١٥٠ ألف فرنك سنوياً وذلك من رسم الدخول فيها فان كل زائر عليه ان  
يدفع خمسة فرنكات . فاعتنى هذا الرجل بأمرها وأصلح طرقها وأدخل  
اليها النور الكهربائى وجعل عليه رسماً آخر قدره فرنكان لمن يريد ان تنارله  
به . ولعدم كمال حفظنا كان في بطارياته خلل وقت زيارتنا لها ولكننا نحرم من

مشاهدة معالمها بواسطة الانوار التي كانت تنبعث من فتيلة من القماش مغمورة  
بالزيت يوقدها الخدمة في كل قاعة من قاعاتها فتشير المكان بضوء لم يكن بأقل  
من الضوء الكهربائي . وبالجملة فهي أثر جميل كونه يد الطبيعة جدير بأن يقصده  
الزوار . من جميع الاقطار والامصار .

﴿ نبذة تاريخية عن حكومة البلجيك ﴾

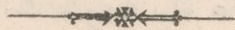
كانت حكومة البلجيك في سابق الزمان أرضاً يسكنها قبائل رحالة  
استولى عليهم الرومان في حكم جول قيصر ومكثت تحت حكمهم الى أول  
القرن الخامس حيث استولى عليها الافرنج الذين أتوا وأقاموا بين مصبات  
أنهر الاسكو والرين والمين . وفي القرن الثامن دخل القسم الغربي من هذه  
البلاد تحت حكم شرلمان ملك فرنسا والقسم الشرقي تحت حكم المانيا ثم  
انقسمت الى عدة امارات ثم انضمت الى حكم شرلمان امبراطور النمسا  
والمانيا وملك اسبانيا في مبدأ القرن السادس عشر . ولما تنازل عن ملك اسبانيا  
لابنه فيليب الثاني انضمت هذه البلاد الى حكومتها . وفي سنة ١٥٦٨ تخلص  
الجزء الشمالي من نير حكومة الاسبان التي أورثتهم الذل والانحطاط بعد  
ثورة عظيمة ابتدأت بعشرين ألف نفس وهذا الجزء هو المكوّن لمملكة  
هولانده الآن . وفي سنة ١٥٩٨ تنازل فيليب الثاني عن هذه البلاد الى ابنته  
الملكة ايزابلا التي تزوجت بالارشيديوق البير النمساوي وفي أيامهما ارتفعت  
المظالم عن عاتق البلاد فنسيت مصائبها وابتدأت في الاشتغال بالمعارف  
والتجارة والصناعة والزراعة وقد كان حكم هذه الملكة مبدأ لسعادة البلجيك  
وفي أيامها كان روبنصون الرسام الشهير موجوداً وهو الذي وضع أساس

الفنون الجميلة بها ومات الملك ألبير المذكور من غير عقب فسقطت البلاد  
ثانية في يد الاسبانيين سنة ١٦٢١ ومن ثم أخذت في الهبوط والانحطاط .  
وكانت في أثناء ذلك تتناوبها الحكومات وتلقفها الايدي حتى صارت لحكومة  
هولانده في سنة ١٨١٤ على مقتضى معاهدة لوندردة ومؤتمر ويانه وقد أطلق  
على الحكومتين اسم حكومة البلاد الواطية واستمرت تحت سلطتها الى  
سنة ١٨٣٠ وفيها قامت ثورتها المشهورة التي أعقبها استقلالها ثم شكل  
الاهالي مؤتمراتهم وأقروا على انتخاب البرنس ليوبولد ملكا على البلجيك وسلموه  
زام الملكة في ٢١ يولييه سنة ١٨٣١ . وفي ١٥ نوفمبر من السنة المذكورة  
امضت الدول الاوروبية معاهدة في لوندردة اعترفوا فيها باستقلال البلجيك  
وقرروا فيها حدود كل من الحكومتين ( هولانده والبلجيك ) وأخذت  
فرنسا على عهدها تنفيذ هذه المعاهدة فدخلت البلاد بجيش كثيف وحاصرت  
انفرس واستولت عليها وسلمتها للبلجيك ومن ثم رفعت هذه البلاد علم استقلالها  
وابتدأت في ترقية جميع شؤونها من زراعية وصناعية وتجارية وعلمية حتى  
أصبحت وقد بلغت من الثروة والمدنية مبلغاً ما وصلت اليه الممالك الكبرى  
في هذا الزمن اليسير . ومسطح هذه البلاد ٣٩٤٩٧ كيلو مترا مربعا وعدد  
سكانها ستة ملايين وأربعمائة ألف نفس تقريبا وكلمهم على الدين المسيحي ماعدا  
ثلاثة آلاف فانهم من اليهود .

وجيش هذه البلاد على مقتضى معاهدة لوندردة لا يزيد عن مائة وثمانية  
وثلاثين ألفا وقت الحرب وخمسين ألفا وقت السلم لحماية بلادها .

والسفن التجارية لهذه الحكومة يبلغ عددها ٦٠ سفينة تجارية وحمولتها  
٨٠ ألف طن وعشرة شراعية وحمولتها ألف ومائتا طن وليس لها سفن

حرية . أما أخلاق أهلها على العموم فهي لين الجانب ولطف المعاشرة والاقدام على المشروعات الكبيرة مع الفكر قبل العمل والانكباب على كل ما فيه خير لهم ولبلائهم . وهم ينقسمون الى قسمين : الطبقة العالية وهي التي امتازت بالتربية الحسنة فنمت عقول بنينا وزادت ملكاتهم وسطعت شمس معارفهم وانبعثت منها أشعتها الى من دونهم فأثاروا لهم الطريق ومهدوا السبيل . والطبقة الواطية وهم قوم لا يعرفون الا العمل المادى وفيهم حب الشغل والاستماتة في وطنيتهم وهم وان كانوا أقرب الى الحيوانية من فلاحى بلادنا في الطباع والاخلاق ولكنهم يمتازون عنهم بما عندهم من قوة الارادة التي انما نحن خلو منها بالمرّة وحسبهم ذلك ا كبر رائد للخير والسعادة الابدية . وأهالى هذه البلاد يقسمون الساعة اليومية الى ٢٤ ساعة بتبدي من نصف الليل فيقولون وقت الظهر الساعة ١٢ فاذا كانت الساعة الاولى أو الثانية بعد الظهر - يبروا عنها بالثالثة عشرة أو الرابعة عشرة وهكذا الى الرابعة والعشرين وهي التي نعبر عنها بنصف الليل أو بعبارة أخرى بالساعة الثانية عشرة بعد الظهر . وربما كان ذلك من كمال اقتصادهم الذي سرت روحه حتى في الكلمات فقد توفر به كمتا بعد الظهر أو قبل الظهر وتوفر به أيضا السؤال عن القيد عند ذكر الساعة مطلقة وكذلك قولنا بعد نصف الليل ولم أر هذه الطريقة مستعملة في سواها من بلاد أوروبا وهي ولا شك أمتن في التعبير وأضمن في تحديد الوقت .



✽ الرسالة الخامسة ✽

✽ من بروكسيل الى باريس وتسعة أيام بها ✽

ركبت قطارا لاكسبريس من بروكسيل في منتصف الساعة الثامنة صباحا فوصلنا في منتصف الساعة الثانية بعد الظهر الى باريس وكان القطار في أثناء ذلك يمر بنا في أراضي البلجيكا حتى اذا وصلنا الى المحطة التي فيها الحدود بينها وبين أراضي فرنسا أتى عمال الجمر ك وفتشوا أمتعة الركاب كما حصل لنا فيما بين فينا وكولونيا وبين هذه وانفوس وقد ظهر لي ان أراضي فرنسا في هذه المنطقة ليست منتظمة في زراعتها ولا أعلم اذا كان ذلك ينسب لقلة خصوبة أرضها عن الاراضي التي على الطريق من ترينستا الى انفوس أو ينسب لاهمال الفرنسيين لزراعتهم . فلما وصلت الى محطة باريس خفت ان أعر من الشياطين على أحد النشالين . فأخذت شنطتي في يدي وتبعته الناس الى حيث يخرجون . ثم سألت عن المكان الذي أخذ منه صندوق أمتعتي وكان في عربة أخرى من القطار فدلوني عليه وهو في نفس المحطة فيممت صوبه وأعطيتهم البوليسه فأحضروه لي . وكان هناك خلق كثير يطلبون أمتعتهم مشي . ثم ان عمال الجمر ك سألوني عن وجود شيء معي للجمر ك فأجبتهم بالسلب ولكنهم طلبوا الى فتح الصندوق ففتحته فلم يعثروا فيه على ضالة لهم والحمد لله فأحمله شيالا وخرجنا لنبحث عن عربة وكلما استدعينا عربجا تلوح له على هيئتي أني لست بكونت ولا برنس ولا خواجه فلا يريد أن يرد علينا بكلمة واحدة فاستمرينا على ذلك وأنا كالضائع قليل الحيلة لأنني لم يسبق لي زيارة باريس وما زلنا حتى عثرنا على عربجي ربما كان أقل حيلة مني فأخذني

ومتاعى الى حيث أخبرته بمقامى الذي كان قد أعدته لى فى بيت عائلة فرنساوية  
أحد اخوانى المصريين المقيمين فى هذه المدينة فلما عرفت به أودتى حمدت الله  
على سلامتى .

و كنت أفكر انه بمجرد وصولى الى منزلى لا يكون الا مسافة ماضع  
به متاعى حتى أيمم جهة المعرض الذى انشحن فكر ناباعلاناته منذ عشر سنوات  
وعلى الخصوص فى هذه الايام الأخيرة ولكن واحسرتاه بمجرد مقابلتى  
بصديقى المذكور سألنى عن صحة سيدنا ومولانا الخديو المعظم فقلت له بخير والحمد  
لله . فقال لى ان الجراؤد تقول عنه انه فى غير فراش العافية . فقلت تلك جراؤد  
فرنسا وموضوعها فى ذلك معرض آخر يطول بنا شرحه . ولم أتم كلامى حتى  
وردالىّ جواب من أحد اخوانى الذين بمعية جنابه العالى يخبرنى فيه بتوءك صحة  
الخصرة الفخيمة فأظلمت الدنيا فى عيني وكاد يذهب عقلى لمباغتتى بهذا الخبر المؤلم  
وهناك زاد على مرضى وبعد أن كنت بعلة مفردة أصبحت بألف وواحدة .  
فأرسلت فى الحال الى ذلك الصديق أرجوه أن يشفق بحالى ويخبرنى عن صحة سيدي  
بما لعله يهدأ به بالى . ويقلل من انشغالى . بل حزنى وبلبالى . وكيف وهو حفظه  
الله ولى النعمة . و حياة الأمة . الذى ترجوه فى كل ملة . أحب رعيته فالت  
بكائيتها اليه . و وهب حياته لخيرها فألقت بمقاليد حياتها بين يديه . بل كيف  
وهو الشهم العامل . والعالم الفاضل . الذى لا يألو جهدا فى تقديم مصره .  
حتى أصبح فى مقدمة رجال عصره . عرف بمحاسن كلالته . وجلائل رغباته .  
فتعلقت به القلوب . ولا غرو فهو الأمير المحبوب . حرسه الله بعينه التى  
لا تنام . وبلغنا به غاية المرام . آمين

ولقد مكثت يومين وأنا أتقلب على جمر الانتظار . وأتجرع من يد المرض



كل مرار . حتى وافاني جواب صديقي يخبرني فيه بأن الحضرة العلية تتقدم الى الصحة والعافية فلم اكتب بذلك وطلبت اليه أن يوافيني بما عساه يكشف الغمه . وليشتت من الكروب جيوشها الملمة . فأتى الرد بسرعة . بما الشرح له الصدر وقرت به العين . وهو تمام الشفاء . وكمال السرور والصفاء . فحمدت الله تعالى على ان كشف عناضرا . وساق لنا خيرا . وسجدت له سبحانه وتعالى شكرا . ولبست أنا كذلك ثوب العافية . وكان نفسي تخاطب مولاها بقول القائل « اذا سلمت فكل الناس قد سلموا » عند ذلك فكرت في زيارة المعرض العام الذي أمه الناس من جميع الأقطار والامصار :

﴿ معرض باريس العام لسنة ١٩٠٠ ﴾

دخلت هذا المعرض لأول مرة مع رفيق فرنساوى من المنزل الذى نزلت به وقد سبقت له رؤيته فاندھشت لواسع فناءه . وفسيح ارجائه . ونخامة مكانه . وعظيم بنيانه . وأخذنا نسير فى أكنافه نحو أربع ساعات وأنا صامت اللسان . فاقد الجنان . من كثرة ما يقع عليه النظر . فى كل لحظة بصر . من معروضات . هى من اكبر الآيات . تأخذ بالعقول . وتوقع الناظر فى ذهول . ولا يمكن للعقل ان يحفظ صورة منها فى خياله لانها انما تمر عليه مرورها على نظره الذى لا يرى له نقطة يرتكز عليها . حتى يصوب باشعته اليها . لأنه ان ظنها كمالا بصر باكمل منها . فاذا أراد أن يتأمل فى هذا جذبته غيره اليه . فاذا رغب فى الاقرار عليه . ارتاح لسواه ولم يلبث أن يستميله آخر وهكذا الى مالا نهاية له .

فلما رجعنا الى المنزل سألتى بعضهم عما شاهدت بالمعرض فكان جوابى

أبسط من سؤاله حيث قلت « رأيت المعرض ولم أر شيئاً » . وكان مثلي في ذلك مثل رجل قام من نومه عقب منام طويل عريض رآه فأراد أن يقصه ولكنه لم يجد من معالمة في خزان ذهنه إلا أنه رأي مناماً ولم يتذكر منه شيئاً ثم توجهت بعد ظهر هذا اليوم الى المعرض مرة أخرى ولكنني خرجت منه بعد أن سرت ثلاث ساعات ونصفاً في أمكنته وبارحته وأنا ذلك الحائر . وفي اليوم نفسه اشتريت خريطة لادرس فيها وضعه الجغرافي حتى تسهل عليّ زيارته فتأملتها طويلاً فوجدته قد وضع على ميدان شان دي مارس مما يلي ميدان الكونكورد ووضع أشبه شيء بمناورة خربية أعني على شكل قلب وجناحين . قسمهما نهر السين الى قسمين غير متساويين . والقسم المهم هو الذي على ميسرة النهر فسالت عليّ زيارته على هذا الشكل ولذا فاني أقص عليك شيئاً مما رأيته أو عرفته بالاجمال تاركاً تفصيل ذلك الى أخي وصديقي الفاضل أحمد بك زكي سكرتير ثاني مجلس النظار وصاحب « الدنيا في باريس » .

### ﴿ القسم الذي عن يمين السين ﴾

يحد هذا القسم نهر السين جنوباً ومن الشرق ميدان الكونكورد ومن الشمال شارع شانز ايزي وميدان الماء ومن الغرب ميدان التروكاديرو . والجناح الشرقي الشمالي منه يدخل اليه من باب عظيم فترى به قصرين عظيمين أحاطت بهما الجنان . من ذوات الازهار والافنان . فترى عن يمينك القصر الاكبر . وفيه الرسوم والتماثيل والصور . من كل ما أدهش وبهر . وفيه قاعات لجميع الدول التي اشتغلت بهذه الفنون الجميلة . والقسم الاكبر منها لفرنسا وقد علقت على جدرانها لوحات صور مختلفة الاشكال والالوان والاوزاع مما

عمل بالقلم الرصاص فقط ثم بالحبر أو بالزيت وقد شاكلت الطبيعة في جميع حالاتها لولا ان هذه متحركة بروح من عند الله وتلك كأنها تتحرك ولا حراك وتتكلم ولا كلام وتبتسم ولا ضحك وتعيش ولا حياة وهذه الدقائق هي التي وحدها تميز بين عمل الانسان وصنع الخالق ولقد ترى في معاني هذه الرسوم ما يدلك على ميل صانعها مما يجعل المتأمل فيها يحكم على مكوّناتها بصفته التي تقوم به من غير ماتعب ولا نصب .

فتري أغلب اللوحات الفرنسية قد شخصت لك ربّات الجمال . في جميع الاوضاع والاشكال . بكل ما يمكن أن يتصوره الخيال . أو يكتب أو يقال . من جمال ودلال . فتري هذه سهلة المنال . وقد اتصلت بصاحبها أي اتصال . وخيم عليهما الضلال . وترى تلك بعيدة النوال . صعبة الوصال . قد رمت قلبك بأقسي نبال . ونفرت نفور الغزال . وتركتك في أسوأ حال . وأخرى تراها وقد تعرت عن الملبوس . ونامت نومة العروس . وقد فتنت النفوس . بجمالها المحسوس . وألقت بها في بحار الحيرة والبوس . وغيرها تراها قد أماطت الثياب . وغطت ذلك الباب . من كنفها بالطف حجاب . وأنست الاعراب سلماها والرباب . ثم لم تلبث أن يقع بصرك على عذراء قد خلعت العذار . فأخجلت الاقمار . وضحكت وجنتها من نضرة الازهار . وهزأ مرسل شهرها بسبائك النضار . وكأنها أخذت بمقاليد الاقدار . وفتكت بقلوب النظار . وتركتهم حيارى في بحار الافكار . وقد أرسلت اليهم بأشد انذار . أنها لا تقبل الا من استرق لها من الاحرار . وأحسن الاعتذار . وأسرف بالقنطار . وهكذا مما جملت مناظره وأوضاعه . وكل عمله وابداعه . مما يدلك على أن القوم وصلوا في عالم الشهوات . الى ما لم يصل اليه من فات . ولا

يبلغه من هوآت . ومع ذلك فانها تكشف لك عن لين جانبهم . وخفة  
حركاتهم . وسرعة خاطرهم . وسهولة أخلاقهم . وجاذبية أرواحهم وتفننهم في  
كل ماشاق وراق .

ويقرب منها في ذلك معرض رسوم ايطاليا لولا أنه أقل جمالا وأخس  
كمالا مما يخبرك عما فيهم من دناءة الاخلاق وانحطاط درجاتهم عن مماثلهم  
من هاتيك الدول الاوروبية ولكن لا ينكر عليهم ما عندهم من قوة الارادة  
التي انما تغطيها يد الفقر والحاجة .

أما معرض رسوم المانيا وانكلترا فتري به صورة نساء ورجال . قد أخذوا  
في مزاولة الاعمال . هذا يفكر . وذاك يدبر . وتلك تشرم . لعمل مبهر .  
وبين هذه صور قليلة مثل سابقاتها وان كانت أقل منها جمالا . وأكثر كمالا .  
ومن رآها وهي أقل صناعة مما أحاط بها من اللوحات الجديدة . حكم بأن  
الراسم تكاف في رسمه . لانه ليس من شيمه وانما وضعها بين صور الحكمة  
والاحكام . لتكون كالسلطة بين الطعام . ومن ذلك يحكم الناظر المتأمل بأن  
القوم اتصلت أرواحهم بالعمل وسرى حبه في عروقهم . حتى امتلأت خزائن  
محفوظاتهم بصوره فسرت الى أقلامهم . فوضعوها على لوحاتهم . فهم لا يعرفون  
غيره ولا يعرف غيرهم .

ويمثلهم في ذلك الولايات المتحدة . ويقرب منهم البجايك وسريسرا  
والنمسا . وقد امتازت هذه بالرسوم الطبيعية والدينية . وأعجب ما رأيت في  
هذا المعرض هو القسم المخصص لليابان فان به من حسن الصناعة ما يدل على  
تقدم القوم بسرعة زائدة في تيار المدنية ويجعلك تحكم بوفرة عقولهم . وسعة  
أذهانهم . وكمال معرفتهم .

وهذا القسم عبارة عن قصر بني على أحسن نظام وأكمل طراز ويشتمل على دورين ملئت قاعاتهما بهذه الرسوم ويحيط بالدور الأعلى صالون قد وضعت فيه رسوم المباني الشهيرة وتصميمات عن مبان حديثة من أعجب ما يصنع الصانعون . وفي حوش هذا القصر قد وضعت التماثيل من حجرية وصخرية وورخامية ومرمرية وبرونزية وهي تكاد تنطق بلسان فصيح يشهد لصانعيها بدقة العمل ووفرة الذوق وفي وسطها تماثيل فكتور هيغو العالم النحير . والكاتب الفرنسي الشهير .

### ﴿ القصر الصغير ﴾

هذا القصر قد وضع أمام القصر الكبير الذي مر بك ذكره ويفصلهما عن بعضهما شارع عرضه نحو مائة متر وضعت في وسطه زهريات أحاطت بفسقيات لطيفة جدا . وهو دور واحد وقد جمع إليه مجموعات أكابر القوم من نفائس الذخائر مثل سسيوف مرصعة بالأحجار الكريمة وغيرها من الأشياء كخناجر وطبنجات وبنادق وعلب للدخان وللنشوق من الذهب الذي نزلت عليه المينا . وأطباق من الذهب والفضة ومجموعات النقود الفرنسية كلها وما في معنى ذلك . ومن هذه الأدوات ساعة قد قامت على قاعدة من المرمر وقد أحاط بها ثلاث عذارى منه وقد رفعن أعلى أيديهن . ولهذا الساعة تاريخ عجيب : وهو أن أحدهم اشتراها بسبعة آلاف فرنك فاشتراها منه بعض الشبان من أغنياء الفرنسيين بثلاثين ألفا أو تزيد قليلا فنهروه أبوه وأراد الحجر عليه لأنه عد ذلك منه سفها . ولكن هذا الشاب لم يلبث أن طلبها منه رجل بمائة ألف فرنك ثم زاده آخر وآخر حتى أراد أحد الإنكليز مشتراها بثلاثة

ملايين فرنك فكتب له الشاب يقول انى لأبيع الساعة بأقل من خمسة ملايين وحيث انى وهبتها الى متحف اللوفر فيمكنك ان أردت الحصول عليها دفع هذا المبلغ اليه لتأخذها منه وهذا أعجب شىء فى أمر هذه الساعة التى لو أرادوا اعطاءها لى مجاناً ربما تأبى نفسى اذا تذكرت شدة الجمارك عندنا . وبالجملة فهذا المكان لم يكن له عندى كبير أهمية لانه ليس فيه شىء من الصناعات . وحديث المخترعات التى أقيم من أجلها هذا المعرض وفى المتاحف من أمثالها كثير وان كان هذا الرأى لا يراه غيرى ولكن الاميال تتفاوت .

أما القلب من هذه الجهة فليس به مما بهم سوي مكان أقيم على هيئة أبنية باريس القديمة وقد سمي باسمها وفيه تشخيص بعض روايات ملوكها التى يدخل فيها ما كانوا عليه من العوائد والاخلاق . وبعض أمكنة لعمل البسكويت . وفيه لوكانة دو فال وقد دخلت اليها لتناول العشاء مرة فوجدت الناس وقوفاً على باب الدخول اليها ينتظرون أدوارهم حتى اذا أتى دورى أخذت نمرتى ودخلت فوجدت بها ثلاث طبقات فى كل طبقة نحو ألف نفس جلوساً على الموأد يأكلون ويشربون والخدامات قد قن يعملن أحسن قيام وهن على غاية من النشاط واذا خلا مكان لا تمر عليه دقيقة واحدة حتى تراه انشغل بأكل آخر فاندھشت لسعة المكان ونظام الطعام ونشاط الخدمة مع كثرة الوافدين عليه وخرجت وانا معجب بما فيه من كمال الترتيب . الذى يتخبر فى وصفه الاديب . اذ لا يخفك ان وقت البطون تتوه العقول .

أما الجناح الآخر فهو مكان معروضات المستعمرات الدولية وفى رأسه قصر التروكاديرو الذى شيد فى معرض سنة ١٨٧٨ وهو مكان عظيم البنيان . وطيد الاركان . سمي بهذا الاسم تذكراً لآخذ القرنساويين طابية التروكاديرو

في حرب قادس باسبانيا سنة ١٨٢٣ وقد عرضت فيه في هذه السنة مناظر كثيرة (پانوراما) من جزيرة مدغشكر . وعن يمينه معرضا تونس والجزائر وفيها بعض صناعة هذه البلدان من الانسجة الصوفية والحريرية والسجاجيد والأكلية والأحذية وبعض مصوغاتهم الفضية والذهبية وأنواع حاصلاتهم من بلح وقمح وشعير وما يماثل ذلك . وفيهما أسواق لمبيع كل هذه المعروضات وعارضوها من المغاربة بينهم كثير من اليهود . وقد رتبا على شكل جميل لطيف وان كان ما فيهما ليس من الاهمية بما يذكر أو يشكر وقد أحاط بهما بعض محلات يشخصون فيها ألعابهم وأغانيتهم ورقص بلادهم

ثم معرضا الهند الانكليزية والفرنساوية وفيهما ماشاق وراق من صياغتهم الفضية والذهبية التي تبهر العقول بدقتها ورقتها . أما منسوجاتهم الحريرية والتطنية فشيء يستميل اليه الانظار . وتجار في جمال صناعته الافكار . ثم تماثيل من العاج وأشياء قد صنعت منه ومن خشب الصندل وغيره تبهر النظر . وتخطف البصر . بدقيق صناعتها . وكمال جمالها . ومن ذلك هيكل بوذي قد صنع من خشب الصندل ارتفاعه نحو ستة أمتار في عرض أربعة وفيه من الصناعة الخشبية الدقيقة ذات الاشكال أو البارزة ما يقف عند تصور جماله الجنان . ويحجم لدى وصفه اللسان . وغير ذلك من الصناعات المدهشة التي تدلك على ما عند القوم من دقيق النظر وكامل الذوق والقدرة على العمل مما لا يخرج عن هذا المعنى .

ثم ترى بجوار هذا كله محاصيل بلادهم من أخشاب هائلة اكتسبتها الطبيعة لونا جميلا ومنها الساج الهندي وهو كالأبنوس في سودانا لولا أنه أكثر صلابة منه وخشب الصندل والجهان والتمر الهندي والصمغ واللبان

واللادن والتيل والحريير والقطن وقطن الحريير ومن معادنهم الفحم الحجري والشب والاحجار المختلفة والاحجار الكريمة مثل الياقوت والعقيق والرخام والسكريت والمغنيسيا والقصدير والصوان . وترى بين ذلك طبولا (نقاريات) كما ثلاثها عند السودانيين . وقد شاهدت بين معروضاتهم محرثا يشبه الذى عندنا تماما مما يدل على تأخرهم فى فن الزراعة مثلنا وربما كانوا أكثر تأخرامنا

﴿ معرض التركستان الروسية ﴾

قد عرض فى هذا المكان أنواع الحيوان المصبرة وكثير من جلود النمر والذئب والتموس الكبيرة والشعالب السوداء والبيضاء والحمراء وغيرها . ومن صناعاتهم البسط والسجاجيد الفاخرة والحرائر اللطيفة وقطع الاخشاب وعمل الاواني النحاسية والصينية ذات الأشكال الجميلة ومصوغاتهم من الاسلاك الفضية والذهبية والملابس القصصية وهى شائعة عندهم وأخذيتهم من الجلد وتنتهى بعقب (كعب) طويل رفيع جدا قطره مما يلاصق الارض سنتيمتر واحد على الاكثر . ويربون عندهم دودة القز . ومن حاصلاتهم القطن الحرييرى والقمح والشعير ويطحنونه فى طواحين الهواء التى رسمها على مثال ما عندنا منها . وقد رسمت فى صدر المكان على طوله صورة القوم فى أسواقهم الاعتيادية وهم جلوس تحت مظلات بسيطة يبيعون ويشترون وهم يمثلون حالة الفلاح المصرى فى سوقه . وعرباتهم تجرها الكلاب أو الخيل على الثلوج وقد رأيت أن الكلاب أقوى وأحسن لأن العربة يجرها كلبان أو ثلاثة من الخيل يتلو بعضها بعضا وقد ركب العربى على الحصان الذى فى الوسط حتى يمكنه ان يدير حركتها جميعا . ومساكنهم من الخشب ولها أبواب ومنافذ صغيرة



وسققها مائل من جهة واحدة. أما هيئة القوم فقد برزت وجناتهم الى الخارج  
وجبهتهم وعيونهم وحادبة أنوفهم وشفاههم كلها على مستوى واحد حتى انك لو  
وضعت عليها لوحا من الخشب انطبق على جميعها تمام الانطباق وعيونهم واسعة  
وافواهم كبيرة جداً بحيث اذا أنزلت خطا عامودياً من نهاية العين اتصل  
بنهاية الفم وهم يلوح عليهم سيماء الشجاعة مع سكون في الاخلاق وهدو في  
الطباع

﴿ محل مستعمرة كندا ﴾

وفيه كثير من أنواع الاسماك المصبرة والاصداف المائية كثيرة  
الاشكال والالوان وجماد الحيوانات بين صغيرة وكبيرة خصوصاً التياتل  
الهائلة والثعالب السود والحمر والذئاب الكبيرة والذباب السود وهي صغيرة  
الحجم. ومن أحسن صنائعهم الصناعة الخشبية من بيانوات لطيفة ومكاتب  
ودواليب وغيرها على الطراز الافرنكي وأشغالهم الحديدية عظيمة جداً جمعت  
بين المتانة ولطف الرنق. وصناعة الورق والدراجات والملابس الحريرية والقطنية  
مثل القطنية والشيت وغيرها والزجاج على أشكاله وألوانه. ومن حاصلاتهم  
التفاح وهو كبير الحجم جداً وأظنه أكبر وأحسن تفاح الدنيا. ومنها القمح  
والشعير والذرة والحمص. ومن معادنهم القصدير والنحاس والرصاص والحديد  
والفحم الحجري والذهب وهو كثير في أرضهم حتى أنهم استخرجوا منه سنة  
١٨٩٨ ما قيمته ٥٤٠٧٦٧١٩ فرنكا وفي سنة ١٨٩٩ ما قيمته ٢٢٥١٦٨١٥٦ ر  
فرنكا. وعندهم أشجار كبيرة حتى اني رأيت بمعرضها جذع شجرة يبلغ قطره  
مترين على الاقل

﴿ محل اليابان ﴾

قد أقامت حكومة اليابان لها مكاناً جعلوه أشبه بمتحف وضعوا فيه بعض آثارهم ولا يدخل فيه الا من كان معه تذكرة من القنصلاتو الياباني أو كان من أرباب الجرائد ومعه صورته مكتوباً عليها اسمه واسم جريدته أو كان من العارضين الآخرين وقد أسعدني الحظ فشاهدت السيد مصطفى بك الديب وكيل شركة المعرض المصري فدخلت معه فوجدنا به دواليب وضع فيها كثير من ذخائرهم النفيسة فتري بدولاب علماً صخيرة من الذهب المتقن نقشه وعليه صور بعض الطيور وبالأخر سيوف قبضتها من الذهب وبعض حكيميات من خشب الساج الهندى أو الابنوس ومن خشب الصندل وعليها نقوش يعجب من اتقانها الانسان وفيها بعض صور آلهتهم منها تمثال الاله نوو مصنوع من الخشب فى القرن الرابع عشر ثم تمثال الاله فيجون من خشب أيضا وصنعه فى القرن الثالث عشر ثم تمثال الاله أوميدا وهو من نحاس وقد صنع فى القرن الخامس عشر ثم الاله ديزيرو المصنوع من نحاس كذلك فى القرن الثالث عشر . وفى قبالة هذا المكان دكاين كثيرة للقوم يبيعون فيها مصنوعاتهم النحاسية والفضية والحريرية والقطنية والخشبية التى ربما رأيتها كثيراً بمصر وعجبت من حسن صنعها وجمال ابداعها

﴿ محل جزيرة سيلان ( سرنديب ) ﴾

وفيه كثير من جلود الحيوانات ومن حاصلات البلاد التى أهمها القرفة وهى أحسن نوعها فى الدنيا ويسمونها فى مصر دار صيني وقد شاهدت فيه منها ما يبلغ طول القطعة الواحدة منه مترين أو يزيد والقول والشعير والقمح والبن

وجوز الطيب والخروب الامريكاني الذي يسمونه فانليا والشاي والكينيا وجوز الهند والتيل واللبن والقطن . ومن حيوانات بلادهم الخلوف الكبير والقرودة والفيلة والتمور والغزلان وكثير من صناعاتهم الفضية والذهبية أو التي من الباعة

﴿ آلة بلجيكية لتنقية الذهب ﴾

وفي جوار هذا المكان مكان به آلة هائلة لتنقية الذهب من التراب الذي يلتصق به في معدنه وهي تابعة لشركة بلجيكية فيضعون التراب الذي معه التبر في مكان منها فيخرج من آخر وقد خلا من كل مايشوبه فيحلونه ويجعلونه على هيئة قوالب طوب طولها ٤٠ سنتمترا وعرضها ٢٠ وسمكها ١٠ وثمان الواحد منها خمسمائة ألف فرنك . وقد حصلت الشركة بواسطة هذه الآلة من أفريقيا الجنوبية في الفترة التي بين سنة ١٨٤٤ وسنة ١٨٩٩ على ما قيمته ٥١٨٠٩٧٠٩١٤٢١ فرنكا من الذهب الخام الذي تبلغ زنته ٦٢١٧٨٧ كيلوجراما وذلك من أرض غاية عمقها ١٤ متراً

فانظر أيها القارئ كيف أن العمل يجذب الثروة واحكم أنت من نفسك

علينا وعليهم (١)

(١) لعلنا نشاهد قريباً بين ظهرائنا هذه الآلة تديرها يد الغربي الذي عثر ببحثه وتنقيته على معادن الذهب التي اهتم بها سلفاؤنا على ساحل البحر الاحمر من بلادنا وأهملناها نحن حتى قبض عليها ذلك الباحث العامل الذي لا تأخذه عن مصلحته سنة ولا نوم بعدان أخذ من الحكومة المصرية امتيازاً بذلك . وقد أخبرتنا الجرائد أخيراً ان هؤلاء الباحثين عثروا على بركديم كان ابتناه أباًواحفروه ووصلوا به الى هذه المعادن التي سيكون من ورائها لهم الفائدة العظمى ونحن نحن على عهدنا بانفسنا من الكسل والحوول ننظر اليهم بعين الآسف المحزون وغاية ما يصل بنا جهدنا أننا نحوقل ونرجع على أنفسنا باللائمة من غير ان تحرك من سكوننا ونهب من رقدتنا .

﴿ منازل البوير ﴾

وبجوار هذا المكان هيئة منزل بويرى وهو بناء صغير يدخل من بابه الى فسحة صغيرة في نهايتها المبطخ وبها بابان بجوار باب المنزل واحد على الشمال يدخل منه الى أودة صغيرة والثانى على اليمين يوصل الى أخرى . وفي هذه باب يوصل الى دركة بها باب آخر للمنزل فى الجهة المقابلة لبابه الاول وسطحه من القش المندمج يميل من الجهتين حتى لا يقف عليه ماء المطر وقد وضعت أخشاب فى حوائطه على بعد مترين ونصف من الارض وضعوا عليها أمتعتهم وهو غاية فى البساطة ولكنه أحسن وأصح بكثير من بيوت فلاحينا . والفرق بين المنزلين هو نفس الفرق بين الساكنين . فبيت هذا عبارة عن مقبرة دفن فيها صاحبه حياته وبيت ذاك يشعر بحياة القاطن به ومعرفة قيمة الصحة والعافية اللتين يبنى عليهما عمله وأمله

﴿ المعرض المصرى ﴾

وفى هذه المنطقة يوجد المعرض المصرى الذى أقامته شركة مديرها جناب فيليب بولاد السورى القاطن بالعاصمة المحروسة ووكيلها حضرة السيد مصطفى بك الديب التاجر الماوردى بالتربية فى مصر وهذا المعرض جميل منظره . سبب مخبره وهو نقيض صفة المصرى الذى ان لم يعجبك قلبه . فقد تسرك طهارة قلبه . وهو مكوّن من محل عظيم للتياثرو وفيه راقصات بين مصريات وسوريات وسودانيات مما أنت فى غنى عن وصفه . وبجواره وكالة تمثل لك قطعة من خان الخليلى أو مايمثله فيها دكاكين صغيرة يبيعون

فيها أشياء بعضها مصرية وأغلبها سورية بين أحزمة حريرية وأساور أو خواتم نحاسية أو فضية وبعضها مطلية بالمادة الذهبية وأشياء كثيرة من الأدوات الصغيرة التي لا قيمة لها وليست المقصودة بالذات من إيجادها في المعارض التي إنما تقام لتعرض فيها دقائق الصناعات . وغرائب المخترعات . ولطائف المبتكرات . ونافع المعلومات . وكل الذين يبيعون في هذه الدكاكين من السوريين ولم يكن بينهم إلا مصري واحد من أقارب وكيل الشركة . وبجوار هذا السوق محل عظيم متقن الصنع جميل الرواء والبهاء على مثال هيكل من هياكل مصر القديمة وقد وضعت به طاولات نثرت عليها عينات من القطن المصري بين أشمونى وعفنى وسكرى . وفي جواره قهوة قد استأجرها أحد السوريين وبجوارها دكان لمبيع الدخان أو السجاير المصرية . هذا هو المعرض المصرى الذى إنما عرضت به أقبح صفات المصريين من كسل وخمول وضعة وقباحة أخلاق وتعلق بالملاهى وربما كان الذنب فى ذلك أدبيا عاندا على الحكومة التي ان أخلاها العقلاء من اللوم لعدم مساعدتها للشركة فهم لا يعذرونها فى عدم تنازلها بتعهد معروضاتهم .

فيا حضرات المعارضين أسألكم بحق الصداقة والصدق هل كان ضمن معروضاتكم شئ مما اشتهر به المصري من الصناعة الخشبية أو المنسوجات الحريرية المدهشة أو الصياغة التي تبهر رائيها بجمال صناعتها أو غير ذلك مما لا يفيد سرده وتعداده الآن

وهنا كلمة يجمل بي أن أسوقها لآخوانى المصريين وخصوصاً ممن يتمشdqون على الدوام بدم الشوام القاطنين بمصر لأخذهم المراكز التجارية والإدارية وانتقادهم على الحكومة في فتح طريق التقدم أمامهم : ان السوري لم يزاحمك

أيها المصري بدون حق فانه وجدك نائماً فانتبهز فرصة غفلتك . ووثب الى  
ديارك فقيراً محتاجاً واشتغل بكد وجد وحزم وعزم حتى تقدم عليك . ودانك  
لأذنيك . ثم أخذ ما بين يديك من المتاع والضياع . تارة بحق وأخرى بخداع .  
ومنهم من قصد باب الحكومة فدخله صغيراً وعمل بنشاط واجتهاد فكبر  
وسبقك وقد كنت أمامه وأنت لاه عن عمك . قاعد عن سلوك طريقك .  
بل نائم عن حوادث وقتك . ثم أنت ترجع عليه باللائمة الآن وقد نسيت  
الافرنج الذين سبقوه الى هذا الطريق حتي استولوا على الديار والعقار . وكان  
الاولى بك أن تسكت عنه بلسانك . لانه جارك وقريبك والجار أولى بالشفعة  
والقريب أحق بالمعروف . فان أردت اللوم فلا تلم الانفسك . لانك قعدت  
عن الدنيا بكسلك . فبعدت عنك . وقعدت عن الآخرة بسوء أدبك . وقبيح  
سيرك وسيرتك . فحسرت الصنفقتين بسوء تصرفك ولا حول ولا قوة الا بالله

### ﴿ القسم الثاني وهو الذي في جنوب السين ﴾

الجنح الاول : هذا الجناح يحتوي على قصرين هائلين ذوى طبقتين  
وقد شغلا كل ميدان قصر الانفاليد الذي يحدهما من جهة الجنوب ومن جهة  
الشمال نهر السين ومن الغرب شارع فابر ومن الشرق شارع قسطنطين وهما  
فيما يقابل القصرين الا كبير والاصغر اللذين مر بك ذكرهما ويصل ما بينهما  
قنطرة على النهر وهي قنطرة اسكندر التي وضع الحجر الاول منها نقولا  
الثاني قيصر روسيا الحالي أثناء زيارته لباريس سنة ٩٦ حيث أقيمت تذكراً  
لها ولم تتم الا في سنة ١٩٠٠ وعرضها ٤٠ متراً وطولها ١٠٧ أمتار وبجوار  
هذه القنطرة من الجنوب الشرقي للقصر الصغير باب المعرض الاثري وهو الباب

العمومي له وقد أقيم على طول مدخله تماثيل كثيرة مختلفة الاشكال والاوزاع .  
والبناء الاول منهما وهو الذي على اليسار يسمى بقصر الصناعات الاجنبية  
وبه كثير من أنواع الصناعات المنزلية مثل موبليات ثمينة وأقمشة حريرية  
وتيلية وقطنية وصوفية من أجمل وأمتن وأحسن ما يمكن ان يرى الراؤن .  
أويلبس اللابسات واللابسون . وقد حوى هذا المكان . كل ما في الامكان  
عمله لرفاهية الانسان . وبالجملة ففيه كل ما يمكن ان يقر العين . ويلذ الاذنين  
وتتشوق اليه النفوس . من مصاغ ومتاع ومفروش وملبوس . على آخر ما اخترع  
المخترعون . وأجمل ما صنع الصانعون . في جميع الاقطار . والامصار .

### ﴿ القصر الثاني ﴾

أما القصر الذي على اليمين فهو مثل الاول في وصفه وموضوعه وربما  
كان أحسن منه . ولسكنه خصص لمعروضات فرنسا من صنائعها وعمل أهلها  
وفيه كثير من أقمشة الملبوسات الباهرة . والمفروشات الفاخرة . والموبليات الثمينة  
والحلي النفيسة ( آخر موده ) التي تذهب اللب . وتأخذ القلب . وتستولي على  
الجيب . وبالجملة ففيه من جميع ما يحتاج اليه الانسان . مما لا يستطيع وصفه  
بلسان . أو نعته ببيان . أو حصره في جنان .

### ﴿ قلب المعرض ﴾

هو عبارة عن جملة مباني جميلة قد أقامتها الدول والحكومات التي  
اشتركت في هذا المعرض . وهي على نهر السين وأولها من جهة الشرق  
معرض ايطاليا وبه كثير من الرسوم وتصميمات الابنية وبعض مصنوعاتهم

الحريرية والخزفية والزجاجية وغيرها .

ثم معرض تركيا وليس به مما يذكر سوى سجادة عظيمة مصنوعة في الفاوريقة الحميدية على مثال التي أهديت الى امبراطور المانيا الحالى وقت زيارته للاستانة العلية سنة ١٨٩٨ من جلالة مولانا السلطان أمير المؤمنين حفظه الله . وباقى ما فيه أشياء لا قيمة لها بالمرّة صنعت من صدف كالكياس نقود أو أنصبة أقلام وغير ذلك من صناعة القدس الشريف . ثم أشياء قد صنعت من صفائح الحديد أو الفضة أو النحاس وبعض أقمشة حريرية شامية . وكل من فيه من الارمن والسوريين وبعض الباعة من النساء الشاميات أو الالمانيات أو الفرنساويات وقد تزيين بزى التركيات . وبالجملة فهو أقل بكثير من نظام المعرض المصري وان كان ليس بالاثنين . مايسر الخاطر أو يقر العين .

ثم معرض الولايات المتحدة والنمسا وبوسنا وبريطانيا العظمى وبلجيكا والنرويج والمانيا واسبانيا والسويد واليونان والصرب ومن ورأها معارض الدانماركا والبرتغال والبيرو والعجم وبلغاريا ورومانيا كل على حدته . وقد عرضت بها كل حكومة بعض صنائعها الجميلة مما يقرب من معرض ايطاليا ولازوم لذكركه حيث المعروضات التي يهمل الكلام عليها آتية في مكانها من الجناح الثانى . ولكن لا أنسى أن أذكرك بأن معارض بوسنا والصرب وبلغاريا ورومانيا كانت أحسن نظاما وأجمل صناعة من معرض تركيا ولقد رأيت بها بعض النساء وقد جلسن على أنوال ينسجن عليها بعض الاقمشة الحريرية والسجاجيد وغيرها من أنواع التطريز الجميلة مما يستميل النظر ويرفع درجاتهم في النفوس ويمثل صناعتهم للمتفرجين .



﴿ الجناح الأخير وهو الكبير ﴾

هذا الجناح في محل ميدان شان دو مارس (الذي هو للتمرينات العسكرية) وهو أكبر وأهم الاجنحة الاربعة وهو في مقابل مكان التروكاديرو ويحده من الشمال الغربي نهر السين ومن الشرق شارع بوردونيه ومن الجنوب شارع دلاموت وفيه المدرسة الحربية ومن الغرب شارع سوفون وفيه قرية على شكل قرى سويسرا قد أحاطت بها المناظر الطبيعية التي تشرح الصدر وتسر القلب وتبهج العين بمناظرها الطبيعية من جبال قد كستها الخضرة حلة نضرة ونزل منها الماء على هيئة شلال وغير ذلك مما سيأتي الكلام عليه في مكانه الطبيعي .

وهذا الجناح ينقسم الى قسمين عظيمين . أحدهما يحيط ببرج ايفيل الذي أقيم لمعرض سنة ١٨٨٩ قريباً من النهر وكله من قضبان الحديد المتناسكة في بعضها بهيئة شبكة وهو أكثر آثار الدنيا ارتفاعاً اذ يبلغ ارتفاعه ٣٠٠ متر عن سطح الارض وهو يزيد عن ضعف ارتفاع هرم الجيزة الأكبر الذي لا يزيد عن ١٤٦ متراً . وهو مثبت في الارض على أربع أرجل كل واحدة ارتكزت على قاعدة هائلة من الحجر تحيط بها الى ما يرتفع عن أربعة أمتار وقاعدته على هيئة مربع كل ضلع منه ١٢٩ متراً وثلاث تقريباً ومسطح القاعدة يبلغ ١٦٧٠٠ متر مربع وهو يرتفع بميل من جهاته الاربع مما يلي الارض الى الوسط وميله من أسفل الى أعلا بقدر ٥٤ في المائة . وفيه ثلاث طبقات يصعد اليها بسلم من حديد فيه ١٧٩٢ درجة منها ٣٥٠ الى الطبقة الاولى و ٣٢٠ من هذه الى الثانية والباقي منها الى الثالثة . ويمكن للمتمرن الصعود بواسطة هذا السلم

في عشر دقائق الى الطبقة الاولى وفي مثلها منها الى الثانية أما الطبقة الثالثة فيصعد الصاعد اليها بواسطة هذا السلم . ولكن هناك طريقة أخرى آمن وأحسن وذلك بواسطة آلة ترتفع بالكهربائية وهي عبارة عن عربة أشبه بأودة من قضبان الحديد محاطة بألواح الزجاج من جهاتها الاربع تسع نحو ثلاثين شخصاً أو أكثر وترتفع على أشرطة حديدية وضعت في قلب البرج حتى تصل الى الطبقة الاولى التي ترتفع عن الارض بثمانية وخمسين متراً وهي مربعة الشكل أحاط بها سياج من الحديد المتين وطول كل ضلع منها ٦٥ متراً ومسطحها ٤٢٢٥ متراً وبها لوكاندات وقهاوى ودكاكين وغير ذلك . ثم تستمر الآلة الصاعدة الى الدور الثاني وهو مربع يقرب من نصف مسطح الاولى ويبعد عن الارض بقدر ١١٦ متراً وفيها لوكاندات وقهاوى مثلها ثم يصعد الى الطبقة الثالثة وهي على بعد ٢٧٦ متراً من الارض وهي أشبه بقاعة مربعة أحاطت بها شبكة واسعة من الحديد وقد غطيت جميع جدرانها بالزجاج وكل ضلع منها ١٦ متراً وتسع ٨٠٠ نفس وعلى رأس هذه فناء عظيم ارتفاعه ٢٤ متراً والافق من قمتها يبعد الى ٩٠ كيلو متراً للنظر السليم . وبالجملة فهو أثر هائل جداً وهو تابع لصاحبه في مصرفه وإيراده الى سنة ١٩٠٩ وأطف منظره وهو مضاء بالكهرباء فتراه قد وضع رجله في الماء ورفع رأسه الى السماء وأحاطت به ثريات الانوار الكهربائية كأنه قطعة من القبة العلوية انفصلت منها بما فيها من الشمس والاقمار لتكون وصلة بينها وبين العالم الارضى . وقد أحاط بهذا البرج كثير من الابنية اللطيفة أذكر لك أهمها . محل السفر حول الارض ورسم الدخول فيه فرنك فاذا دخلته رأيت كأنك في مركب في البحر وكأنها تمر بك على المين المشهورة في العالم مثل البسفور

ومينا مر سيليا وبور سعيد ونيويورك وغيرها وكأنك تراها بعينك تماما وذلك لاتقان رسمها الذي يترآي لك في حقيقة جسمها محدود وهيئته الطبيعية. ثم تنزل من هذه الطبقة الى أخرى فتري كأن المركب تسير بك بحركة حقيقية في قماش قد أقيم أمامك يمثل لك البحر تماماً حتى كأنك أنت المتحرك بحركة مركبك وهو ثابت فتتمر على مين ووابورات ومراكب وكلها تظهر للعين بمراها الحقيقي وحركتها الحقيقية. ومما يثبت لك ذلك انه كان بجواري امرأة افرنكية مع زوجها وبينما كنت مندهشا من حسن اتقان هذا العمل سقطت المرأة الى الارض مما اعترأها من دوار البحر الموهوم فاستدعوا لها بطبيب قريب. فلما شاهدت ذلك قلت في بالي « انج بنفسك أيها الغريب » وخرجت وانا في شدة الغرابة من هذا المشهد العجيب.

### ﴿ قصر النظارات ﴾

وهو مكان أهم مابه تلك النظارة (تلسكوب) التي سمعنا بصيتها من زمن مديد وعهد بعيد وهي التي تريك القمر (على مايقولون) على بعد أربعة كيلومترات وقد عملوا بواسطتها رسوما لجملة أوضاع منه ترى بها جبالا ووديانا وبراكين (جبال النار) مظفاة وقد تجمدت على فوهتها مادتها البركانية وأنهاراً وبحارا جافة. وقد أثبتوا من ذلك (والله أعلم) ان هذه الانهار وتلك البحار كان بها الماء الذي يتلوه النبات مما يستدعي وجود الجو الذي يعيش فيه الحيوان فاختلف نظام طبيعته لحادث غير معلوم. (وربما أخبرك به بعضهم) فغارت المياه وتبددت كتلة الجو في الفضاء فمات النبات وهلك الحيوان. وهذه النظارة (على مابلغنا) يبلغ سمك عدستها نحو متر وقطرها نحو

متر وربع صنعها أحد الفرنسيين وهي انما عرضت في مكانها لمشاهدتها  
للاستعمالها وحسبك رؤية أثرها الذي رسمه لك الراصد على ما شرحته لك  
وأنت حر في تصديقه أو تكذيبه .

ثم تري بهذا القصر تأثير الكهربائية على العدسات في انتاج الالوان  
والأضواء وتكبير الاجسام وتأثيرها على الكتابة بنقلها من جهة الى أخرى بمعنى  
انه لو كان بيدك قطعة كتب عليها شئ فأنهم يرسلون عليها شعاعا كهربائيا ينفذ  
منها فيدخل في عدسة تعكسه الى مسافة بعيدة بهيئة كبيرة وهو اختراع  
جمع الى أهميته لطف صناعته . ثم تري بها المرايا المختلفة فترى أولا مرآة محدبة  
وتحديبها رأسى وتشاهد بها الاجسام طويلة ورفيعة جداً عن حالتها الطبيعية  
ثم محدبة وتحديبها أفقى وترى بها الاجسام طويلة عريضة . ثم مقعرة رأسيا  
والاجسام بها قصيرة رفيعة ثم مقعرة أفقيا والاجسام بها قصيرة عريضة .  
وهي من لطائف الطبيعة .

وفي هذا المكان أودة قد أقيمت بها مرايا مختلفة الوضع حتى يتخيل لك  
من انعكاس أشعتها في بعضها أن قد اتسع امامك الفضاء الى مالا نهاية له فتمشى  
غير مكترث لتوهمك عدم مانع في طريقك فما تشعر الا وقد التصق انفك  
بمرآة فترجع الى جهة غيرها وقد امتد الجو امامك وبمجرد ماتمشى بعض  
خطوات تستوقفك مرآة أخرى ولا تزال هكذا حتى تتبع صوت الخارجين  
الذين عثروا على باب المكان بين ضجة سرورهم كأنهم تخلصوا من تيه لانهية  
له في رجة ضحك وهزة اعجاب . وبه أودة كلها من قطع المرايا الصغيرة اذا  
دخلتها بمفردك وجدت في جهاتك الست صورتك ولا حصر لها حتى يتخيل  
لك أن العالم من بنى آدم قد جمع في شخصك ودار من حولك يرى بعينك

وليشاهد بنظرك .

﴿ قصر النور ﴾

وهو قصر يصعد عليه بدرج من الزجاج وضعت تحته مصابيح كهربائية وله درزين كله من الزجاج وقوائمه منه أيضا وهي مفرغة داخلها جملة مصابيح ويصعد منها الى أودة مسدسة الشكل حوائطها مكونة من طبقتين من البلور الملون وبين طبقاتها الثريات الكهربائية وفي نهاية كل ضلع عمود بلوري مفرغ القلب وفيه كثير من المصابيح المذكورة يتلو بعضها بعضاً . ثم يرتفع على هذه الأعمدة السبعة قبة عليها تاج وهما من الزجاج يتخللهما ثريات الكهربائية فإذا غربت شمس النهار . سطعت هذه الأنوار . بما يخجل الأقمار . ويأخذ بالابصار . فتري المكان كأنه قطعة من نور أوانار .

وداخل هذا المحل قوم يصنعون الماس الكاذب من قطع البلور وقد عملوا منه كثيراً من المصاغ يبيعونه على المتفرجين وفي أسفله مغارة يمثلون بها عمل الأواني الزجاجية في الفاوريقة التي أقامت هذا المكان ولقد عجت من حسن الأواني التي يصنعونها وجمال منظرها . وكما اتقناها . مع سرعة عملها مما تذكرت معه معمل الزجاج الذي أقامته في الاسكندرية من عهد قريب شركة . . . ولم يمض عليه زمن يسير حتى رأينا في أفق أملنا فيه صورة عدم نجاحه الذي تسبب عن سوء ادارة القائمين به وهكذا عمل المصري ولا حول ولا قوة الا بالله .

ثم ترى بجواره أمكنة كثيرة للقهاوى والمطاعم والتياترات وغير ذلك

﴿ معرض الآلات ﴾

وهو مكون من بنائين هائلين أحدهما تجاه الآخر يربطهما من الجنوب قصر الماء وهو عبارة عن بناء يخرج منه الماء من ارتفاع خمسة أمتار وينزل على هيئة شلالات منتظمة ثم يسير الى فسقيات بها كثير من النوفرات . وأحد هذين البنائين وهو الواقع جهة الشرق كان لمعرض سنة ٧٠ لتعرض فيه الآلات أيضا وحفظ للآن . وطوله ٤٢٠ مترا وعرضه ١٥٠ مترا وارتفاعه ٤٨ مترا وقد أقيم من كتل الحديد وهو دور واحد . أما الجزء المقابل فلا يختلف عنه الا في عرضه الذي هو ١١٤ مترا وكونه ذا طبقتين . وبينهما ممالي قصر الماء فناء عظيم على طولهما الى برج ايفيل وعرضه نحو ٢٠٠ متر وقد نثر فيه مالا يحصى من الكراسي لراحة المتفرجين حول غياض أنيقة تعطر الجو بريحان عبيرها . فدخلت هذا المعرض من الجهة الغربية شمالا . وأول ما رأيت مكان فسيح يقال له معرض الغابات وبه كثير من قطع الاشجار وجذوعها وفروعها المختلفة النوع والكثيرة الالوان وبجانبا الآلات التي تستعمل لقطعها ونشرها ألواحا وكتلا . ثم جميع الحيوانات التي تسكن الغابات مصبرة وقد وقفت منا موقفها الحقيقي في أوطانها هذا نائم وذاك قائم وغيره رابض وسواه مستعد للوثبة على من وقف أمامه . ثم مكان وضع به كثير من الاخشاب التي وضعها النجارون في صور مختلفة من كراسي وموبليات وغير ذلك وهي غاية في جمال الصناعة واتقان العمل . وفي جوارها آلات لصيد السباع من فخاخ وشباك حديدية واشراك مختلفة لكل نوع من الحيوان .

وبه أيضاً معرض صيد الاسماك وفيه جميع أنواع الشباك والسنارات وغيرها مما يتعلق بصيد البحار .

وبجوار هذا المكان معرض التربية والتعليم وفيه كثير من المشروعات الجديدة لتسهيل التعليم وعدد عظيم من المجموعات العلمية التي تتركب من الورق أو الخشب يتعلم الطفل منها تركيب الاشكال الهندسية وبناء ما يؤمر بتشيددها وهي تربي الفطنة وتبني الذكاء مما لا نعرفه في بلادنا وربما لم نسمع به واذا رأيناه ضحكنا منه لجهلنا به ومن جهل شيئاً عاداه .

ثم معرض آلات النقل وبه كثير من أنواع الوابورات والعربات من بخارية وكهربائية وغيرها مما لا عمل لنا به ولا يهمنا أمره لان البلاد الاوروبية وخصوصاً الانكليزية والامريكية والبلجيكية تعهدت والحمد لله بتوريد ما يلزمنا منها وكفتنا مؤنة التعب والنصب جزاها الله عنا خيراً .

ثم معرض الآلات الميكانيكية مما له علاقة بما قبله وتندersh لمراه . وأنت لا تعرف معي شيئاً من مبناه .

ثم معرض الحاصلات الزراعية من حبوب وفواكه وما يتحصل منها كالذيق والمربات والزيوت والحاصلات الحيوانية من أوبار وأصواف وريش وغير ذلك مع آلات عملها وصنعها .

ثم معرض الآلات الزراعية من محارث وقصاصيب ومحشات من حديد وآلات لاستخراج الغلال من عيدانها دون ان يدرس القش وهي المستعملة في أوروبا وتونس والجزائر . وأخري للدراس والتذرية وغرايل ومدشات وغير ذلك مما ترى أكثرها في معرضنا الزراعي المصري . ولقد كان يجدر بي ان أبحث فيها كثيراً لا اشتغالي بالفلاحة لعل أفيد القراء بما ينفع بلادنا منها وانكني

رأيتها مصنوعة على ما يوافق أراضيهم الحجرية الصلبة التي انما عليها طبقة رقيقة من مادة ترابية بيضاء أو صفراء او مائلة للسواد من كثرة الاسمدة وقد تنفع عندنا اذا عملت بحالة تناسب أرضنا السوداء المندمجة السمكية المرطوبة التي اذا نزل عليها قليل من الماء تلبكت واستحال على هذه الآلات السير فيها ثم مكان يمثلون به عمل الحلوي والشكولاتا وعمل المشروبات الروحية وتقطيرها مما لا علاقة لي به

ثم معرض الكهرباء وهو خلف قصر الماء وبينهما قائمة هائلة لمرقص أيام الاعياد وهي تسع ٢٥ ألف نفس . وقد عرض به كثير من الآلات الكهربية وما يتعاقبها كراوح ولبات ومصايح مختلفة الاشكال والاوزاع وبطاريات وأسلاك وأزرار وتليفونات متنوعة وآلات وتلغرافات متغايرة ثم مكان للمطابع وفيه شيء كثير من أنواعها . هذى تسير باليد وتلك بالبخار أو الكهرباء . وأحسن ما رأيت فيها مطابع كبيرة وبجوارها آلة لترتيب الحروف وقد وضع أمام العامل عليها لوحة أفقية بها رسم الحروف الهجائية على ماتراه في التيريتير فيضغط العامل على الحروف المقتضى جمعها بسرعة عظيمة فترفع بها آلة بنفس هذه السرعة وتضعها مرتبة في مكان مخصوص بالقرب من المطبعة فيأتي الطبع ويأخذها مجرزة ويضعها مكانها من آلة الطباعة ولا يخفك ما في ذلك من السرعة والسهولة وتوفير الزمن وقلة العمل . وبجوارها آلة كهربائية لتجليد الكتب تشتغل عليها امرأة انكليزية بسرعة هائلة .

ثم معرض عربات الاوتوموبيل وهي إما على هيئة دوكار أو كومبيل أو هنتور أو غيرها تسير بالكهرباء أو البترول أو البنزين وهي مع ما وصلت اليه من الاهمية العظمى لسرعة سيرها الذي يبلغ نحو الاربعين كيلو متراً في الساعة



الواحدة فانها سريعة العطب كثيرة الخطر وهذا يكفينا في عدم وصولها الى منتهى تحسين صنعها .

ثم آلات التيريتير ( آلة الكتابة باليد ) المختلفة الوضع أو الشكل ولقد رأيت نساء يطعنن بواسطتها اعلانات تجارية وكأن اصابعهن وهن يشتمغن عليها آلات تديرها الكهرباء أو البخار لسرعتها التي تدهش الانظار وهناك تذكرت مع الاسف الشديد الآلة التي اخترعها من هذا النوع صديقي الفاضل الشيخ احمد الازهرى المصرى للكتابة باللغة العربية وسرقها منه من أتمنه على سرها وقما أراد اخراجها من حيز الفكر الى حيز العمل فلم أقف لها على أثر . وكنت أود لو انه لم يفرط فيها حتى كانت تعرض هنا باكورة للاختراعات المصرية . فنثبت للوجود . ان الخير في مصرنا موجود .

ثم معرض آلات الحكمة من جراحية وتشريحية وباطنية وغيرها والآلات الفلكية والكياوية والطبيعية . ثم الجواهر الكياوية والمعدنية

### ﴿ معرض الآلات البخارية ﴾

من ثوابت ولو كوموبيل مما يدور بالفحم أو البترول أو بواسطة الكهرباء وهي أهم ما في المعرض بتمامه وقد قسمت الى جملة أقسام : القسم الاول لفرنسا وفيه كثير من الوابورات الثوابت وغيرها وأعظم قوة وصلت اليها ٢٠٠٠ حصان .

القسم الثانى للولايات المتحدة وليس به شئ يذكر لأن جميع الآلات الكبيرة التي صنعت على ذمة المعرض غرقت مع المركب التي كانت تحملها الى فرنسا وربما كان بها من عجائب الصناعة وغرائبها ما كان يغطى على مماثلاتها

فيه لما اشتهروا به من كثرة الابداع والاختراع الذي رفعهم في زمن يسير الى أوج الحضارة والمدنية التي وصلوا الى نهايتها وربما تركوها الى الطرف المقابل لها اذا استمروا على تعلقهم بحب الاستعمار الذي هو ولاشك يوقف تيار تقدمهم في علومهم وصناعاتهم التي ترجع عليهم بل وعلى العالم كله بجزيل الفائدة والمستقبل كشاف الحقائق. وأحسن ما شهدت بهذا القسم فونوغرافات عظيمة لها أبواق كبيرة تمثل الصوت الحقيقي تماماً.

القسم الثالث للبلاد الواطية وبه بعض الآلات وأغلبها بين لو كوموبيلات ورفاصات بحرية وطلومبات مائة.

القسم الرابع للسويد وبه كثير من آلات قطع الخشب ومنها آلة تدور بقوة خمسة وعشرين حصاناً وتشغل في الدقيقة الواحدة خمسين متراً من ألواح الخشب.

القسم الخامس لايطاليا وبه كثير من الآلات وبعضها تدور بالكهرباء وغاية ما وصلوا اليه قوة ١٢٠٠ حصان

القسم السادس للروسيا وفيه بعض آلات وبعضها كهربائية وأكبر قواها ٣٥٠ حصاناً.

القسم السابع لانكلترا وهو أكبر الاقسام كلها وأكثرها معروضات من لو كوموبيلات وثوابت هذا يدور بالبتروول وذلك بالفحم وآخر بالكهرباء وآلاتها تتبدى من قوة نصف حصان الى ثلاثة آلاف وخمسة حصان ومشاهدتك هذا المعرض فقط تثبتك عن تقدم القوم ومشايرتهم على العمل والاختراع.

القسم الثامن لالمانيا وقد حوى من الآلات ما قل عدده وكبرت عدده

وعظمت فأثدته وجسمت قوته وأهم ما به آلتان بحريتان ( للمراكب ) تدوران بالكهرباء وكتاتهما أكبر آلات المعرض كله بل آلات الدنيا بأجمعها ولقد اشتهرت بهما ألمانيا في هذا المعرض الفرنسي حتى أصبحت في مقدمة جميع الدول اختراعاً في نوعها وهذا ما ثبت لك قوتها التي تذكى نارها على الدوام مباراتها لفرنسا وغيرها منها ووقوفها أمامها موقف المتحفز للوثبة المنتظر سنوح الفرصة . والالمانيون وان كانوا أصحاب ارادة ثابتة ورغبة شديدة وأعمال جسيمة فالفرنساويون ذوو ارادة قوية ورغبة لطيفة وأعمال ظريفة

ولقد كنت أرى الناس من جميع الجهات قد أحاطت بهذه الآلات للبحث فيها والاطلاع على دقائقها لعلمهم يقفون على سرها المكنون ويعرفون كيف تتولد هذه القوة الكبيرة من تلك الآلة الصغيرة . أما أنا فما كان يهمنى نفس هذه الآلة لان عيني لم تقع منها الا على طارة من زهر تحركها قطع من الحديد متماسكة ببعضها ولا أعلم من أمرها شيئاً وكأنها منى مكان زيد من قول القائل أيها السائل عنهم وعنى \* لست من زيد ولا زيد منى

وكيف وأنا هذا المصري الذي قلت معلوماته وكثرت آلاته المتوقفة عليها حياته فانك أينما سرت على النيل وفروعه ترى عليها آلات لا يحصيها الا الله لترفع المياه الى أرضه التي هي مصدر ثروته بل وسبب وجوده . فغداً وأنا متوقف عليها كما أن عيش الأوروبى ليس مرتبطاً بأرضه لان الطبيعة حملت عن كاهله هذا العبء الثقيل فتسقى زرعه بالامطار كلما اقتضت الحال واذاً فالآلات عنده من الكماليات أما عندنا فن الضروريات وكان الأولى بنا أن نكون نحن المخترعين لها المتقدمين في ميدان صنعها وابداعها أو على الأقل في تحسين ما أبدع منها أو تقليده وليسكن خالفنا ناموس الطبيعة ولم نتبع سنن

الحياة لان المضطر يخلق الطرق وابتدع السبل الى ما يسد به حاجته فأغفلنا كل ضروري لنا وأضررنا بذلك أنفسنا ورمينا بها الى أحط درجات الحيوان . واشتغل هو بالكماليات فأكمل سعده . واخترع المخترعات فاشتريناها منه بثمن عزيز . راضين أن نعيش متطفلين على مائدة عمله وبجته في ذل مقيم . وهوان مستديم .

ولو سألت أحدهنا عن سبب هذا السبات لاجابك على الفور بأن جو البلاد له تأثير علينا فكما أثر على الاوروبي وحركه للعمل أثر على المصري بالكسل ونسب هذه الرذيلة الى الطبيعة وتفسف فيها واكثر من خلق الاعدار . ناسبا فشلنا الى الأقدار . وكسلنا الى وضع الديار . ولو كان يعلم أن اليابان (تقريباً) وما يقابلنا من بلاد الامريكان في منطقة ديارنا . وجوها جو مصرنا بل أكثر حرارة منه ونظر الى يقظتهم ونومنا . ونشاطهم وخمولنا . ورفعتهم وضعتنا . وعرف أن النسبة بينهم وبيننا هي نفس النسبة بين الرأس والقدم . بل الوجود والعدم . لألجم لسانه . وسحب برهانه .

أولو كان يفضل بمراجعة تاريخ مصره لرأى أنها كانت في عهد قدمائنا منهل العلوم الذي كان يرده أبناء العلم من انحاء العالم ومركزا للمصناعات التي سهلت سبيل الحياة على بني الانسان في كل صقع ومكان . فهي منبع المدنية والحضارة وهي أول بلاد ظهرت شمس المعارف في أفق مجدها ورفعتها أيام كانت أوروبا في ظلمات حضيض جهاتها ووضاعتها . وهمجيتها ووحشيتها . وجو بلادنا هو هو بعينه بمكانه في المنطقة المعتدلة كما أن جو أوروبا لم يتغير ولا كما تغيرت طباعنا . وتبدلت عوائدنا . وضعفت عزائمنا . وماتت هممنا وانعدمت اراداتنا . نخاب الأمل . وخاصمنا العمل . وأصبحنا تقاد بيد

من حديد الى تهلكتنا . ونساق بعضنا من نار الى مقبرتنا . من حيث لانشعر  
وتغرنا يضحك مفتر عن ثانياً وأضر اس كان الاولى بنا ان نقطع بها أصابعنا  
التي التوت عن العمل ونذرف الدموع من عين بصرنا الذي نام عن صالحنا .  
بل من عين بصيرتنا التي عميت عمما فيه الخير لنا .

### ﴿ معرض آلات الغزل والنسيج ﴾

وهي آلات جمعت بين بساطة العمل وسهولته ودقيق الصناعة وغرايتها .  
فالآلات الغزل تدير الواحدة منها ستمائة مغزل في آن واحد ويلاحظها رجل  
واحد . وهذه الآلة تدور بواسطة سير رفيع ركب طرفه على طارتها والطرف  
الآخر على عمود يدير جميع الآلات التي من حولها بواسطة آلة بخارية .  
أما آلات النسيج فهي أكثر بساطة من سابقها وهي عبارة عن أنوال كل  
واحد منها يدور بالحالة التي تدور بها آلة الغزل السابقة فتري هذا النول  
لعمل الاشرطة الحريرية المنقوشة ولقد وجدته يشتغل أربعين شريطاً في آن  
واحد ويلاحظه رجل واحد . وتري ذاك لنسيج الاقمشة الحريرية وعمليتها غاية  
في البساطة فالتى تشتغل في الخمامات تعمل وحدها ولا لزوم لملاحظتها والتي  
تعمل الاقمشة كثيرة الالوان أمامها فتاة تلاحظ ادارتها حتى اذا قطعت الفتلة  
مثلا وقفت الآلة من نفسها فتربطها هي فاذا وصل العمل الى منتهى اللون  
الجارى تشغيله واقتضى وضع لون آخر أخرجت مكوكا ووضعت غيره بأسرع  
من ملح البصر . فعجبت لسهولة هذا العمل ووفرة ما يتحصل منه في قليل من  
الزمن مع ما فيه من راحة العامل واثقان الصناعة وكنت قبل ذلك أفكر  
( كغيرى من بنى مصر ) أنه لا يمكن عمل هذه الاقمشة الا بواسطة فلوريات

تستدعى القناطير المقنطرة من الذهب والفضة لاقامة واحدة منها. وعند ذلك  
تذكرت غوريتنا وما بها من دكاكين الانوال وتذكرت ذلك المصري وهو  
جالس أمام نوله وقد انحني عليه وأحرق بنظره الى ما بين خيوطه وهو يضرب  
مكوكه بيده اليمنى من الشرق فتملقفه اليسرى من الغرب وحركة رجله مكافئة  
لحركة يديه فاذا عمل قليلا وارتاح كثيرا من شدة ما كابدته من التعب والنصب  
نظر آخر يومه الى الاحمة والسدى فيرى بعين حسرته انها كأنما كانت تتحرك  
على نفسها ونظر الى ما اشتغله من شريطه المنسوج. أو قماشه المدروج. فيرى  
أن قيمته لا تكفي غلة يومه فيقل دكانه ويتوجه الى مسكنه كثيرا حزينا ويجمع  
بأهله وجيرانه فيشكوا لهم قلة المال. وكساد الحال. ولا يزال يبكي ويبكي  
القوم. حتى يأخذوه ويأخذهم النوم. وفي الصباح يتوجه الى دكانه والعمل لا يتقدم.  
والحال لا يتغير: صنع شاق. ووقت ضائع. وعمل ولا أثر. وكسب قليل.  
وحياة تعيسة.

ولا أدري لم لا يهتم الاغنياء من أصحاب معامل النزل والنسيج عندنا  
في استجلاب هذه الآلات البسيطة لعمل ماشتهروا به من القطنيات والشاهيات  
وغيرها فان ذلك لا يكلفهم الا مصاريف قليلة فيحضرون منها أولا منسجبا  
واحدا تديره آلة بقوة حصان أو حصانين كما يفعل أصحاب معامل الدخان بمصر  
فاذا نجحوا فيها امكنهم أن يزيدوا عليها شيئا فشيئا فلا يلبثون حتى يكون  
عندهم فاوريقية من أكبر الفوريقات من غير ما يشعرون الا بالثروة الطائلة  
التي تنالهم منها. ورب معترض منهم يقول ما يؤلم سمعي بعباراتهم الوهمية.  
واعتذاراتهم الهوائية. من أن الحكومة تقف في طريقهم متهمها باعتراضها  
كل مشروع وطني فاذا سألته بالله أي مشروع من هذه المشروعات الوطنية

المفيدة ووقفت الحكومة حجرة عثرة في طريقه ؛ لاشك أنه يقول مشروع بسنديله  
أومرا كب البوسطة الحديدية اللذان تشكات من أجل مشتراهما شركات  
وطنية فأخفق مسعاها حيث اشترتهما شركات أجنبية . فأقول لهم انا نتكلم  
في الماديات . ومن حيث ان الحكومة تملك هذه المادة فلها الحق في بيعها  
لمن تشاء وتختار أو تتصرف فيهما كيفما تحب وتريد . أما ما يتعلق بذلك من  
الادبيات فلا علاقة له بموضوعنا هذا .

وهل يؤخذ من فشلنا مرة أن يكون عدم النجاح نتيجة مشروعنا  
على الدوام ؛ كلا ثم كلا .

ومع كل فمالنا وللحكومة ؛ اذا قامت منا شركة أو جملة شركات واشتغلت  
بما يعود عليها بالخير والبركة فهل تمنعها القوة الحاكمة في ذلك ؛ أظن انه أمر  
تفرح له وترتاح اليه مادام لا يدخل في سياسة . أو يخرج عن كياسة . كما حصل  
في مشروع الشركة الوطنية التي طلبت التزام عمل السكك الحديدية بمديرية  
المنوفية فان طلبها كان مبنياً على قواعد أوجبت تناسيه أو طول النظر فيه .  
وعلى كل حال فاني لا أطلب منكم أيها المصريون عمل شركات يكون لها  
علاقة بغير أنفسكم بل اشتغلوا أحراراً . واعملوا خياراً . فانه لا يعترضكم أحد  
في طريقكم بل تنالون شكر الله والحكومة والناس أجمعين .

### ﴿ معرض الآلات الحربية ﴾

وينتهي معرض الآلات بالحربية منها . فترى ما يضطرب له النظر  
وينزعج منه الفؤاد . ويخفق لمراه القلب من قنابل متغايرة الشكل والحجم  
قد بدا في ثنائتها الهلاك . ومدافع من كل نوع وطراز وكأنما أسفر ثغرها

عن الموت الزؤام . ومما هالني منها ماسورة مدفع يبلغ طولها ٢٤ متراً تقريباً . فرفقا يا كروب . وارفع عن رأس بني نوعك الكروب . وخفف عليهم وطأة الحروب . ورحمة يامكسيم . يامن بين حروف لفظك الهلاك المقيم . وفي طيات صوتك العذاب الاليم . وأنت يادمدم . يامن تمزق الجسم وتهش اللحم . وتهشم العظم . وتحرق الدم . هلا من حنان في قلب مخترعك الصخري . أو من شفقة في فؤاده الحجري . فما ضر لو يقتل بسلاح كل قاتل ان كان ولا بد من القتل . ويترك التعذيب الى من بيده العقد والحل فحسب المقتول طلوع روحه . بين آلام جروحه وقروحه . وفقد حياته . ويتم بنيه وبناته . فهل من مخترع نبيل يعثر على ما يخدم من انفاك . ويقطع دائرة أقواسك . ويكسر جناح هذه القنابل النارية التي كأنها الطير الابايل . ترمي الابرياء بشهب من سجيل . فتجعلهم كعصف ما كول . فتبالك من مخترعات يسود لها وجه الانسانية وتكبر أن تنسب اليه الهمجية والوحشية .

### ﴿ أعياد المعرض ﴾

ان المعرض يفتح كل يوم من الساعة السابعة صباحا الى الحادية عشرة بعد الظهر . ولقد جعلوا ليلتين في الاسبوع ينيرون فيهما جميع المصابيح الكهربائية التي تزدان بها كل المنطقة الموجود بها المعرض ويسهونها بليالي الاعياد . فتهرع اليها الناس من كل فج وحذب حتى يصعب على الانسان السير في طرقاته . ولقد كنت صعدت قبل غروب يوم تلوه احدي هذه الليالي الى برج ايفل الذي سبق الكلام عليه واني ما كنت أتصور انه بهذا



الحجم الهائل لان رسمه ما كان يشغل من خيالي . الا بقدر ما كانت تشغل  
حروف اسمه من شبكية بصرى . فلما رأته وصعدت اليه هالتي منظره  
وأدهشني مخبره . وبمجرد ما وصلت الى الطبقة الثانية نظرت الى الارض فوجدت  
المنازل كالعلب . والناس كاللعب . وهذا المعرض الشاسع الواسع الذي كنت  
أمضى به كل يومى . ماشياً فيه على قدمى . وكأني مارأيت منه شيئاً ما هو  
الاعبارة عن دكاكين قد انتشرت من دونى والناس متراكمة فيه على بعضها  
كالجراد الزاحف .

ثم نظرت الى السماء فوجدت الشمس وقد مالت الى الغروب وكأنها  
كرة من الحديد المحمي قد ألقت بها يد الطبيعة الى الفضاء تسير سيراً بطيئاً غير  
محسوس لا كما كنت أراه من سرعة سيرها في بلادنا ولم أعلم اذا كان سبب  
ذلك قربها من القطب الشمالى الذى عنده تنفرطح كروية الارض أو كأنها  
كانت تقف معنا قليلاً لتشاهد بهاء هذا المعرض الذى لم تطلع على مثله وربما  
لن تطلع على نظيره . هنالك برزت شمس المعرض مرة واحدة فى جميع  
جهاته . فالتفت فلم أجد شمس النهار . فكأنها هربت غيرة وحسداً من هذه  
الانوار . التى ربما أصغرتها فى عين من أراد المقارنة بينهما . وبعد قليل لبست  
القبعة الزرقاء رداء من السحب والغيوم . لتدارى بيد كسوفها ما فيها من  
الكواكب والنجوم .

فأرجعت بصري الى قارتى فرأيت الشمس الكهربية قد برزت من  
أفلاكها . وظهر امامى تاج من نور على رأس قصر الماء ( الذى مر ذكره )  
وطوله نحو مائتى متر وعرضه عشرة أمتار وفيه ما لا يحصى من الثريات  
الكهربية وقد أضيئت بلون الذهب حتى كأنها هو ثم لا تلبث ان يتغير لون

اضواؤها فتصير تارة حمراء وأخرى خضراء وطوراً زرقاء أو صفراء بحالة تدهش  
البصر وتسلب اللب حتي تخيل لي اني في عهد قدماء الرومان واني إله النور  
وقد استويت على عرشي . وهذه السماء من تحتي جعلت زينة للناظرين  
ومن حولي هذه الحور غير المقصورات ولا المحتجبات واقفات في خدمتي .  
وطوع ارادتي . نخفت على نفسي شر غيرها وبغيرها فأسرعت بالانزول ( وان  
شئت بالتنازل ) الى سطح الارض حيث اشتغل فكري ونظري في ايجاد  
طريقي وسط هذا الزحام الذي لم تر مثله عيني واستغفرت الله مما خطر  
بالي . ومر بخيالي .

### ﴿ كلمة على المعارض ﴾

لا يغيب عن فكريك أن المعارض قديمة جداً وكانت تسميها العرب  
بالاسواق وعكاظ أشهرها عندهم الا أن هذه كانت معرضاً للافكار . ومقتنيات  
الاشعار . والمعاني المبتكرة . التي تربي الفطنة والذكاء ويتسع بها مجال العقل  
ويفصح اللسان . ويقوي الجنان . وتكثر الملكات . فلما ترقى أوروبا في  
مادياتها أقامت معارض لصناعاتها . بين خصوصية وعمومية لاسيما في القرن  
التاسع عشر . وأهم هذه المعارض معرض فرنسا العام الذي ينتهي به هذا  
القرن الذي يسمونه بقرن النور لسمو الدرجة التي وصلت اليها فيه المعارف  
والصناعة .

ولقد زاد به اهتمام كثير من الحكومات . وخلق كثير من جميع  
الامصار والجهات . فصرفوا المصاريف الباهظة لاقامته بعد أن استأجروا  
من الحكومة الفرنسية الارض التي شيّدوا عليها أمكنة معروضاتهم بأموال

طائفة ظانين أنهم يرجعون الى أوطانهم بأضعاف أضعافها مما لعلهم يبيعونه على الزائرين للمعرض ولكن خاب ظن كثير منهم وخسروا خسائر فادحة وخصوصاً الشركات التي اشتغلت بما لا يهتم المتفرج الباحث كالمتجربين من الباعة وأصحاب المطاعم والتياترات وما في معناها فأفلس كثير منهم .

ولما كنت بباريس في أوائل شهر يولييه كان عدد من أفلس من الشركات نيفا وخمسين . ولهذا فاني أرى أن الناس قد تحقّقوا من عدم نجاحهم في المعارض العمومية التي ربما لا تقوم لها قائمة بعد السنة . وهذا لا يستدعي عدم اقامة معارض خصوصية كما تفعل الحكومة الانكليزية في بلادها على الدوام ومع كل فقد بلغني أن المانيا عازمة على اقامة معرض عام تبارى به معرض خصيمتها وربما ترجع عن عزيمتها اذا رأت بهذا الاخير سخط العارضين على المعارض وأصحابها وزائريها . أما المعرض المصري فكان اذ ذاك وسطاً بين الثابت والكاسد والله تعالى يتولى عباده بلطفه .

والفائدة الوحيدة المادية من هذا المعرض انما كانت للحكومة الفرنسية وأصحاب اللوكاندات والمنازل والعربات فان ايجار الاودة وصل الى خمسة أمثاله في الايام الاعتيادية . أما مكسب سككها الحديدية فحدث عنه ولا حرج لان القطارات وخصوصاً القادمة الى عاصمتها ما كان يرى بها مكان خالياً في جميع درجاتها . ولو وجدت قليلاً في محطة باريس وشاهدت أحد هذه القطارات وقد نفر آلاف الناس من عرباته عرفت ماهي باريس التي وسعت هذا الخلق كله وكأن لم يكن بها غير أهلها .



﴿ كلمة على باريس ﴾

هي زهرة المدائن بل صفوة البلدان وسيدة العواصم جمعت بين واسع  
المكان . وضخامة البنيان . ووفرة السكان . يبلغ طولها من الشرق الى الغرب  
١٢ كيلو متراً وعرضها من الشمال الى الجنوب تسعة كيلو مترات وعدد  
سكانها كان في أول القرن التاسع عشر ٥٤٧٧٥٦ نفساً ثم بلغ في سنة ١٨٩٠  
٢٤٤٧٩٧٥ نفساً ثم بلغ في سنة ١٨٩٦ - ٢٥٣٦٨٣٤ منهم ١٨٦ ألفاً تقريباً  
من الاجانب وجل الاهالي من الكاثوليك ولم يكن فيهم غير ٥٠ ألفاً من  
من البروتستانت ومثلها من اليهود ولا بد أن يكون قد زاد عددها في آخر هذا  
القرن زيادة تذكر . فاذا عرفت الفرق الهائل في عدد السكان بين ما كانت عليه في  
أوائل القرن المذكور وما وصلت اليه في آخره ظهر لك سرعة تقدمها في المدينة  
والعمران اللذين لاحت في سماها شمس العلم والعرفان . وأرسلت بأشعتها الى جميع  
البلدان فاستمدت منها بنو الانسان . فهي مهد المعارف . وكعبة كل خبير وعارف .  
ومنبع الاختراعات . ومصدر الصناعات . نشأ أهلؤها في المدينة الحديثة أيام كانت  
أوروبا ضالة في فيافي الجهالة . منحطة في زوايا الخمول والبطالة . اللهم الا قيامة تقوم  
بها الى سلب أو نهب أو غارة شعواء . تنال من ورائها غنيمة بتراء . وكيف  
وهي عاصمة هذه البلاد التي دخل العرب في جنوب أملاكها واستوطنوا فيها  
وبها الآن آثار من آثارهم وأطلال من اطلالهم فأخذ أهلها عنهم آدابهم وعلومهم  
وفنونهم وصناعاتهم ولم يظهروا بها الا لما دارت الدائرة على الاندلس فاشتغلوا  
بها ولم يهتموا مثلنا فترقت وترقوا معها حتى أوصلوها أو وصلت بهم الى الحد  
الذي تعجب لسماحك به وتدهش لرؤيتك اياه

ولقد أرسلوا رسالهم الى جميع الامصار والاقطار فدرسوا وكتبوا وصنفوا المصنفات . والفوا المجلدات . في العلوم والفنون التي لم يكن لهم المام بها وترجموا ما عثروا عليه من الكتب المهمة في لغة الغير وخصوصاً كتب العرب فزادت بها مادتهم العلمية ونمت بها معارفهم فدونوا من ذلك كل المصنفات وأعطوا للعلم اكبر أهمية فأخذ فيهم منزلته التي لا ترام ورفعهم وارتفع بهم الى الغاية القصوى فظهر منهم الكاتب والحاسب والمقن والمشرع والعالم والحكيم والطبيب وصارت بلادهم محط رحال العلماء والخطباء وكعبة الراغبين في العلم . ومن ذلك الارسالية التي كانت توفدها الحكومة المصرية الى هذه الديار من عهد ساكن الجنان محمد علي باشا حتى حق لها ان تسمى بمدينة الانوار . كما سماها بذلك صديقنا الكاتب المصري الشهير احمد زكي بك سكرتير مجلس النظار .

وهي الآن محل سيطرة الكمال العلمي ويتلوه الكمال الصناعي وان سبقها غيرها في هذا الاخير لانهم لم تحتفل بالماديات احتفالها بالمعاني ولها الفضل على كل حال لانها كانت السابقة في سبيل المدنية الحديثة وأندية العلم بها للآن اكثر من أن تحصر وأشهر من ان تذكر .

أما نظام مبانيها ففوق الوصف لانك كلما سرت في شارع لا تري عليه الا مباني باذخة وقصورا نفيسة على طوله ومن أسفلها الدكاكين والمخازن التجارية التي تقف باهتا امام عظمتها وحسن تنسيق البضائع فيها وكمال نظامها وعلى الخصوص ترتيب العملة القائمين بعرضها على المشتريين أو المتفرجين . واكبر محل تجاري فيها هو محل تجارة اللوثر والمكان المسمى بون مارشيه والداخل اليهما لاول مرة لاشك انه يضل سبيله ويفقد شعوره ويندهش للحركة الكبيرة التي لا انقطاع لها من العمال والمشتريين والمتفرجين .

والاول منهما أجمل اتقاناً وبضائعه أرقى قيمة وأعلى ثمناً .  
أما الثاني فإنه أوسع مكاناً واغزر مادة وأكثر خدمة وعدد هؤلاء يفوق  
السبعة آلاف شخص وجلهم من الجنس اللطيف : تجد الكل واقفا امام  
ما خصص لبيعه وكأن لكل فرد منهم ألف عين تنظر وألف يد تتحرك : يناول  
بهذه ويربط بأخرى ويحرر استمارات المبيعات بغيرها ويأتي اليك بما تشهيه  
من البضائع بسواها . وكأن له ألف رجل تتحرك الى حيث غرضه وكأن له  
ألف لسان يخاطب به كل وارد بما يروم ويشتهي : فيمارس مع هذا ويثن لذلك  
ويشرح الصنف لغيرها ويجيب عن سؤال آخرين في أسرع من لمح البصر .  
وبالجملة فهناك ترى الحركة والنشاط والخفة في العمل والسرعة في انجازه بنظام  
تام وسكون عام وهم مع ذلك لا تری فيهم الا حسن الوداعة ولين الجانب مع  
أدب في التعبير عمالاً يخرج عن حد اختصاصه وعمله وبشاشة تامة تستميلك  
الى شراء ما لست في حاجة اليه .

أما شوارع المدينة فنكلمها من أحسن شوارع العالم سعة ونظاماً ونظافة  
والبوليس فيها واقف وكله عيون تبصر وأذان تسمع وأرجل تتحرك به  
على الدوام في دائرة اختصاصه حتى اذا حصل بها ما يخل النظام فلا ترى منه  
الأسدا نقر وانقض ويدا قبضت على المخالف أو الجاني وقادته الى المختبر وهو  
فيما عدا ذلك في غاية الادب اذا قصده مسترشداً هداه الى طريقه وان سأله  
سائل أصغى الى كلامه بكل احترام واحتشام لانه عارف بوظيفته التي ليست  
الا عبارة عن الخدمة العامة فهو لا يحتفل بأمر ولا يزدري بفقير والكل عنده  
سواء فيما يختص بأداء وظيفته .

وأهم شوارعها الشارع المسمى جران بولقار وهو من اكبر أمثاله في

الدنيا بأسرها الا انه أحسنها رونقا وأجملها نظاما وفيه من المحلات العمومية والاندية الخصوصية والمخازن التجارية مالا يستطيع لسان شرح جماله وجلاله ولا قدرة له على وصف ساطع بهجته وروائه وكامل أهته. أما الحركة فيه من عربات ركوب وأمنيو بوس وأناس بين غادين ورائحين فشيء يجارله الجنان . وتندهب لمراه العينان . وخصوصا من الغروب الى نصف الليل . أما شارع الشانزي ليزيه فهو لسكنى سراة القوم وما هو الاجنة من الجنان . أوروضة من الرياض الحسان ويقال انه ليس له مثيل في العالم الارضى في جمال سنائه . وجلال روائه . وخصوصا ذلك الاثر العجيب الذى قام على ميدانه ويسمونه بقوس النصر أو قوس الكوكب وهو الذى أقامه الفرنسيون تذكاراً لانتصار نابليون بونابرت فى واقعة أوسترتز التى انتصر فيها نصراً مبيناً فى ٢ ديسمبر سنة ١٨٠٥ على جيوش النمسا والروسيا معا وهذه الواقعة تسمى بواقعة الامبراطرة الثلاثة لان جيش النمسا كان على رأسه فيها الامبراطور يوسف وكان على جيش روسيا الامبراطور اسكندر وكان الامبراطور بونابرت على رأس الفرنسيين .

وهذا القوس أكبر أمثاله فى العالم الارضى وارتفاعه يبلغ ٥٩ متراً ونصفاً وعرضه نحو ٤٥ متراً وسمكه نحو ٢٢ متراً صرف عليه أكثر من تسعة ملايين فرنك وعليه من جميع جهاته نقوش وقائع حربية وصور كثير من قواد القوم المشهورين وأسمائهم تخليداً لذكورهم واشهاراً لما أتوا به من عمل جليل كان من ورائه قوة الدولة وخيرها وسعادتها . وفى جهته المقابلة للشانزي ليزيه صورة الجنرال ميراث وقد أسر مصطفى باشا فى واقعة أبى قير المصرية سنة ١٧٩٩ . وهذا الشارع محل نزهة القوم ويوصل الى غابة بولونيا الشهيرة بجمال

نضرتها وكمال بهجتها وهي أحسن منتزهاتهم الصيفية وقد زرتها عصر يوم فوجدتها  
وقد وضعتها يد الصناعة على هيئة الغابات الطبيعية وغرست فيها من الأشجار العالية  
العالية ذات الفروع الدائرية ما تسر رؤيته الناظرين . ويشرح رواؤه صـ دور  
المتزهين . ويستميل النفس بل يسلب الحس . ما تراه يجري تحت ظلالها من  
غزلان الانس . وقد أنست كل واحدة الى أنيس . أو حليف وجليس . فجلسا  
تحتها جهاراً . أخياراً كانوا أو أشراراً . واتخذوا من جذوعها وظلالها أستاراً . وقد  
اقترب المحب من محبوبه حتى يتخيل لك أن الجسمين تداخلتا في بعضهما واتحدتا  
قلبا وان اختلفا قلبا . وكيف وهما بين جارح ومجروح . وطارح ومطروح .  
وعاشق ومعشوق . وشائق ومشوق . وفاتن ومفتون . وشاجن ومشجون .  
وجو الصباية يختلف بهما بين صحو وضباب . يعقبه حمد أو عتاب . وجزاء أو عقاب  
والشراح أو اكتئاب . وجدير بهذا المكان . أن يسمى على هذا الحال روضة  
العشاق . ونزهة المشتاق .

وأرض هذا الروض قد فرشت ببساط سندسى تخله طرق مرسومة  
وسكك منظومة . تتقاطع مع بعضها وتنتهي الى جبال صناعية ينزل منها الماء  
على هيئة شلالات شبه طبيعية يطرب الاذن رخيم خريره بما يعنى عن تعبيره  
بأن ليس لشكاه الجميل . فى العالم الارضى نظير ولا مثيل . ثم ينساب الى بحيرة  
لطيفة نثرت حولها النوادى العمومية لاستراحة القوم .

وبالجملة فهي آية من آيات الصناعة التى تفوق الطبيعة فى جمالها وجلالها  
وزهرتها ونضرتها وبهاهاورواها .



﴿ آداب القوم وأخلاقهم ﴾

أما آداب القوم وأخلاقهم فقد أخذوا منها بالطرفين . وحصلوا على النقيضين .  
وليس لهم من وسط في أمرهم : عمل لعيش . وحزم يعتوره طيش . وحكمة بلا  
تصور . وأنفة بهور . وكمال يتصل بنقص . واحتشام في رقص . ووداعة في أنفة .  
وتؤدة في خفة . وذكاء مع فكر دقيق . من غير ماروية وتحقيق . وذلاقة لسان .  
وسرعة خاطر وقوة جنان . وتشوف الى معرفة الانباء . وتكأ كؤ على أخس الاشياء .  
وحسن معاشرة . وأدب في محاضرة . مع كثرة منفاخرة . وقعود عن مناصره .  
وجري وراء مخاصره . وغضب لثلمه . ورضاء ولو بكلمه ( بردون ) . وتغال في  
انتقام . ولو بلسان لا بحسام . وتعصب جنسية . ومجبة لوطنية . وانكباب على علم أو  
عمل . مع كثرة ملل . يستوجب استراحة في أجل . وحرية ولا غاية . وشبية  
من غير مانهاية . معاهد واملذة وانشرح . تري كل مخطور في طريقها مباح . ولا  
تسل عن قوة شهوات النفوس . وتأنتقهم في المأكل وتقنهم في الملبوس .  
وتصاغر الرجال . في استمالة ربات الحجال . واستعمالهم في ذلك من الاساليب  
ملا يدركه عقل أو يتصوره خيال .

أما نساؤهم فلسن في الغالب على ماهو مشهور عنهن من الجمال الطبيعي  
ولكنما تفنن في الجمال الصناعي بما يأخذ اللب ويبهز العقل فتري فيهن شفاها  
قرمزية . وخذودا وردية . مع طرف أدعج . وحاجب مزجج . وعين مكحولة .  
وجبهة مصقولة . وكل ذلك بيد الصناعة التي باغن في التفنن فيها الى الحد الذي  
يكافي الطبيعة في جمالها لا في محاسنها . وهو على كل حال في نظر العارف . كالدرهم  
الزائف ولكن اذا أضفت اليه ما فيهن من رشاقة القوام . وظرافة الهندام .

ورقيق الكلام. والقدرة على التلاعب بالأحلام. مع مشية الغزال. ولطافة الدلال  
وزهرة الجلال. في ظاهر الكمال. وبعد المنال. مع قرب... عرفت كيف  
انهم يأخذون بعقول الرجال. وليس ذلك بغريب في نسوة أمة له نصيب من  
بروجرام دروسهن (تواليت). حتى قال الملك هنريكوسن الرابع ما ضرب به فيهم  
المثل بعده (يريد الله ما تريده المرأة) وفي ذلك ما يكفيك من احترامهم إياها وإعلاهم  
لشأنها.

ولما كانت مدة اقامتي في باريس قليلة جدا كما مر بك ذكره وكان  
في أثناء المعرض العام الفرنسي اهتمت به كل الاهتمام ولم يبق لي من  
زمني ما كان يسمح لي بالتفرج على المدينة التي هي أم العواصم الارضية بل  
زهرتها ولا بالاطلاع على ما فيها من غريب الآثار كالكتبخانات العمومية  
والتيارات الفخيمة والمتاحف التي هي في مقدمة أمثالها في هذه المعمورة  
ولكنني على كل حال وفقت الى اختلاس بعض سويغات من زمني وشاهدت  
بها متحف اللوفر الذي تغنيك شهرة اسمه عن وصفه لك بقلمى الذي لم يسمح  
له الزمن اليسير الا بالحكم عليه في عمومياته بأنه اكبر المتاحف بنيانا وأوسعها  
مكانا واكثرها آثارا وأحكمها نظاما فقد جمع بين ما يشوق ويروق ويعجب  
ويطرب. ويحير ويبهز من لوحات. هي من اكبر الآيات. رسمت عليها يد الدقة  
والاقتان صور دينية ومعان سياسية ووقائع حربية يستوقف جمال رواها  
وجلال أبتها المطلع عليها حتى يكاد يود أن لا يفارقها ولا يحول طرفه عنها  
الا للاطلاع على ما بجانبها. ولقد رأيت والحق يقال في هذه الصور من  
اقتان صناعة الرسم مالا قدرة لي على وصفه وهي في ذلك أغنى متاحف الدنيا  
ولقد شاهدت بجوارها من الآثار المصرية وأحلامها وأغلاها واكبرها قيمة

مما لا يوجد في نفس متحفنا المصري الشهير بها مما أخذ من ديارنا بالطرق التي  
استعملت في الحصول عليه وغير ذلك من الآثار اليونانية والرومانية وغيرها  
مما لا يوجد الا في هذا المكان .

ومما اثر على كثير من سيف بطلمه الهام نابليون بونابرت وقد صفح  
جنيره بالذهب وحلى بالاحجار الكريمة . وغيره من آثاره وحلى زوجته التي  
أهدت لها قاعة مخصوصة في هذا المتحف وهي عند القوم مأجوزة بعين التقديس  
والاحترام وهنالك تذكرت أبطال مصر مثل محمد علي وولده ابراهيم باشا  
وآثارهم الشخصية التي تفوق ولا شك آثار بطل فرنسا مما لم نره بأعيننا ولم نسمع  
عليه بأذاننا وكان يجمل بالعائلة الكريمة الخديوية أن تهديها الى متحفنا أو تجعل لها  
متحفا خاصا بها حتى تكون به تذكرة حسنة لمصر وبنيها على ممر الاعوام والدهور .  
وبالجملة فان الفترة اليسيرة التي أمضيتها في هذا المتحف لم استطع معها الا  
أن أقول لك انه زهرة أمثاله .

ولقد أردت الاستراحة من التعب الذي كان يؤثر على صحتي من شدة  
ما كنت أكابده من العناء في زيارتي المعرض فقصدت بعد ظهر يوم مدينة  
فرساي مع رفيق لي من أهل البلاد وهي تبعد عن باريس بنحو ثمانية عشر كيلو  
مترا فركت وابور السكة الحديدية اليها فوصلناها وقصدنا سرايها الملوكية التي  
وضع أساسها لويز الثالث عشر ثم أتمها لويز الرابع عشر وأكمل نظامها الحالي  
لويز فيليب فوجدتها آية من آيات الزمان بل جنة من الجنان فدخلناها من ممشاة  
طويلة وضع على جانبيها تماثيل أكبر القواد والسياسيين وملوك البلاد ثم صعدنا  
الى الدور الاول فتخللنا قاعاته وعليها من الرسوم والصور السياسية والحربية  
ما يندش له النظر ويثير البصر فترى الزائر يحمق اليها وهو بين أبهة ملكها

وكمال جلالها . وفيها كثير من صور لوزير الرابع عشر على هيآت مختلفة ثم كثير غيرها من صور ملوك فرنسا وقوادهم البريين والبحريين وأخص منهم نابليون الاول التي تراه مرسو ما في أغلب لوحاتها فتارة تراه مفكراً أو أمراً وأخرى تجده وهو مرتد بسلاحه . في حربه وكفاحه . ثم تراه في غيرها سائراً أمام جنده مشيراً إليهم باتباعه واختراق صفوف الاعداء معه وهكذا من وقائعه الحربية التي لاتعد ولا تحصى ومنها رسمه في واقعة أبي قير المصرية وواقعة اهرام الجيزة التي اكتسبها في ٢١ يوليه سنة ١٧٩٨ بتحميسه لاصحابه حيث قال لهم خطابته المشهورة المؤثرة من ان هذه الاهرام تنتظر منهم من يوم نشأتها نصرتهم في تلك الواقعة وهو لو كان على قيد الحياة الآن لقال من غير شك ان هذه الاهرام بعينها كانت تنتظر من يوم بنى الحجر الاول فيها فشل قومه السياسي في بلادها أو على الاقل لكان سحب كلامه . وانهد حسامه . وبكى أيامه . وسبحان مغير الاحوال الذي يرث الارض ومن عليها .

﴿ بضعة أيام في بلاد سويسرا ﴾ (١)

تركت باريس يوم ٤ يوليه الساعة العاشرة مساءً وركبت قطار الاكسبريس

(١) سويسرا هي اكثر بلاد أوروبا ارتفاعاً عن سطح البحر وهي تنقسم الى ٢٢ مديرية ويدير شؤونها مجلس به عضوان من كل مديرية يقال له مجلس المديريات بالاتحاد مع مجلس الامة الذي يتركب من ١٣٥ عضواً بمعنى ان كل عشرين ألف نفس من أهلها ينتخب عنهم شخص واحد

ومجلس الشوري وهو يتركب من سبعة أعضاء تنتخبهم الجمعية الشورية وهي جمعية المديريات وينتخب لها كل سنة رئيس ومركزها في مدينة برن من سنة ١٨٤٨ الى الآن وهو القائم بادارة شؤون الحكومة والتعليم فيها منتشر جداً والابتدائي منه قهري والفقراء يتعلمون مجاناً ويوجد فيها

مدارس كلية في زوريخ وبال و برن وجنيف ولوزان . ولقد كانت بلاد سويسرا بلاداً همجا فاستولى عليها جول قيصر سنة ٥٨ قبل المسيح وصارت في سنة ١٥ ق م اقليما رومانياواستولى عليها الفرنج سنة ٥٣٦ ثم انقسمت الى جملة ايالات تحكمها القوضى وكانت الايدي القوية تتناوب أطرافها سواء من الخارج أو من داخلية البلاد وكانت الحروب فيها لاتنقطع مع جاراتها التي كانت تريد التقامها حتى دخلت في حوزة فرنساويين الادبية بعد حروب طويلة معهم انتهت بصلح سنة ١٤٥٣ ومع ذلك فان النمسا ما كانت تكف غاراتها عن بعض اجزائها المجاورة لها وكذلك ايطاليا وقد كاد كل يتنازع له ثلثة منها لولا أن قامت ثورتها وأخذ أهلها بسلاحهم عن بكرة أيهم وصارت أرض هذه البلاد كلها مسرح قتال ونضال ثم انضمت عشرون مديرية من مديرياتها على بعضها وكونوا الوحدة السويسرية فخافت الحكومات العظمي الاوروبية شر هذه الفتنة وخشيت ان يتطير شررها الي بلادها فنحها نابليون بونابرت سنة ١٨٠٣ ترتيبا جديدا لحكومتها وهو انه يديرها مجلس مركب من ٢٥ عضوا يكون مقره زوريخ بشرط ان تكون البلاد على الحيادة وودودة الي فرنسا ومن ثم أطلق على بونابرت لقب ( وسيط الوحدة السويسرية ) وبعد سقوط نابليون تغير هذا النظام باخر قد وضعه مجلسها المذكور في ٧ أغسطس سنة ١٨١٥ ويسمى بمعاهدة الاتحاد السويسري ثم أعقب ذلك بناء على تقرير مؤتمر فينا دخول مديرية والس ونوشاتل وجنيف في الاتحاد السويسري وعليه أصبحت مديرياته ٢٢ مديرية وقد أمضت الدول الاوروبية في هذه السنة نفسها معاهدة في باريس تعهدت فيها بأن تكون هذه الحكومة على الحيادة التامة الدائمة وان تحفظ أراضيها وتقوم في وجه من يريد غصب شيء منها . وفي سنة ١٨٤٠ قامت ثورة الحزب الجمهوري وعم الهيجان بعض المديريات وانتهى سنة ١٨٤٨ بقب النظام الذي وضعه نابليون الى آخر يقال له نظام التحالف الجمهوري وقد صار تنقيح هذا النظام أيضا سنة ١٨٧٤ وهو النظام الحالي ووضع هذه البلاد الجغرافي له أهمية كبرى عند الدول الاوروبية لانها هي الفاصلة بينها وبين بعضها بجبالها العالية التي ترى في جنوبها ايطاليا وفي غربها فرنسا وفي شمالها المانيا وفي شرقها النمسا فهي الحصن الوحيد الطبيعي الذي يدفع عن هذه الحكومات شر هجماتها على بعضها خصوصا انها مصدر الحياة الزراعية للقارة الاوروبية بما يخرج من جبالها من هذه الانهار العظيمة التي تنساب الى جميع الجهات والحكومات مما يتفرع عن نهر الرين والرون والدانوب والموز والآر وغيرها ولذلك فانها مرموقة بعين الاحترام والاهتمام من جميع الدول حتى أحاطها كل من جهته بسياج المحافظة عليها

فوصلنا الى محطة ديقون التي هي من أعمال فرنسا والحد الفاصل بينها وبين حكومة سويسرا من جهة جنيف . وهذه القرية مشهورة بحماماتها الصحية التي تؤثر كثيراً على الامراض العصبية بمياهها الطبيعية التي تنبع من جبال جورا ودرجة حرارتها في الصيف ٦ فوق الصفر فوجدنا فيها خالقا كثيراً أتوا للاستحمام بمياهها وهم بين رجال ونساء هذا قد تهيجت اعصابه العليا فأخذ يلعب عضلات وجهه كلها وذاك يلعب يده ورجله بحركات مختلفة غير مؤتلفة وغيره تراه يقعد بجوارك هادئاً نحو بضع ثوان ثم يقوم منتفضاً كالصنوبر بلله القطر وهكذا مما يضحك له من أمن على نفسه غيلة الامراض . ولقد سمعت من غير واحد ان هذه الحمامات مفيدة جداً . وفي هذه القرية أيضاً معامل لقطع الماس وتكوينه على الشكل الذي تعرفه . وريثا استرحنا بها قليلا ركبنا منها عربة وسرنا الى حيث نزلنا في منزل لطيف على بحيرة جنيف لنمضي به أياما ترويضاً للصحة وترويحاً للنفس وهو على مسافة ساعة منها بالعربة وأربعين دقيقة بالوابور الى جنيف . وهذه البحيرة مشهورة جداً بمجال المناظر التي تحيط بها فتري عليها القصور والبساتين والغياض والرياض التي يقصدها

وكفوها بذلك شر انشغال البال في دفع ما ربما ينالها من الشرور والاهوال فنامت حكومتها هادئة مطمئنة في أمن مقيم وسلام مستديم واشتغل أهلها بصوالجهم الخصوصية التي ستصل بهم ( ان كانت لم تصل بعد ) الى أرقى مراتب العمران وذروة السعادة الحيوية الحققة ومن ذلك ترى ان اهتمام حكومات أوروبا ببلاد سويسرا لم يكن عفواً حيث كل دولة ترى فيها حياة أرضها كما نرى نحن حياة مصر في سوداننا الذي أهملناه واغفنا أمره وألقت حكومتنا به وبجياتنا معه الي ما بين يدي هذا القادر الذي لا طاقة لنا به ناظرين الى احسانه الينا بشيء من هذه الحياة التي أخذها غنيمته باردة وهو يرى انه ان فعل من فضله وان أبي ذلك علينا فمن عدله ولا حول ولا !!

الناس من جميع الاقطار والامصار لمصيفهم على ضفافها الطلاقة هوأها وجوده  
جوها ويزيد رغبتهم في ذلك هذا الأمان الذي ضرب أطنابه على البلاد وما  
اشتهر به السويسريون من كمال الآداب وحسن المعاشرة . وكيف لا وهى  
بلاد قد خصها البارئ جل شأنه بحمال الطبيعة في أرضها ومائها وسمائها  
وشجرها ونباتها وتربتها حتى كأن هذه الطبيعة سرى جمالها الى طبيعة أهل  
البلاد فجملت وكلمات وأصـ بجوا مثالا يضرب فى وداعة الاخلاق ومحاسن  
الطباع ولطيف العوائد ورقيق الشمائل وكريم الشيم وحسن المعاشرة وصدق  
المعاملة . بلاد لا ترى بها سارقا ولا مارقا كمل اهلوها فاستراحوا وأراحوا  
حكومتهم بل وجميع الوافدين عليها والقادمين اليها . ولذلك وضعت حكومتهم  
فيهم كل ثقها وأعلنتها اليهم على لوحات من الخشب مكتوب عليها هذه العبارة  
« ان الامن مو كول أمره الى الاهالى » .

ترى المنازل قد نثرت وسط المزارع وقد اكتنفها البساتين والجنان  
التي فيها من كل فاكهة أكثر من زوجين . وأشجارها قد التوت فروعها  
تحت عبث ثمراتها ولا سياج يمنع . ولا خفير يدفع . كما لا أحد يقوى على  
قطف شئ منها ولو ليقم به حياته التي على آخر رمق من الجوع ولا  
يستطيع أن يدخل منزلا أو يمر من حقل دون اذن صاحبه كأنهم أرادوا بذلك  
ان يكونوا أول طائع للخالق سبحانه وتعالى فى قوله لنا « فلاتدخلوها حتى يؤذن  
لكم » حتى اذا فرطنا نحن فيما دعينا اليه من هذا الكمال أخذوه هم واتبعوه  
فجنوا من ثمرات آدابها ما أصبحنا ننظر الى خيره فيهم ونكثر من شكرهم عليه  
ونأسف لشذوذنا عنه وقد صار طبيعة سيئة فينا نرى من عواقبها هذا العقاب  
الذى يساق اليها عاجلا وينتظرنا آجلا .

لذلك ترى المحاكم عندهم وقد فتحت أبوابها رسمياً وكأن القضايا خاصتها  
فلا يزورها الا من شذ عن قاعدة هذا الكمال ليسكون من ضمن الادلة  
القوية على وجوده فيهم .

بلاد فشافيهما السلام . بين الخاص والعام . لمن عرفوه ولمن لم يعرفوه  
ونصبت على ربوعها اعلام الامان . الذي يرفل في مجبوحته الجماد والنبات والحيوان  
والانسان . بلاد تسير الناس في سهلها وجبالها بين نساء ورجال وأطفال زرافات  
ووحدا نا . مشاة وركبانا . بالليل والنهار . أغرابا كانوا أو من بني هذه الديار .  
ومخايل الثورة تلوح على أغلبهم وليس معهم نصل يقطع . أو سلاح يرفع .  
الهم الاعصايتو كؤن عليها أو مظلة يحمون بها من حرارة الشمس أو غزارة  
المطر ولم يكن في طريقهم بوليس يحميهم ولا يصادف أحد منهم من  
يقطع عليه طريقه أو يتقف له فيه « أو يطلب منه لفة دخان » مما أنت في غنى  
ذكره .

بلاد اذا فقد الرجل متاعه في أي جهة منها فهمما ابتعد عنها ورجع اليها  
وجده مكانه ان كان في الطريق . أو في ذمة صاحب النزل ان كان تركه به .  
ولقد سمعت من أحد أصدقائي السائحين انه نزل بلو كاندة في أحد جبال  
سويسرا وخرج يوماً للنزهة فلما عاد لم يجد كيس دراهمه في جيبه وكان به  
عشرون جنيتها وبعض كارت دوفيزيت فأتى اليه رب النزل ثاني يوم ومعه  
صبي فأعطاه كيسه قائلاً له اني وجدته في طريق كذا ولكون هذا النزل  
قريباً منه تصورت ان صاحبه ربما يكون فيه فأتيت به اليه وحمدت الله على  
تسليمك اياه فأراد ان يعطيه منه شيئاً ليس بالقليل على سبيل المكافأة فاحمر  
وجه الصبي خجلاً بل غيظاً وقال له ما كنت أخدمك لتعاملني بهذه الالهانة



فاستسمحه رب الكيس ودعاه الى شرب القهوة معه فأخذها وانصرف شاكرًا  
وابت صاحب متفكرًا في هذه الامانة والشهامة اللتين وصلتتا بالقوم الى منتهاهما .  
فانظر أيها المصري كيف وصلت الامانة والهمة والشجاعة الى حدها  
الكبالي في بلاد سويسرا وقل لي بالله عليك أما ترجو ان يكون صدى صوت  
هذا الكمال أو خيال جسمه أو صورة رسمه في بلادك حتى ترتاح ولو وهما  
من أولئك الذين يجعلون حياة الناس على الدوام في خطر من شرورهم والحكومة  
في نصب من تعسها عليهم ومراقبتها لهم .

وما سبب ذلك فيهم ياترى ؟ لاشك ان سببه تيقظ حكومتهم وسهرها على  
صالح الاهلين الذي هو عين صالحها . واهتمامها بخيرهم الذي هو نفس خيرها  
سنت الحكومة السويسرية قانونا يحتم على عموم الناس فيها تعليم أولادهم  
من السابعة من عمرهم بنين كانوا أو بنات وفتحت لهم أبواب المدارس  
المجانية لفقراءهم فتري الطفل يشب على حب العمل حتى اذا ما وافت مدة  
اتمامه دراسته بارحها وهو متأهف على تكميل دروسه بمدارسها العالية واشتغاله  
بمهنة يكتسب بها حياته وتساعده على القيام بحياة أبويه الفقيرين اللذين  
أصبحا ولا قدرة لهما على العمل . ولذلك لا يرى القوم امامهم الا الشغل  
ولا يفتكرون في غيره حتى أصبحوا بين عالم جليل . وكاتب نبيل . وصانع متقن .  
ومخترع متقن . وفلاح فالح . وزراع ناجح . عارف بطبيعة التربة وما ينتج فيها  
ونوع السماد الذي ينمي به مزروعاته .

أما عندنا وما أدراك ما عندنا فقد ألتت الحكومة حبل الناس على  
غاربهم فشب أغلبهم على البهيمية المحضة والبطالة والدعة اللتين هما مفسدة وأي  
مفسدة فاستعملوا ما وهبهم الله من الادراك الحيواني في المفاسد وامتدوا بها

الى ان عشوا في الارض ينزلون بصواعق شرورهم على عباد الله فيقتلون  
ويسلبون وان ضاقوا عنهم ذرعا. قتلوا ماشية أو أحرقوا زرعاً. حتى أمسى  
الناس وخصوصاً في بلاد الارياف ولا سيما أصحاب العزب منهم اذا نام أحدهم  
استودع نفسه وماله هذه العين التي لا تنام. وهو محاط بسلاحه كأنه في دار حرب  
لا دار سلام. ولقد كنت أذكر ان حكومتنا السنينة سنت قانوناً لعقاب  
المتشردين. وكأني به وقد جف مداده وبطل العمل به مع انه ربما كان يأتي  
بشيء من الفائدة ويرفع عن الناس بعض هذه الشرور والله تعالى هو المرشد  
الى مافيه الصواب.

### ﴿ مدينة جنيف ﴾

يبتدىء تاريخ هذه المدينة من القرن الاول للمسيح عليه السلام وكانت  
تابعة للدولة الرومانية. وفي سنة ٤٤٣ صارت عاصمة حكومة بروجونيا. ثم  
استولى عليها الفرنسيون سنة ١٥٣٣ ثم رجعت عاصمة للحكومة البرجونية  
سنة ١٥٣٤ ثم قام اهلها طلباً لاستقلالهم وانضموا الى أهل فريبورج وعملوا  
معاهدة مع برن في سنة ١٥٣٦ وانقسموا الى قسمين عظيمين وحزبين كبيرين.  
أحدهما يميل الى الحكومة الشوروية. والثاني للملوكية. وقد كثرت بينهم  
المنازعات والمخاصات حتى انضمت الى حكومة برن الشوروية سنة ١٧٩٧  
وهي الآن عاصمة ولاية من ولاياتها الاثنتين والعشرين التي لكل منها علم  
تعرف به وان كان لمجموع الكل وهي الحكومة السويسرية أو الحكومة  
الشوروية علم مخصوص.

ولقد أسعدني الحظ فزرت هذه المدينة يوماً فوجدتها على الشاطئ

الغربي للبحيرة التي سميت باسمها وبعضهم يسميها بحيرة ليمان وهو اسم الولاية .

فرايت ابنية باذخة . ودورا عامرة . وقصوراً لطيفة . تقطعها شوارع كثيرة نظيفة . وقد خرج من البحيرة نهر الرن وسار من وسطها منقسماً الى قسمين . قسم قد ضاق مجراه وقوى تياره ووضعت عليه آلات هائلة لتوليد الكهرباء وقوتها ستة آلاف حصان فترفع المياه من النهر بقوة تياره وتوزعها على المدينة لشرب أهلها وألادارة المعامل التي فيها بواسطة ضغط الماء ثم ترى بعيداً عن هذه آلات أخرى قوتها ١٢ ألف حصان يديرها تيار الماء أيضاً لتوليد الكهرباء لاضاءة المدينة .

وبها مكتبة جميلة مهمة جداً وفيها نحو مائتي ألف كتاب منها ثمانية عشر ألفاً بخط اليد . وبها انتقخانة لطيفة وفيها كثير من اللوكندات والمنتديات والقهاوى وغير ذلك مما يكثر في مثل هذه المدينة المتقدمة وان كانت هي أكثر نظاماً وأحسن رونقاً من كثير من مثيلاتها . أما أخلاق القوم فيها فقد ذكرت لك شيئاً عن عمومياتها في بلاد سويسرا . وأما حركتهم فشيء يجدر بي ذكره : تأن في فكر . وسرعة في عمل . قد مدت المرأة ساعدها الى الرجل وأعانها الشاب بل والطفل فساروا جميعاً الى ما فيه الخير والبركة . وكل عارف بما يصنع . واثق بالنجاح والفلاح . ولقد اشتهرت هذه البلاد بعمل الساعات التي كثر فيها فأوريقاتها وأرسلت مصنوعات الى أنحاء العالم واشتهرت كذلك بمصوغاتها الذهبية والفضية وباحجارها الصناعية التي تنافس الاحجار النفيسة وما هي الا أجزاء يهصرونها مع بعضها ثم يصنعونها الى ما يروق النظر ويخطف البصر .

وفيها أيضاً معامل للروائح العطرية يكونونها من أجزاء كيمياوية فينتجون

منها ماء ورد لم يكن من الورد وروح بنفسيج لم يكن من البنفسج وهكذا . وغير ذلك من فوريقات الاقمشة الجميلة صوفية أو حريرية أو قطنية وكلها آية من الغرابة وحسن الصناعة وجودة القماش ولطافة الرسم بمكان عظيم .

ولقد شاهدت بها ثلاثة أمور جديدة بالذكر :

أولها العربية فانك ترى الواحد منهم عارفاً بصناعته وكيف يسير بعربته فتراه احياناً يسرع وآونة يمشى على مهل ولا سلطة للراكب معه عليه . بيده الأ سراع وبالأخرى فرملة يربط بها العجلات حيث يكون ميل في الطريق ويفكها في المرتفعات . عارفاً بما يجب ان يعامل به حيوانه الذي عليه مدار عيشه فينظف جسمه . ويقوم رسمه . ولا يشغله فوق طاقته . ولا زيادة عن ساعته المضروبة لراحته . حتى اذا وافت ذهب الى اسطبله وهو لا يسمع نداء . ولا يقبل رجاء . ممن أراد الركوب معه ولو أعطى له فيما يؤخره نصف ساعة عن ميعاد راحة حيوانه عشرة أمثال ما اكتسبه في يومه . وهنالك افكرت تلك القسوة التي تعامل بها نظارة المعارف في بلادنا أولئك الذين هم أحق بالكرامة . من أفاضل المدرسين والمستخدمين الذين يعملون فوق ما يطالبهم به القانون والذمة والامانة . ولا يعاملون الا بتلك القسوة والاهانة وتمنيت ان يعامل أولئك الافاضل الامثال عندنا معاملة ذلك الحيوان في بلاد سويسرا .

الامر الثاني أنك ترى الناس في حالهم لا من يلتفت اليك . أو ينتقد عليك . وليس أمامهم غير ما بين أيديهم مما يمنع عنهم شراً . أو يجرّ اليهم خيراً . ترى الباعة في دكا كينهم وقد دخلت اليها يرشدونك الى الجيد من بضائعهم ويحذرونك من الرديء منها ويعرفونك عن أثمانها المحددة ولا

يضيعون معك دقائقهم المعدودة بين ملقهم لك واستمالتك الى مشتري أشيائهم وهم في غاية الادب اشترت أولم تشتري . وان كان المكان صغيراً وعماله قليلين . قدموا الاول فالاول من الداخلين . ترى القوم بين رجال ونساء يسرون في غاية الكمال . لا هذا ينظر الى تلك ولا هذه تعجز لذلك وقد ظهرت المدينة من بيوت الفسق والفجور كما ترى أبوابها مفتحة رسمياً عندنا فان كان هذا تمدنا تطالب به الحرية الموهومة في بلادنا فكان أحق به هذه الديار التي بلغت منها أقصى ما يصل اليه بنو الانسان .

الامر الثالث وكان أكبر مؤثر على في هذه المدينة : هو نظام المدارس الذي ليس بعده نظام . وإحكامها الذي ليس وراءه إحكام . سواء كانت ابتدائية أو ثانوية او عالية . وقد أضافوا الى تعليم العلوم والفنون والصناعات من آداب السلوك ومسالك الآداب الدينية والمعاشية ما يقوم الطباع ويكمل الاخلاق فيتخرج التلميذ منها عالماً حازماً وانساناً كاملاً صالحاً وقد اتحدت معلوماته بجميل صفاته . ولقد كان هذا اليوم يوماً مشهوداً في هذه المدينة . رأيت في صبيحته الاطفال بين بنين وبنات وقد هرعوا الى ساحة رحبية على شاطئ البحيرة مما يلي المدينة والناس من حولهم لا يحصى عددهم وما هي الا ساعة حتى انتظموا في محفل حافل وساروا بموكب شامل لكل أبهة وعظمة وأمامهم الموسيقات الاميرية ورجال البلدية بملابسهم الرسمية فكانت ترى تلامذة كل مدرسة وقد تقدمها أحد بنينها وهو حامل علمها الخاص بها . يتلوها غيرها من مدارس البنين ثم مدارس البنات وقد أحاط بهم على جانبي الطريق رجال الشرطة والبوليس وعساكر ظلمبات الحريق بملابس التشريفة الكبرى وفي نهاية الموكب موسيقى أميرية أخرى تشنف

بنغماتها الاسماع كما أقرت التلامذة بمراهم الانظار والابصار . وسار الموكب الذي يحيط به الجلال والجمال . يخرق شوارع المدينة الكبرى حتى وصل الى ميدان واسع امام مركز الحكومة ( البلدية ) وهناك أخذ التلامذة يلعبون فرحين مسرورين ثم رجعوا الى منازلهم وهم اكثر فرحاً وجدلاً .  
وفي أثناء سير الموكب سألت رفيقاً لي من أهل البلاد عن هذا الاحتفال فقال لي ان هذا اليوم عيد الاطفال وفيه يوزعون المكافآت الرسمية بمدارسهم على من نجح منهم في العلوم والفنون بحضور رجال الحكومة وسراة الامة وأهليهم وذويهم ثم يخرجون الى هذه الساحة حيث يكون موكبهم على ماترى . فقلت وهل هؤلاء هم الناجحون من التلامذة فقط ؟ فقال لابل كل أبناء المدارس الموجودة في هذه المدينة سواء كانت للاهالى أو للحكومة من مجدّ وخامل . وناجح وعاطل . فنظرت الى وجوههم فوجدت هذا يمشى وعلامات البشرى ظاهرة على وجهه وقد تمايل في مشيته اعجاباً وطرباً من نتيجة اتمابه المدرسية التي نال من أجلها تلك المكافآت السنوية . وقد وضع على صدره بعض ماأهدى اليه من وسامات النجاح والفلاح والناس ينظرون اليه معي بأعين سرورهم به . وينعطفون عليه بمجازية محبتهم له . وهو فيما بين ذلك يخطو خطوات الظافر المنصور . وقد جرت في عروقه روح الهمة فقوت عزمه للمحافظة على ماناله من هذه الرفعة بل والزيادة عليها بزيادة نشاطه وجده واجتهاده وهو يقول في نفسه لو كنت اشتغلت أكثر واجتهدت زيادة عما جدت فيه لنلت أكثر من هذا ولكن لا أدع ورأى جهداً في المستقبل حتى أظهر للقوم . بأكثر مماظهرت به امامهم اليوم .  
ورأيت ذلك يمشى وقد التفت ساقاه على بعضهما من الخجل وقطب

وجبه وأسال دمه . ورأي بعينه من شفافية جفنيه المنكسرين عليهما خجلا  
من خيبته التي كانت نتيجة اهماله في دروسه أولئك الناس وهم ينظرون اليه  
شزراً بين ضاحك منه وساخط عليه فعرض على شفقيه ندما على ما فرط من  
حيث لا ينفعه ذلك فيما فات . ولكن فيما هو آت . وجمع اليه كل حواسه  
وعقد بقوتها عزمه على اجتهاده في المستقبل حتى يمحو عنه هذا العار . ويصل  
الى ما بلغه اخوانه من المجد والفخار . وبينما أنا منشراح لهذه الطريقة التي اتبعها  
الحكومة السويسرية لنجاح بنينا الذين عليهم المعول . وفيهم أمل المستقبل .  
تذكرت حكومتنا وقد قصرت مكافأتهما على من يحوز قصب السبق من  
أولادنا في الالعاب الرياضية البدنية في احتفالاتهم الحافلة وكيف انها أهملتهم  
في علومهم وفنونهم وصنائعهم فاهملوها وألقوا بأنفسهم الى الاخرى (وما جعل  
الله لرجل من قلبين في جوفه ) فتكدر صفو سرورى وكأن قد انعكست على  
وجهي صورة من عبس وقطب من غير الناجحين في هذا الموكب . نعم  
لأنكران هذه الاماب ضرورة لتنمية الجثمان ولكن للدرجة اهمال  
العلوم معها والله تعالى يتولانا بلطفه ويرشدنا في سبيل الاصلاح الى حقيقة  
ما نفيد هؤلاء الذين نضع فيهم كل أملنا وكل سعادتنا انه هو السميع العليم .

﴿ نزهة في البحيرة على ظهر مركب بخارية ﴾

قد كان الحر مدة اقامتنا على البحيرة شديداً جداً حتى وصل في بعض  
الايام الى ٢٥ درجة من الترمومتر المئني في الظل فاستأجرنا يوماً رفاصاً  
وركبنا على ظهره في الساعة الثامنة صباحاً من جنيف فسار بنا في هذه البحيرة  
التي تنقسم الى قسمين : الصغرى وهي من جنيف الى نيون . والكبرى وهي من

هذه الى فيلنوف فكنا نتقل من شاطيء الى آخر متتبعين مواقع البلدان الكبرى وكانت تلك المشاهد على غاية من الجمال : واد لطيف النسق . بهي الرونق مخضل زرعه . منعش منظره . قد اخترقته هذه البحيرة التي صفا ماؤها وبهج رواؤها واكتنفته شمالا جبال الالب وجنونا جبال جورا . وقد اتصلت خضرتها بنضرتها . وبهجتها بزهرتها . وهذه البحيرة على هيئة هلال طرفا قوسه الى الجنوب مائلين الى الشرق قليلا وعلى الطرف الغربي منه مدينة جنيف وارتفاعها ٧٥٣ متراً عن سطح البحر وعلى الشرقى قرية فيلنوف والشاطيء الشمالى كله لسويسرا والجنوبى بعضه لفرنسا .

سمرنا على هذه المرآة البلورية التي يحيط بها ذلك البرواز الزمردى وقد انعكست في صفاها السماء وشمسها . واتصلت أطراف أشعتها الصورية بالحقيقية منها وأرادت أن تجذبها شيئاً من صفاء ضيائها وسناء نورها . حتى تكافأها في كامل أوصافها ولكن هذه أبت عليها تلك الكرامة فأخذت بادلواقها في نقطة اتصالهما البلورية واستمدت بيد النسيم العليل فتحركت على بعضها بلطف فتحرك لها وجه الماء وحال بينهما بحجاب فضى كحل بهاؤه . وعظم سناؤه . وحجب الصورة عن الناظرين .

ومازلنا حتى وصلنا فرسوا وهي قرية لطيفة جداً في ضواحي المدينة قد حسن شكلها . وجمل وضعها . ثم قرية كوني وهي في شاطئها لا تقل عنها بهجة ونضارة . وتجاه هذه الضفة الجنوبية قرية انماس التي تبدي منها الحدود الفرنسية مما يلي البحيرة ولم نزل سائرین بين هذه الضفاف المخضلة وقد راقنا ما عليها من القصور الباهرة . والرياض الزاهرة . حتى وصلنا الى مدينة نيون على الشاطيء الشمالى وهي مدينة لطيفة جداً بنيت على مرتفع من الجبل



وعدد سكانها ستة آلاف نفس . وبعدها نفرج أمامنا مرأى البحيرة حتى كأنها  
البحر الزاخر فالتجھنا نحو الجنوب الى ان وصلنا الى مدينة اقيان الشهيرة  
بجمامتها وهي من أعمال فرنسا ( ومنها الماء المعدني المسمى باسمها وهو  
مشهور في أنحاء الارض كلها ) فراقنا منظرها وشاقنا نظام أبنيتها وجمال ما يحيط  
بها من الرياض والجنان . التي يأخذ جمالها بلب بني الانسان . وأمامها من الجهة  
اليسرى مدينة لوزان الشهيرة الكبيرة وهي رأس ولاية ( فود ) السويسرية  
وعدد سكانها نحو ٤٥ ألفاً . أما منظرها فمن أعجب ما يري الراؤن ويصف  
الواصفون . تدرجت مبانيها ورياضها وغياضها وشوارعها على ميل الجبل بشكل  
أقل ما يقال فيه أنك ترى المدينة وقد بسطت أمام عينيك كأنها الوحة فتوغرافية  
أحرق بها البصر فشاهد كل ما فيها من مباني اللطيفة ومناظرها الجميلة وشوارعها  
الواسعة في لحة واحدة . ثم مررنا على سان جولف وهي آخر حدود فرنسا على  
البحيرة نصفها الشمالى لها والنصف الآخر لسويسرا يفصلهما نهر صغير يصب  
في البحيرة . وفي تلك المنطقة من جبال الالب الحاجر التي تؤخذ منها الاحجار للبناء  
في كل جهاتها . وتجاهها من الشاطئ الآخر جملة قرى قد اتصلت أبنيتها ببعضها  
فتؤثر أجمل تأثير على البصر بحسن منظرها ولطافة ابنيتها وهي ( كلارنس  
ومونتيريه ) وهي أكبرها ( وترينيه ) وهناك يرفع الجبل وتظهر عليه قمة عالية  
يقال لها صخرة ( نيه ) وارتفاعها عن سطح البحر يبلغ ٢٠٤٥ متراً وعليها  
لوكاندة كبيرة يصعد إليها بواسطة طريق حديدي مضرس ترفع عليه  
عربات بواسطة الثقل أعنى ان هذه العربات وهي في أسفل الوادي تتصل  
في أعلاه بواسطة سلاسل من الحديد بعربات أخرى مملوءة من الماء فاذا  
أريد اصعاد هذه أنزلت الاخرى على شريط آخر فكلما نزلت جرت الاولى

AMERICAN LIBRARY OF CAIRO

الى الصعود حتى اذا وصلت الى الارض صعدت تلك الى رأس الجبل وهكذا  
في النزول . وهي في صعودها ونزولها قد انتظم سيرها بحساب دقيق فلا  
حركة ولا رجعة . وهذه الجهة بها كثير من اللوكاندات والمساكن للزائرين  
والسائحين الذين يقصدونها لجمال منظرها وحسن روائها وعليل هوائها  
وصفاء جوها .

ثم وصلنا الى قرية فيلنوف وهي على منتهى البحيرة من الشرق وهناك  
يبتدي وادي نهر الرون وعرضه خمسة كيلومترات فيما يلي البحير . ثم الى  
بوفريت على الشاطئ الآخر وعندها يصب النهر المذكور في البحيرة وتياره  
يصل الى بعد كيلومتر واحد في مياه البحيرة مدة شهري يوليه وأغسطس . والى  
خمس كيلومترات في مياهه ويونيه اللذين تسيح فيهما الثلوج المكثفة للنهر بكثرة  
عظيمة . وماء النهر حيث مصبه مشوب بالسواد لما فيه من المواد الطينية والحجرية  
ولكنه لا يلبث أن تؤثر عليه البحيرة بصفائها .

ثم رجعنا من حيث أتينا وقد هداً سطح البحيرة وانعكست فيه ظلال  
ما يحيط بها من الاشجار وكان تماوج الماء من سير المركب يلعب بصور  
الاغصان والافنان التي انعكست صورتها فيه لعب النسيم العليل باعيانها مما  
يستميل اليه النظر بمراه اللطيف . وما زلنا هكذا بين الشراح وافراح .  
وسرور وحبور . حتى وصلنا الى مقامنا قبل الغروب بسلامة الله .

### ﴿ سياحة في جبال الألب ﴾

{ من جنيف الى زرمات }

ركبنا البحيرة من نيون في الساعة العاشرة صباحاً من يوم ٢٢ يوليه

فوصلنا محطة تريته في الظهر وتعدينا بها ثم ركبنا السكة الحديدية وسرنا في وادي نهر الرون الي ( قسب ) وبعضهم يسـميا فييج ( وهي على مسافة ٦٨ كيلومترا من چنيث ) وارتفاعها ٦٥٣ مترا عن سطح البحر . وبمجرد ماوصلناها ركبنا فيها سكة حديد ضيقة الي زمرات التي تبعد عنها بمسافة ٣٦ كيلومترا فـار بنا القطار على أجنحة البخار في وادي ضيق صاعد على طريقه الحديدي الذي حفر له في جانب الجبل على شاطئ نهر فييج وهو مكوّن من ثلاثة قضبان الوسط منها مضرس يقابله عجلات مضرسة في القطار تتماسك به اثناء سيرها عليه في الانحدارات أو المرتفعات التي تلاقيه في طريقه . ومازلنا نرتفع به أو يرتفع بنا حتى اذا وصل الي محطة استالدان وقام بنا منها كنا اذا نظرنا الي الجبل وجدناه من فوقنا كأنه حائط ارتفع على رؤسنا حتى لامس السماء . وكما أرسلنا اليه بصرنا اضطرب ورجعت اليه أشعته بعجلة الخائف وأسرعت الي أفئدتنا كأنها تريد أن تحتمي بها من هول ما وقعت عليه فتسمع من شدة ضرباتها مايزيد في روعها فاذا نظرنا الي النهر وقد هوي في مجراه الي مالا تسمع شديد خريره الاذن ولا تبصر مديد سيره الا عين انقلبت أبصارنا على أعقابها وتعلقت بأذيال هذه الجبال . مستغيثة بها من شر السقوط في مهاوى ذلك الوبال والنكال .

وكانت الثلوج تظهر لنا على أعالي هذه الرواسي وقد انكسرت عليها أشعة شمس الغروب فلمعت كأنها المرآة أو صفائح الفضة قد شابها شيء من الذهب ومازلنا نرتفع مارين من نفق الي آخر ومن منحني ضيق الي غيره يسير عليه القطار طوع ارادته لان عرباته مركبة على صواني متحركة يسهل بها الاتزلاق على القضبان في تلك المنحنيات الخيفة الي أن وصلنا الي محطة سان

نقولا وهنالك ارتفع النهر حتى كاد يلتهم طريقنا وهو يزأر زئير الاساد . وقد طغى وبغى ولا طغيان ثمود وعاد . اذا اصطدم بالصخر فتت منه الاكباد . أو ارتطم بالجبال زعزع منها تلك الاوتاد . وكان يهبط اليه من أعالي هذه الراسيات مجاري الماء من جهتيه كأن هذه الجبال تريد أن تلهيه بها عنها ساعة وتكتفي بها شر تحوله عليها زمنا فكان يتلقفها بأنيايه ويتلعها بين شخيره ونخيره . فاذا اهتضمها زادت في قوته وصولته فهمهم ودمدم . وحجم وبرطم . وظهر عاجه . وانتفخت أوداجه . ومازلنا نصعد على ضفته الى مصدره وكلنا سرنا رأيناه وقد تناقص ماؤه . وقلت غوغاؤه . حتى وجدنا الوادى قد انقل امامنا وفي نهايته ( زرمات ) وهي بلدة صغيرة منقسمة الى قسمين . قسم للاهالى ومنازلهم من الخشب السميك الذي يبلغ سمك حوائطه خمسة عشر سنتيمتراً وهي مركبة على أعمدة من الحجر أو من كتل الخشب يبلغ ارتفاعها مترا لمنع الرطوبة وماء الامطار عنها .

والقسم الآخر وفيه اللوكاندات الفاخرة التي ارتفعت أركانها . ونغم بنيانها . وحسن منظرها وتوفرت فيها أسباب الراحة للسائحين والسائحات . والباحثين منهم والباحثات . في طبيعة هذه الجبال وتلك الثلوج وما يحيط بها من الجليد الذي هو من اكبر أسباب الحياة بأوروبا وينتفش برؤيته القادمون عليها لتغيير الهواء والتطيب تحت جوها الصحيح اللطيف أو اللاجئين الى قرها من شدة الحر . فحمدنا الله على سلامتنا وبتنا في احدي لوكانداتها وهنالك رأينا فرقا كبيرا بين درجة الحرارة التي كنا فيها على بحيرة چنيش صباح يومنا وقد بلغت ٣٥ فوق الصفر وبين هذه التي وجدنا فيها زرمات ودرجاتها تختلف من ٤ الى ٨ فوق الصفر ليلا أو نهاراً وارتفاع هذه البلدة عن سطح البحر

١٦٢٠ متراً وعلى ذلك يكون ارتفاعها عن (قرب) ٩٦٧ متراً على منحدر  
طوله ٣٦ كيلومتراً

### ﴿ جبل جرنار جرات ﴾

وفي صباح اليوم الثاني ركبنا ترامواياً كهربائياً وصعدنا به قاصدين قمة  
جبل جرنار جرات وهذا الطريق لا يستعمل الامدة الصيف لكثرة الصواعق  
التي تنهال عليه والاطار التي تحرق به زمن الشتاء والربيعين. وما زال صاعداً  
بنا على أقواس يتلو بعضها بعضاً طول أوتارها ٨٠ متراً وانحدار ميلها ١٧ في  
المائة ماراً بأنفاق قد نقت له في جوف الجبل حتى مررنا على كوبري من  
حديد وصل سلسلتى جبلين ببعضهما وقد غارت الصخور من بينهما ونزل في  
غورها مجري ماء كبير سقط من قمة أحدهما بازاء هذا الكوبري على  
هيئة شلال ارتفاعه نحو ثمانين متراً وقد دوت لدويه الجبال . واعرانا من  
شدة رهبته وصولته هيبته أهوال وأي أهوال . وبيننا القطار يسير على هذا  
الكوبري الذي طوله مائة متر وقد تحرك بحركة قلوبنا التي انتفضت من  
الهلوع وارتج برجتها وضجتها . سكنت نفوسنا أمام هذه الاخطار المحيطة بها ورأت  
بعين أوهامها قرب منيتها وما كادت تسلم سلاحها حتى خرجت بها العربات  
ظافرة من جو هذه الهاوية الهائلة .

وقد وضع تحت شلال هذا المجري آلات قوتها ٦٠٠ حصان يديرها  
ضغط الماء لتوليد الكهرباء التي تنير المدينة . والى هنا تنتهي الاشجار التي  
غمرست على ميل الجبل وهي في زهرتها ونضرتها . ثم استمرينا في طريقنا  
حتى وصلنا محطة (ريف الب) وهي على ارتفاع ٢٢٢٠ متراً وفيها لوكاندات

لأكل ونوم السائحين وفيها بعض الاشجار وقد احمرت قشورها وصارت كراش  
الاصلع ليس عليها من ورقها الا ما ينبئك بحياتها وان كانت في عداد  
الاموات .

ثم أخذ القطار بنا سيره ماراً من هضاب الى صعاب حتى وصلنا الى محطة  
( ريفل برج ) وهي على ارتفاع ٢٥٧٥ متراً وفيها طريق آخر حديدي الى ( ريفل  
هورن ) وارتفاعها ٢٩٣١ متراً ولم نزل سائرنا على طريقنا حتى وصلنا الى  
محطة جرنار جرات وارتفاعها ٣٠٢٠ متراً وهي نهاية الطريق الحديدي ومنها  
صعدنا على أرجلنا بين الثلوج التي كانت تغطي بعض طريقنا نحو نصف ساعة  
حتى وصلنا الى لو كاندو موضوعة على قمة الجبل وكان الجو صحوا والهواء  
لطيفاً جداً .

وهناك رأينا الجبال التي أشرفت على هذا الوادي من جميع جهاته وقد  
هوى من تحتها الى حيث لا يراه الرائن وكأني بها وقد هالها منظره  
وتوجست خيفة السقوط اليه أو فيما أحاط بها من مستودعات الثلوج ذات  
اللون السنجابي قد شابهته زرقة خفيفة ( وعددها أكثر من خمسين ) فشابت  
نواصيها وجمدت دماؤها في عروقها الا ماتسيله منها شمس النهار بوخز أسنة  
أشعة حرارتها فينزل الى حيث مجرى النهر وقد انقص من حياتها ليكون  
حياة للعالم المتحرك . وكان امامنا جبل يقال له جبل الروز ( الورد ) وكأنه  
كله قطعة من ثلج ولقد رأيت في بعض جهات منه بعض أعشاب أرسلت  
أصولها اليه لتبحث في هذه المنطقة المجذبة عما يقوم بأودها فقابلتها الثلوج  
بأفواه امتصت دماءها التي تقوم بها حياتها فاصفر لونها وذبلت نضرتها  
ومكثت مكانها بين الحياة والموت . وبينما أنا أشاهد هذه المناظر الجميلة دعاني

أحمد صبحي وأعطاني منظاره وقال لي انظر الى جهة كذا فشهدت أناسا  
يمشون على هذه الثلوج قاطعين عليها طريقهم من جهة الى أخرى بمراكيب  
ضخمة نعلها من الفلين قد غطى سطحه الذي يلامس الارض بمسامير كبيرة  
لترفعه عنها وفي أيديهم عكازهم وأمامهم مرشدهم ولا أدري لم ذلك  
التعب والنصب وليسكنها رغبة في القوم تدفعهم اليه وهم على يقين مما هنالك من  
المشاق والاضطراب . وكان صعودنا بالطريق الحديدى الى هذا الجبل فى مسافة  
ساعة وأربعين دقيقة . وبعد ان تغدينا فى هذه اللوكاندة وزودنا الطرف من  
جمال هذه المشاهد مرة أخرى هبطنا الى زرمت من حيث كنا صعدنا وركبنا  
وابورالسكة الحديدية البخارية الى فيبيج ومنها الى محطة بريج والمسافة بينهما ٢٢  
كيلومتراً وهذه المدينة ترتفع عن سطح البحر بمقدار ٦٧٠ متراً وهى  
آخر محطة حديدية فى وادى الرون وعدد أهلها ١٢٠٠ نفس وهى وان  
كانت صغيرة الا أنها لطيفة المنظر حسنة النظام والوضع فبتنا فيها ثم ركبنا  
منها عربات صباح اليوم الثانى قاصدين مستودعات الجليد التى يتولد منها نهر  
الرون وتسمى بالفرنساوية ( جلاسيه دورون ) وهى منها على مسافة خمسين  
كيلومتراً .

فسرنا باسم الله فى مبدأ الساعة التاسعة صباحاً بطريق بين جبلين كان  
خطه نابليون الاول سنة ١٨٠٠ وبعد قليل رأينا مجرى ماء ينزل من الجبل  
وليسير معنا فى قناة من الاسمنت ارتفاعها نحو مترين وعرضها مثلها تقريبا  
وطولها على طول طريقنا حتى انتهت بأن دخلت الى فتحة من الجبل المقابل  
لها مخترقة نهر الرون وهذه الفتحة هى نفق جديد يشغل القوم بثقبه تحت  
الجبل ليوصل الى سكة حديد ايطاليا من الجهة الاخرى فاذا دخل اليه ذلك

الماء أدار تياره آلات تقطع تلك الصخور دون احتياج الى عامل يضرب بمعوله وبقرمته . أو صانع يقطع بأزميله ومطرقته . ويقال ان هذا النفق أكبر انفاق الدنيا طولا وينتهي من عمله بعد أربع سنين ويسمى نفق سانبلون باسم الجبل الذي يخترقه .

ومازلنا سائرين حتى وجدنا طريقا يرتفع على الجبل بشكل حلزوني تقريبا فلما بلغنا الى قمته سرنا عليها قليلا ثم نزلنا الى واد آخر ولم نزل نجد السير مدة ساعتين حتى وصلنا الى قرية ( فيش ) وبها نزل العرجية وطلبوا جرادل وخبزا قطعوه فيها لقماء وأطعموه خياهم ثم سقوها . ورثما استراح الخيل قاموا بنا من هذا المكان الذي به بعض اللوكاندات للسائحين . وفيها بوسنة تأتي اليها عربات الامنيوس ( واسمها ديليچانس ) وبجوار هذه القرية نهر يسمى باسمها وهو ينزل من مستودع ثلوج على رأس جبالها ويصب في الرون . ولما وصلنا ( مونشنز ) تغدينا فيها ثم أخذنا طريقنا مجددين السير حتى وصلنا لوكاندة ( الجلاسييه دورون ) في منتصف الساعة الخامسة مساء وهي على ارتفاع ١٨٠٠ متر فوق سطح البحر . وما هي الا بضعة دقائق نفضنا بها عنا وعشاء السفر حتى ذهبنا الى الجلاسييه وهي مستودع الجليد التي يخرج منها نهر الرون وتبعد عن اللوكاندة نحو ربع ساعة وهي عبارة عن جليد تراكم على بعضه في دخلة بين نهائتي فرعي الألب اللذين ينتهي بهما هذا الوادي ومنظرها من قرب كالجبر المطفأ قد غير سطحه ماثيره عليه الرياح من التراب وعلى هذا السطح المائل ثقب قد شقها يد الحرارة فأسالت منها الماء الذي ينزل من وسطها الى ما يلاصق الارض وهناك يتكون على بعضه وينتذف من مخرجه الذي أحدثه بقوته في أسفل هذا المستودع على شبه مغارة طبيعية بحركة



سريعة وصوت أشبه بصوت الرعود وهنالك ترى تيار هواء شديد يخرج من المغارة درجة برودته الى ماتحت الصفر بكثير . وقد سقط في هذه القبوة كتل كبيرة من الثلج الذي هو أبيض من نفسه لان بياضه لا يشبهه الا ما قام به من شفافية لونه مما لا يماثله شئ في ناصع صفائه ولذلك يضرب به المثل فيقال ( أبيض من الثلج ) وهذه الكتل قليلة السيجان في الماء الذي أحاط بها لانه في درجة برودتها تقريباً ولذلك تراها وقد ألقى بها وسط تياره الشديد كأنها قطع من صخر لا تتأثر الا بما يرقه منها بشدة حركته .

ومنظر سطح الجليد من داخل هذه القبوة مائل للزرقة الصافية الشفافة البراقة اللماعة وكذلك منظر الثقوب التي على سطح المستودع من داخلها .

وفي جانب هذه الجلاسيه ( الثلج ) مغارة صناعية قد حفرت فيها يبلغ طولها ٣٠ متراً ونصفاً وارتفاعها متران تقريباً وتنتهي بشبه أودة صغيرة فدخلنا بها الى آخرها وكأنها صنعت من البلور الذي سمك حجه وازرق لونه وصفت رؤيته وجمل منظره وكأها قطعة واحدة من الجليد الذي اندمج في بعضه وتماسك كل التماسك حتى اذا وضعت يدك على سطحه لا يصيبها منه الا ما يعترها من ملامستها بشئ شديد البرودة أو الحرارة وليس هو منها مغارة ففسوجن نسبة للذي صنعها . وهذا المستودع لا يعرف تاريخ تكوين الجليد فيه وهو يتبدى من سطح الجبل الى أسفله وبياضه يزيد في الشمس كلما ارتفع سطحه أما اذا حالت بينه وبينها سحابة فتراه وقد عم لونه وزادت زرقاته حتى اذا ما انقشعت رجع الى بياضه الناصع الذي يخطف البصر وتجار فيه الفكر . وفي نهاية سطحها الراسي ترى كتلا عظيمة من الجليد أشبه شئ بالصخور يتلو بعضها بعضاً ويختلف ارتفاعها من ١٥ الى ٢٠ متراً وقد انشق من تحتها

سطحها الذي قامت عليه الى جملة أثلام هائلة يؤدي بعضها الى أسفل هذا المستودع  
ومن تحت هذه الصخور فتحتان تتلو احدهما الأخرى قد انبعث منهما الماء  
على شبه فوارات شديدة . ولم يكدينفذ منهما حتى يسقط بين أثلام كبيرة  
الى أسفل الجلاسييه . وهاتان الفتحتان قد انفجرتا حديثاً وزاد بهما ماء الزهر  
زيادة عظيمة عن ذي قبل ولذلك اهتمت الحكومة السويسرية بهذا الامر  
وأرسلت لجاناً علمية للبحث عن علة هذا الحادث الجلل وهي الآن مشغولة  
بمأموريتها .

فلما صعدنا الى لوكاندة بلقيدير ومعناها ( المنظر الجميل ) التي في أعلى  
الجلاسييه ( ثالث يوم ) صعدت الى الجهة التي تسمح لي برؤية سطحها على  
الجبل وتبعد عن هذه اللوكاندة بنحو عشرين دقيقة فرأيت منظرها جميلاً قد  
امتد أمام عيني الى مسافة بعيدة وكأن قد فرش سطحه بالثلج الناصع وفيه  
بعض أثلام صغيرة لاتعوق سير من أراد المشي عليه فسبحان من أنزل هذا  
الماء من السماء ثم حشره في تلك المخازن وجمده فيها ثم أرسله منها بقدر  
معلوم ليكون حياة خلقة ومظهراً لتدبيره الاقتصادي فيهم وهو من معنى قوله  
تعالى ( وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم ) فسبحانه جل  
قدرته . وعظمت حكمته .

✽ من جلاسييه الرون الى هاندك ✽

وفي صباح ٢٦ يوليه ركبنا عرباتنا وصعدنا في طريق الى أعلى الجبل وهو  
على شكل حآت قد اتصت أذيالها برؤس بعضها وحدة زواياها وانفراجها  
بحسب الميل الذي يسمح للعربات بالصعود عليها وهو من ١٥ الى ٢٠ في المائة

وما زلنا حتى صعدنا الى ممر بين مرتفعين يقال له ممر جريمزل وهو يرتفع  
عن اللوكاندة بنحو ثمانمائة متر وهنالك نظرت الى وادى الرون الواسع  
فرايته قد هوى الى حيث كنا نرى الجبلين اللذين يكتنفانه قداً اتصالاً ببعضهما  
من أسفل والنهر كأنه حية بيضاء تنساب على نقط اتصالهما ونحن وان كنا لم  
نميز عند ذلك مسيره الا أننا كنا نسمع خريره. وهذا الوادى زمن الشتاء تغطيه  
الثلوج الى ما يرتفع عنه عشرين متراً من سطح أرضه وفي هذه المدة تلبث  
اللوكاندة المذكورة تحت سطحه وقد فرّ منها أهلها وأحكموا سد شبابيكها  
ومنافذها وأبوابها بعد ان حشروا فيها أحداً الخدمة ومعه ما يلزمه من اكله وشرابه  
ونوره وناره ليمتعها اثاثها ومتاعها طول هذا الفصل البارد. وهو كأنه العالم  
الحى وحده ليس له من انيس ولا جليس سوى كلبه الذى يلقى به معه فى هذه  
المقبرة ولا يزالان بها حتى يشتد ساعد الحرارة الجوية فيقوض دعائم ما بنته  
البرودة عليها من أسوار ذلك الجليد. ثم سرنا به هذا الممر تقطع به الجبل الى  
طرفه الآخر وقد أحاطت بنا الثلوج من جميع الجهات وكانت كتلتها يبلغ  
سمكها مترين وان كانت تصل فى زمن الخريف الى عشرين متراً. ولقد مررنا  
ببحيرة على سطح الجبل يقال لها بحيرة الموتى لما وجدوه فيها من جثث القتلى  
حيث كانت هناك موقعة حربية بين الفرنسيين والنمساويين سنة ١٧٩٩  
ولما وصلنا الى الطرف الآخر وجدنا طريقاً منحدرًا وهو أول حدود  
ولاية برن (من ولايات سويسرا) فأنحدرنا اليه وهنالك وضع العرجية قطعة  
من الحديد تحت احدى العجلتين المؤخرتين من عرباتنا لتمنعها من الانزلاق  
وكانت الشمس حارة وان كان الجو بارداً فحيت حوافى الصخور على ما تحيط  
به من الثلوج فأذابت منها ماء فاتراً أخذ يتساقط على صخور أخرى نازلاً الى

بحيرة في الوادي الذي نهبط اليه واسمها بحيرة جريمزل . وفي أثناء نزولنا  
كنا نرى جبالاً أخرى قد ارتفعت على الجانب الآخر لهذا الوادي وفيها  
مستودعات الجليد التي يخرج منها نهر الآر وكان منظرها موحشاً جداً حيث  
ما كنا نرى الا صخوراً تتلوها صخور وحجارة تعقبها حجارة والوادي بلقع  
لا زرع به ولا نبات اللهم الا بعض النباتات الطفيلية التي تنبت على بعض جهاتها  
التي عليها طبقة خفيفة ترابية فلما وصلنا الى أسفل الوادي رأينا البحيرة المذكورة  
عظيمة وقد صفا ماؤها وبعد غورها فنظرت اليها فرأيت الجبال التي تحيط بها  
قد انعكست في مرآتها واتصلت بالسماء من جهتها أعلاها وأدناها فتصورت  
اني في مركز العالم العلوي وهذه الجبال قطر وصل بين طرفيه ولم أستطع ان  
ألوى بصري برهة عن جمال هذه المشاهد التي يشعر المرء بلذتها ولا يقوى على  
كمال وصفها .

فقطعنا البحيرة الى شاطئها الآخر بواسطة قنطرة خشبية وهناك  
قيمت لوكاندة قد سميت باسمها وترتفع عن سطح البحر ١٨١٧ متراً وتبعد  
عن نزلنا بنحو تسعة كيلومترات قد قطعناها في ساعتين تقريباً . ويخرج  
من هذه البحيرة مجري ماء ان لم يكن مبدأ نهر الآر فانه يصب فيه قريباً  
من المجري الذي ينزل من المستودعات الجليد التي سميت باسمه فلما خرجنا  
الى وادي الآر سرنا على الشاطئ الايمن من النهر الذي ابتداءً صغيراً ولم يلبث  
ان كبر حجمه وضمخم جسمه مما يلقي فيه من مجارى المياه التي تنزل اليه من  
الجبال المحيطة به وكنا نخال ان بعضها وقد نزل بين عجيجه وضجيجه انقض  
من علاه على طريقنا فقطعها علينا حتى اذا وصلنا اليه وجدناه قد سقط في حفرة بجانب  
طريقنا ومر من قنطرة تحتها الى النهر . ومازلنا سائرين حتى وجدنا الجبل

قد انمطف علينا وانحني على رؤسنا غير مرتكز على شئ من الجهة الآخري  
كأنه أراد ان يظلمنا من حرارة الشمس ولكننا لم نقابل منه هذه اليد البيضاء  
الابحوفنا مما عساه ان يسقط علينا منها فنصادف منه ماناله صاحب الدب .  
من هذا المحب . الذي أراد به خيراً فساق اليه بحمقه شراً . ولم نزل في هبوطنا  
حتى وصلنا الى الوادي الحقيقي وفيه بعض أشجار الصنوبر .

وهذه الجبال التي قطعناها كلها من الصخور والجرانيت ( الصوان )  
الازرق والرمادي والاصفر وعرض الطريق عليها يبلغ خمسة أمتر أعني  
انه يسع عربتين تمران بجوار بعضهما وهو مرصوف جيداً وعلى جانبه الخالي  
حاجز من الخشب تثبت على قواعد من الحجر نازلة في حائط مبنية على طوله  
الى مايلي مسقطها من الجبل لتحفظه من الاختلال أو الانهيار وعليه أناس  
يصلحون ما اختل منه

وما زلنا سائرين حتى وصلنا الى نزل هاندك وهو على ارتفاع ١٣٨٠  
متراً فاسترحنا بعض دقائق ثم توجهنا لمشاهدة جمال شلال نهر الآر وهو  
على مقربة منه وكنا في سيرنا اليه نسمع دويًا هائلاً حتى اذا ما وافيناه رأينا ماء  
النهر قد سقط من مهده عن ارتفاع ٧٥ متراً الى لحده وقد أرغى وأزبد في  
سقوطه وصارت كتلة مائه كالعهن المنفوش والتقى أثناء هبوطه بنهر آخر  
يسمى ايرلنباخ قد أتى من على يساره وسقط معه في مهواته وهو كأنه نشارة  
الفضة في لونه أو برادة الماس في صفائه فلما اتصلا أثناء سقوطهما وثبا على  
بعضهما وكأني بهما وقد أخذ كل باطواق الآخر وكثر بينهما اللجاج والهياج  
وعلا منهما الصياح والنواح فما كنت تسمع الا زجرة الرعود . أوزثير الاسود .  
ثم اشتد منهما الهرج والمرج واستعرت نار الحرب بينهما وارتفع منهما دخان

أبيض مكوّن من ذرات الماء وقد أحاط بجوها حتى حجبهما عن أبصارنا وعلّا  
بعضه الى وجوهنا فرطب من حرارتها وكأني بعين شمس الظهيرة أرادت أن  
تبصر من أمرها ما قصر عنه نظرنا فأرسلت بأشعتها تحترق هذا الدخان  
اللطيف فانعكست في مرآته وأحدثت به ثلاثة أقواس قزح مدرجة فوق  
بعضها فأستناب عجيب تكوينها . وجميل ألوانها . وبديع رواثها . وساطع  
سناها . النهرين وما بينهما . والمتحاربين وما بلغ من أمرهما ( ومنظر هذه  
الأقواس لا يشاهد الا من الساعة العاشرة صباحا الى نهاية الاولي بعد الظهر  
وفي صحوة الشمس طبعاً ) فله هو من منظر سلب الانظار بباهر جماله .  
واستهوى الافئدة بمظاهر جلاله . وحوير العقول بعديم مثاله . وأطاش الاحلام  
بعظيم شلاله . الذي ارتجت لهول خريره الجبال ودوى له جوّ هذا الوادي  
واصفر لبأسه وجه هذي الصخور التي يمر بها أو عليها . أما أنا فقد وقعت أمامه  
موقف الحيران وقد ذهل لبه . وجمد قلبه . لا أدري اذا كنت في أرض  
أو على سماء . أو بين سلطنة الجبال أو امام سلطان الماء . ولبثت مندهشاً  
من هذه الطبيعة التي كانت تترا آى لي أحياناً وقد لبست رداء ضعفها امامي  
واستكانتها لعظمتي حتى إخالني وأنا ذلك القوي المقتدر على كل شيء وقد  
خلقني الله تعالى على صورته . أمثل للعالم عظيم قوته وقدرته . ثم لم ألبث أن  
أراها وقد ظهرت لبصري بهذه القوة الفائقة التي لا يحدها بيان . ولا يصل  
الى تصويرها جنان . فتصغر نفسي في عيني حتى لا أكاد أراها . ويظهر لي  
ضعفي تجاه قواها . وازاء سلطانها وعلاها . حتى اتصور اني لاشيء وكان وجودي  
امامها عدم .

ثم التفت الى من حولي من السائحين والسائحات . المتفرجين منهم

والمتفرجات . فوجدتهم وقد خرست منهم الالسننة والتوت أيديهم على صدورهم وهم يتفكرون في كمال هذه المشاهد ويقولون في أنفسهم معي لايدان لنا أمام هذه القدرة العالية . والقوة اللامتناهية .  
وبعد ان متعنا النظر من جمال تلك الطبيعة الفاتقة عدنا الى اللوكاندة وتعدينا بها ثم رجعنا الى لوكاندة جلاسييه دورون حيث بتنا فيها .

﴿ من جلاسييه دورون الى اندر مات ﴾

وفي الساعة التاسعة من صباح اليوم السابع والعشرين ركبنا عرباتنا وصعدنا على الجبل المقابل للذي صعدنا عليه بالامس وما زلنا سائرين بين مرتفعات ثم منخفضات حتى وصلنا بعد ثلاث ساعات تقريباً الى لوكاندة بلقيدير وهي على ارتفاع ٢٢٠٠ متر ومنها رأينا منظر الجلاسييه المذكورة على ما ذكرته لك في وصفها وهناك كان الجو بارداً جداً مما يبلى الجلاسييه يصل الى بعض الدرجات فوق الصفر . وبعد ان تعدينا بها سرنا في طريق فوركه وقد هوى الوادى من تحتنا حتى وصلنا الى مكان يسمى ( أوبر الألب ) وبه لوكاندة سميت باسمه وارتفاعها ١٩٦٤ متراً ولم نزل سائرين بل صاعدين والوادى يرتفع معنا حتى اذا ما اتصل سطحه بسطح الجبلين ووصلهما ببعضهما قام على نقطة اتصاهما لوكاندة تسمى لوكاندة ( ١ ) فوركه وارتفاعها ٢٤٣٦ متراً . وموقعها الطيف جداً

( ١ ) قد رأيت بهذه الجهة عين ماء تخرج من الجبل وكأنه اللجين في صفائه والثلج في برودته فشربت منه بيدي ( ولم اكن عطشاناً ) فوجدت انه أحلى ماء شربته في حياتي على اني لم أشاهد فرقا كبيراً بينه وبين عيون سويسرا أو النمسا التي أرى انها اكثر عذوبة من ماء النيل الذي نضرب به المثل ونظن انه ولا غيره في القارة الارضية .

بين جبلين شمالها وجنوبها وواديين شرقيها وغربيها ويقصد هذه الجهة كثير من الناس لتقاوة هوائها وجمال مناظرها . ثم يهبط هذا الوادي الجديد ونهبط معه وهناك تتسع منطقة الجبال وتظهر قممها وقد لبست من الثلوج لباساً أبيض وقد علت على رؤسنا علواً كبيراً ونزلت بميل حتى تقابات مع بعضها من أسفل لتكون مجرى نهر الرين الذي يتدفق فيها من الماء الذي ينزل إليه من جوانبها . أما منظرها فهو وان كان موحشاً فليس كئيباً لما عليها من النباتات التي تغطي أغلب صخورها وهناك ترى جلاسيه (ايغل) التي هي أكبر أمهات النهر المذكور .

وقد شاهدت بين هذه النباتات كثيراً من الازهار المختلفة الاشكال والالوان وبينها نبات الخلة المعروفة عندنا . وبودرة العفريت وفراخ أم على وغيرها . ولما نزلنا الى أسفل الوادي مررنا على قرية هوسبنتال وهي وان كانت صغيرة الا أنها لطيفة ونظيفة وفلاحوها يضعون في منافذ بيوتهم التي من الخشب زهريات جميلة وهناك تظهر الغابات التي غرسها القوم على جوانب الجبال وبعض المروج التي تتصل بها ومازلنا نسير في طريق منتظم كأنه خط بالمسطرة وسط هذا الوادي حتى وصلنا الى مدينة اندرمت التي هي في نهايته وقد أقل شرقيها بجبل مستعرض والمسافة التي قطعناها بين جلاسيه الرين وهذه المدينة ٤٣ كيلو متراً . وشكل هذا الوادي مثلث على رأسه قرية هوسبنتال التي مرّ بك ذكرها وفي منتصف قاعدته مدينة اندرمت وهي جميلة الشكل لطيفة البنيان عدد أهلها يبلغ ٨٠٠ نفس وبها كثير من اللوكاندات الجميلة التي ليس لها مثل في نظامها ووضخامة بنيانها وغالى أثارها الا في المدن الكبرى وهي مركز حربي مهم جداً لكونها على مقربة



من ايطاليا ويقسمها نهر الرين الى قسمين وهذه المدينة على ارتفاع ١٤٤٥  
متراً فوق سطح البحر .

﴿ من اندر مات الى جوشن ﴾

وبعد أن أمضينا ليلتنا في هذه المدينة ركبنا عرباتنا صباحاً وتوجهنا الى  
جوشن التي هي على خمسة كيلو مترات منها فررنا من بوغاز بين جبلين يسير  
فيه نهر الرين . وقد أقيم على هذه الجبال مما يليه القلاع والحصون التي لا يمكن  
للعين أن تراها أو تعين نقطها مما أحاط به من الصخور . وهذه القلاع مشهورة  
بأنها أحسن شئ في نوعها وليس بمسموح لأحد زيارتها ومازلنا سائرين على  
حافة النهر نخترقه من شاطئ إلى آخر على حسب ما يتيسر لنا المرور في هذا  
الطريق الضيق حتى وصلنا الى قنطرة عليه وقد سقطت مياهه من تحتها كتلة  
واحدة على هيئة شلال وقد أرغى وأزبد وهاج وماج كمن به جنة وارتطم بباقي  
الصخور التي وقفت له في مسقطه الذي تبلغ مسافته ٣٠ متراً فيسمع لها صوت  
هائل ترده الجبال وترده الى اسماعنا فيكاد يصمها وهذه القنطرة تسمى  
بقنطرة العفريت وقد بنيت في سنة ١٨٣٠ ومن تحتها قنطرة أخرى مكسورة  
وعن يمينها أناس ينحتون في بطن الجبل أثراً من الصخور على هيئة صليب  
يبلغ طوله ١٢ متراً وهو أثر لذكرى الطيب الذكر القائد الروسي سوواروف  
الذي اتحد بجيشه مع النمساويين وأتى بين أغسطس و ستمبر سنة ١٧٩٩ لمحاربة  
الفرنساويين وأمر جانباً من جيشه في هذا المضيق بمداخمة عدوه المتيقظ فلما  
عبر القنطرة المذكورة نسفها فرنساويون وأوقعوا بهم ايقاعاً عظيماً حتى أفنواهم  
عن آخرهم وكان عددهم نحو أربعة آلاف نفس وان كانت انتهت الحرب بعدها

بهزيمة الفرنسيين من جهة أخرى .

ومازلنا سائرين حتى وصلنا الى جوشن وهي مدينة صغيرة لطيفة جميلة على ارتفاع ٩٠١١ متراً وبها محطة سانت جوتار الحديدية «التي يبتدئ خطها من لوسرن وينتهي الى فلولن من أعمال سويسرا» وبجوار هذه المحطة مدخل نفق سان جوتار المشهور .

وهو أكبر أنفاق العالم الحاضرة وقد نقر في الجبل من جوشن الى مدينة ايرولو على طول خمسة عشر كيلومتراً تقريباً وعرضه ثمانية أمتار وارتفاعه ستة أمتار ونصف وهو مرتفع من وسطه ومنحدر من طرفيه وانحدار طريقه يبلغ ٦ في المائة ونقطة الوسط منه ترتفع عن سطح البحر ١١٥٤ متراً وطبقة الجبل التي تعلوه تبلغ ١٠٨٢ متراً وقد ابتدأت الحكومة السويسرية في عمله من يونيه سنة ١٨٧٢ وانتهت منه في فبراير سنة ١٨٨٠ وكان عدد الذين يعملون فيه كل يوم ٢٥٠٠ نفس وبلغت مصاريف عمله مليونين وأربعمائة ألف جنيه انكليزي تقريباً .

فشأقتي رؤيته خصوصاً والفرصة متوفرة فاستأذنت صبحي وقطعت تذكرة من جوشن الى ايرولو وركبت قطار السكة الحديدية اليه .

### ﴿ نفق سان جوتار ﴾

تحرك بنا القطار من محطة جوشن التي هي على بابها شمالاً فدخلنا من هذا الباب وقد اسودت وجهته من دخان الواورات فكانت أول مخبر بسواد طريقنا فيه على رأى المثل المصرى ( الخير يظهر على الضبه ) وبمجرد مرورنا من تحت قبوته أخذ النور يذهب . والظلام يتغلب . كالليلة الليلية أسرع في

سيرها وضربت علينا أطنابها . وما هي اللمحة بصر حتى أحاطت بنا الظلمات .  
من جميع الجهات . وانبعث من العربات . نور لا ضوء له يكاد لا يرى المرء به  
الا من كان بجانبه وقد ساعدته على الحكيم بوجوده حاسة لمسه . فسرنا في  
هذه الظلمات التي بعضها فوق بعض وقد استولى علينا سلطانها . هنالك خرست  
الألسنة . ووقفت حركة أجسامنا كأنها في سعة . وما كنا نشعر الا بهول حركة  
القطار . التي يتردد صداها في جميع الاقطار . وهو يسير بعجلته المشهورة . الغير  
مشكورة . وقد علت شدة صرير عجلاته بلامستها للقضبان . واتصلت بها ضربات  
القلوب فأصمت الآذان . وأذهلت الجنان . وشيبت هذا الانسان . الذي  
انما كان يتصور وهو في أقصى ما بلغ من خوفه . أنه مسوق الى حتفه . الذي ساقه  
لنفسه بظلمه . عين تنظر ولا تبصر . وبصيرة تأمل ولا تشعر . لاسماء ولا ماء .  
ولا جو ولا أرض . ولا طول ولا عرض . اللهم الا خوفا يزداد . وكروبا  
على الدوام في اشتداد . وبينما كنا نسير والهلع رائدنا . والجزع مرشدنا . كنا نرى  
من ثقب الامل بين كل كيلومتر وآخر مصباحا وجد في جدار النفق وقد  
خفق قلبه واصفر لونه وجثا امام دولة هذه الظلمات كأنه يعترف لها بسلطتها  
عليه وكأنه لم يئوت به الى هذا المكان . الا ليظهر ما لها من عظيم الدولة وقوة  
السلطان . الذي لا تحمد نهائة . ولا تصل الى منتهاه غاية . ولقد ملحت بجوار  
احداها رجلا من عمال الدريسة قد وقف في زاوية ويده مرزبة . فظننته  
أحد الزبانية أتى ليندنا بقرب دار البوار . التي نساق اليها على أجنحة البخار .  
وفي اثناء سيرنا كان نور مصابيح العربات ينعكس على جدران النفق فيظهر  
في جو هذه الظلمات كأنه القمام . يزيدا ظلاما على ظلام . ولقد ورد في  
خاطري أنني أخرج الى ممشاة العربة من خارجها حتى أقف في جو هذه

الظلمة ولا حائل بيني وبينها كيلا أرى من أمرها ما لم أراه داخل العربة. وريثاً  
فتحت بابها الموصود كاد يلقىني تيار الهواء الذي دخل فيه وان كان اطار  
قبعتي من على رأسي الى داخلها فتناوتها بيدي وخرجت أتخبط في مشيتي  
كالسكران اذا ضربتني حافة الباب من جهة قابلتي الأخرى بمثلها أو بأقسي  
منها فأمسكت يدي بدرفة وأخذت الأخرى تبحث عن سياج المشاة لا تحصن به  
وأنا في حيرة الأعمى يبحث عن عكازه الذي سقط من يده وهنالك رأيت كأن  
كف الظلام السوداء قد امتدت الى وسط غوغاء حركة الوابور الجهنمية  
وأرادت ان تقبض علىّ وتجذبني اليها وتلقى بي في هاوية من هاوياتها فأحاط  
بي دخان الوابور وحال بيني وبينها وهو يقذف على وجهي قذائف من قطع  
الفحم كأنه يشير الىّ ان أرجع الى حيث أتيت شفقة علىّ ورحمة بي فزاد قلقي  
وتفاقم امامي خطبي. ولكن حب استطلاعي منظر نهاية النفق كان يضاعف  
في قوتي. ويقوى من عزيمتي.

وبينما أنا غارق في بحار الاوهام. حائر في تيه هذا الظلام. واذا بضوء  
ضعيف قد انبعث من فم النفق يخطف الابصار بسنائه. وكأنه سيف جردته  
يد الفجر على جيوش هذه الظلمة الكشيبة التي أخذت تهرب بسرعة ويد  
النور من ورائها وقد تغلبت عليها وما هي الا لحظة بصر حتى خرجنا من فتحة  
النفق الأخرى وقد فاجأ عالم الحياة ابصارنا فشهدنا بعين المستيقظ من نومه  
الطويل قد احاطت به الاحلام المفزعة ونحن بين اشراح صدور. وكمال فرح  
وسرور. سماء صافية. وشمساً زاهية. ومناظر باهية. وغابات باهرة.  
ومروجاً زاهرة. وكانات طائرة. ثم وقفنا على ديار عامرة. وهي ( محطة  
ايرولو ) ظهرت في أفق أرضفتها وجوه نضرة. قد ابتسمت عن ثغور عطرة.

كانها تهمتنا بسلامتنا من هذه السفرة الخطرة .

ومسافة ما بين هاتين المحطتين ٢٥ دقيقة بسير الوابور داخل النفق المذكور . وبعد ان استرحت قليلا في هذه المدينة اللطيفة التي يبلغ عدد سكانها نحو ٢٠٠٠ نفس وهي تابعة للحكومة السويسرية وارتفاعها عن سطح البحر ( ١١٤٥ ) متراً . ركبنا قطارا آخر وعدت الى مدينة جوشنن وبها اجتمعت على رفاقي واخبرتهم بشيء من امرى ثم صعدنا على مرتفع يشرف على مدخل النفق لنزود منه ابصارنا فرأينا قطار الاكسبريس قد اقترب منه وبمجرد ما وصل الى مدخله رفع عقيرته . واسمع صفارته . اعلانا للركاب . بدخوله من هذا الباب . وعند ذلك انساب فيه ولا انسياب الحية تحت ستار دخانه الذي ملاء الجو المحيط بمدخل النفق . ثم عدنا الى اندرمت حيث قضينا بها ليلة ثانية . وهذه المدينة لها طقسان . الشتاء ومدته ثمانية اشهر . والصيف ومدته أربعة اشهر ويتقلب هذا الاخير احيانا بين طقسى الربيع والخريف وهو فيها لا يخلو من الثلوج والامطار .

﴿ من اندرمت الى ايلنس ﴾

وفي صباح يوم ٢٩ ركبنا عرباتنا الساعة الثامنة ميممين مدينة ايلنس فصعدنا الجبل الشرقى وكنا كلما صعدنا هبط الوادي والجبل لا يتغير ارتفاعه في أعيننا حتى اذا ما وصلنا الى ارتفاع ألف متر من المدينة نظرت اليها فوجدتها كأنها خريطة جغرافية قد بسطت على مكانها ثم اتجهنا الى واد بين جبلين شاهقين فرأينا عليهما كثيرا من قطعان البقر والشاء مرسلتة في الكلا المباح وقد وضع في عنق كل منها جرس حتى اذا ابتعدت عن راعيها عرف موضعها

بصوته . وعلى قمة هذه الجبال بعض القلاع وقد تسلطت على هذا الوادي الذي تركناه من تحتنا . ولقد رأيت في أثناء سيرنا قطعاً من الارض قد علمتها طبقة تشبه سبلة الخليل المندمجة في بعضها وهي على ما ظن عبارة عن طبقة طينية نبت عليها بعض الحشائش فغطتها طبقة أخرى من التراب فانطبخت بينهما هذه الاعشاب وحفظت فيهما غازاتها وصار لونها أحمر معتماً فيأخذها القوم ويصنعونها على هيئة اللبن ( الطوب ) ويستعملونها في وقودهم استعمالنا للفحم .

ثم بعد ساعة من سيرنا مررنا على بحيرة أوبر الألب وهي مستطيلة الشكل ترتفع عن سطح البحر ( ٢٠٤٨ ) متراً وقد أحاط بها الثلج من جميع جهاتها ونزل في مياهها فكان على بعد كالميل في الملاحات وفيها فلائك لنزهة السياح ممن يقطنون في اللوكنده التي بجوارها وقد سميت باسمها وعلى حافتها من الجهة الاخرى قشلاقات حربية ومن هناك طريق حربي يصعد الى قمة الجبل حيث بعض المعاقل والقلاع .

ومن ثم أخذنا في الهبوط الى واد آخر وهناك تمخضت تلك الجبال فولدت مجرى صغيراً من الماء يتجه نحو الشمال الشرقى وهو مبدأ نهر الرين المشهور وبه ابتداء ذلك الوادي الجميل الذي سمي باسمه وعلى رأسه قرية يقال لها شاموت مررنا بها وفيها لوكندها سميها ( رين كولان ) أما الجبال فقد انعطفت على النهر الوليد أو الجديد واحتضنته وأقامت عليه في طريقه سياجا منها يمنع الايدي من التناول عليه وقد قامت على شاطئه أشجار الصنوبر كأنها أرادت ان تظله من الشمس خشية ان تجر منه شيئاً ربما ينقص من كتلته . وأمها ته ترضعه من وقت الى آخر من عيونها الصافية وتغذيه من مجارى مياهها العذبة وهو يمشى بينها خطوة خطوة وقد ابتعد عن الحدة والشدة

حتى اذا شب ونما وكبر وضحخ وصار فيه من القوة ما يدفع به غيلة الزمن  
تركته وسيله فسار في ابيهته وسلطانه . حتى اذا وصل الى كولونياريته على ما وصفته  
لك اثناء زيارتي لها . وكانى بيسارك قد أخذ عن هذا النهر سياسته المشهورة  
التي بنى بها لقومه تحت طي الخفاء والسكون من معالم المجد والأبهة والعظمة  
والسلطان . ماظروا به الآن . على من كان أعظم منهم جاها وأكثرمالا وأكبر  
دولة وأعظم صولة من حكومات أوروبا . ونعمت الطبيعة من معلم ماهر وحبذا  
المتعلم منها المتبع في سيره أسرارها الحكيمة .

أما منظر هذا الوادى فرائق شائق قد اتصلت نضرة مروج به بخضرة  
الاعشاب التي نبتت على الجبال التي تحيط به .

هذا وقد صادفنا في طريقنا هذا الوادى أمراً جديراً بالذكر فانا رأينا  
أهل القرية التي تركناها وراءنا مشاة بين نساء ورجال وأطفال قادمين من  
بلدة سدروم وهي تبعد عنهم نحو نصف ساعة حيث كانوا يؤدون صلواتهم  
الاحدية بها ( لان ذلك اليوم كان يوم أحد ) وهم فرحون مسرورون وقد  
نظفت ملابسهم ولطفت أزيائهم والفلاح منهم صارخواجه والفلاحة مادام .  
فسبحان من خصهم بهذا النظام .

فلما وصلنا البلدة المذكورة وجدنا خلقا كثيرا يخرجون من كنيستها  
وكانهم كانوا حشروا اليها فعجبت من تمسك القوم بدينهم الى هذا الحد  
وتذكرت مصرنا والجمعة فيها وقد تخلف عنها بنوها وضعف فيها ذلك الدين  
القويم حتى أصبح مستهجننا عند بعض المتفرجين منهم وأضحى المتمسك به  
ولو اسما ممقوتاني أعينهم مردولا في مجتمعاتهم ملعوننا في قلوبهم التي حشوها  
من السفه والعتة والجهالة مايزيد في شقاؤهم وبلاؤهم . ولقد فشت هذه البدعة

المشؤمة في بلادنا وسار تيار تقليدها فيهم وخصوصا الشبان منهم بسرعة عظيمة وانتقل من الخاصة الى العامة فأريق دم الحياء من وجوهنا وفشت بين ظهر انينا المفسد وارتكبنا كل جريمة . وافتخرنا بكل ذميمة . وكثر فينا التباغض والتحاسد فاحلت رابطننا . وأفل نجم سعودنا . وتكدر صفو الايام أماننا . حتى آل أمرنا الى ما نحن فيه وقد ابتعدنا من الله تعالى فابتعد عنا ونسيناه فنسينا . ثم اذا وقعنا فيما لا طاقة لنا به وهو ما نراه كل طرفه عين شعرنا به أو لم نشعر دعوانه تعالى بالسنتنا وقلوبنا لاهية عنه فلم يستمع لدعائنا وقد سلط علينا من لا يرحمنا ولو لا بقية في نفوس بعضنا يدكر بها اسمه تعالى لطهر منا الارض في أقرب من لمح البصر . وجعلنا كمن سبقنا عبرة لمن اعتبر . فاللهم لاتعاملنا بأعمالنا وقوم ما عوج من طريقنا واهدنا صراطك المستقيم وهبنا منك مغفرة ورحمة انك على ما تشاء قدير .

ولم نزل سائرنا حتى وصلنا الى ديسنتيس في منتصف الساعة الاولى بعد الظهر وهي مدينة صغيرة على ارتفاع ( ١١٥٩ ) مترا وعدد أهلها ( ١٤٠٠ ) نفس تقريبا ويرتفع عليها دير كبير في بطن الجبل قد بنى في القرن السابع للمسيح وبه مدرسة للصنائع . وبها وكندات كثيرة وقد ابتعدت احداها عن المدينة بنحو نصف كيلو متروهي اكبرها بناينا وأحسنها نظاما وقد سميت باسمها فنزلنا بها وتعدينا فيها والمسافة بينها بين اندر مات ٣٤ كيلومترا .

وفي منتصف الساعة الثالثة ركبنا منها الى ايلنس فرأينا الوادي قد ضاق وصعدت الغابات بأشجارها الى أعلى الجبال من الجهتين مما جعل منظره . ثم عرجنا على دخلة في الجبل سقط منها شلال عظيم وانحدر الى الرون . ومررنا على كوبرى من الخشب قد تعلق على بمضه وجمع بين طرفي مسقط الشلال



المذكور وطوله يبلغ خمسين مترا والماء من تحته على بعد ثمانين مترا تقريبا.  
ولم نزل سائرين حتى مررنا بقرية سونشكس. وهناك أراد العرب مجية ان يسقوا  
خيلهم فأوقفوها من غير استئذان منا وأتوا بصاع من دقيق لكل حصان  
وأذابوه في جردل ماء وسقوها وذلك لترطيب حرارة بطونها مع ريهات تغذيتها  
في آن واحد. ثم اتبعنا سيرنا فررنا على قريتي رايوس وترونز وبجوارها ينزل  
من الجبل مجرى ماء عظيم يصب في النهر وهناك أخذت تكبر منحدرات  
الجبال ويقل ميلها فينفرج معها الوادي الى مايسمح للقوم بالزراعة عليه  
فكثرت المروج التي وصلت الى أعاليها وبها القمح وقد أشرف على الحصيد  
يزين خضرتها بروائه الذهبي. وبعد قليل عرجنا على شاطئ النهر وسرنا  
عليه بين غابات وأورمانات يتلو بعضها بعضا حتى وصلنا الى ايلنس التي يقسمها  
النهر الى قسمين يصل بينهما كوبرى من الخشب وهي على مسافة ٣٦ كيلومترا  
من ديسنتيس اوسبعين كيلومترا من اندر مات. وهي قرية لطيفة على ارتفاع  
٧١٨ مترا. ويتدى تاريخها من أول القرن الثامن وعدد أهلها ٨٠٠ نفس  
فبتنا فيها. ثم ركبنا عرباتنا الساعة الثامنة صباحا وقصدنا مدينة كور أو (كوار)  
فسرنا على شاطئ الرون الذي ابتعدنا وبعده نحو ساعة وجدنا الوادي قد أقفل  
أمامنا فتحولنا الى طريق في الجبل المقابل لنا وصعدنا عليه بين غابات كثيفة  
حتى وصلنا الى قرية فرسام وعدد أهلها ٤٠٠ نفس تقريبا وبها لو كندة. ومنها  
أخذنا نهبط الى واد منحط عنا جدا حتى اذا منزلنا اليه وجدنا نهير رايوزا  
على يميننا وقد وصل شاطئه كوبرى من الحديد والماء سقط من تحته على  
مسافة مائة متر وعندها نزلنا من عرباتنا وسرنا عليه وهو يهتز تحت أقدامنا  
بنسبة اهتزازات قلوبنا التي راعها هول منظره.

﴿ أعجب ما رأيت في هذا الطريق ﴾

ولقد رأيت أثناء سيرى في هذا الطريق شيئاً جديراً بالذكر وهو أنا  
كنا نرى على طول طريقنا هذا دخاناً أبيض يتصاعد من منحدرات الجبال  
أشبهه بدخان الحريق وما هو إلا بخار الماء فيرتفع بسرعة كأنه مساق من  
تحتة بقوة تدفعه الى مافوقه وقد تسلطت عليه أخرى تجذبه الى مايلوه فلما  
وصل الى مايحاذي منتصف الجبل تكوّن على نفسه وانضم الى بعضه ووقف  
عن سيره وقد عاقته برودة الجو الذي صعد اليه فصار سحاباً امتد على رؤسنا  
وحجب مافوقه من الجبل والشمس عن أبصارنا حتى اذا ما وصلنا الى الكوبرى  
المذكور وانعطفنا الى منحدر جبل ذلك السحاب سقط علينا المطر. وكان  
الطبيعة أرادت ان تعرفنا ان ما تصعده من بخار الارض الذي قد انتشر على سطحها  
وليس به من فائدة تذكر ما هو الا لترده اليها أمطاراً تتكوّن منها أنهار تعظم  
قوتها وتحسن فائدتها ولا يمكننى أن أعبرك عما اعترى فؤادى من سروري بهذا  
المنظر الطبيعي الذي انبسطت له النفس فخل فيها حلول النفيس لديها وقد أضفت  
هذه العملية الطبيعية الى نظريتها العلمية فوجدت حقيقة ما يقولون ( وماراء  
كمن سمع ) .

ثم أخذنا نرتفع على شاطئ هذا النهر مما يلي الجبل فى طريق مخيف  
حتى اذا ما صعدنا الى ما يساوي سطح الجبل المقابل لنا الذى يرتفع على حافة  
ذلك النهر الاخرى وقفت الأعين حائرة بين منظرين متضادين : منظر سطح  
الجبل الذى عن يسارنا وهو من أجمل ما يشاهد زهرة ونضرة وايناساً حتى  
اذا انجذبت اليها أبصارنا بحسن روائها وكمال بهجتها جذبها اليه منظر تلك

الهاوية الموحشة التي سقط فيها الماء على بعد ٥٠٠ متر منا تقريبا فتضطرب خوفاً ورهبةً وتحرك باضطراباتها أعصاب القلوب فتهتز خشيةً وهلعاً. ومازلنا سائرين بين هذين المنظرين المتناقضين اذا راقنا أحدهما بنضارته راعنا الآخر بوحشته حتى أحالت بيننا وبينهما غابة لطيفة قد انفرج لها سطح الجبل الذي نسير عليه وهي من شجر الآروكاريا وهو نوع من الصنوبر جميل المنظر وقد ضخمت جذوع أشجاره وامتدت فروعها وعلت قم رؤسها حتى أصابت كبد السحاب الذي فوقنا وكأنه خيمة رفعت على هذه الأعمدة فما كان الظفه من منظر جميل خصوصاً اذا نظرت الى الأشجار وهي تنزل من رؤس الجبال كأنها شعور مرسله منها تزيد من زيتها وتكمل من بهجتها. وفي منتصف الساعة الحادية عشرة وصلنا الى بانادوكس وهي مدينة صغيرة نزلنا منها الى واد زاه زاهر على شاطئ النهر الذي قد تمدن هو أيضاً وخلع عنه لباس بداوته ولبس حلة رواثة وبهاؤه وسار من على يسارنا كأنه العروس. تسلم عليه الا عين وتحييه النفوس. وهناك يرسم قوساً خفيفاً يجتمع في منتهاه بفرع آخر يقال له الرون الخارجي كما سمي الاول بالرون الداخلي فيجتمعان معاً ويسيران في مجرى واحد وقد انضمت قوتهما الى بعضهما وحفظت الاسم (الرون) ونبذت الصفة. ولقد قامت كبار من الحديد على طرفي كل من هذين النهرين ثم على نقطة اتصالهما بما كوّن جزيرة لطيفة جعل منظرها وحسن موقعها وتسمى ريشنو وقد قام عليها بنية فاخرة تحيط بها بساتين عاطرة وهي وان كانت قرية صغيرة الا انها قديمة وبها كنيسة يتبدى تاريخها من القرن السابع وفيها قبر أحد ملوك فرنسا شارل لوجرو وهو من أحفاد شارلمان الا كبر خلعه قومه في ثورتهم عليه سنة ٨٨٧ فهرب الى هذا المكان حيث وجد به حتفه.

وقد هرب اليها أيضاً لويز فيليب ملك فرنسا في سنة ١٧٩٤ أثناء قيام أهاليها عليه وعاش فيها زمنا من مهنة التدريس الشريف في أحد مكاتبها وغير اسمه فيها وكان يعرف باسم (شابو) والأودة التي كان يسكن بها فيها موجودة الى هذا اليوم على ما كانت عليه وبابها مفتوح لزيارتها ولها خدمة يقومون بنظافتها . وهذه النقطة هي الطريق الى توزس التي منها طريق سان موريس وهي قرية مشهورة بجبال هوائها وصفائه وجفافه وهي على ارتفاع ١٨٥٦ مترا فوق سطح البحر . ويقصدها كثير من المرضى والمتصححين تغييرا للهواء وترويحاً للنفس وهي من أشهر نقط سويسرا الصحية . وفي هذا المكان وقف العرجية لاستراحة الخيل ونزلنا نحن الى الزهرة على الكوبرى الذي وصل بين شاطئي النهر العمومي وقد كبر حجمه وانتفخت أوداجه وقل صفاء مائه وظهر صوت غليانه . وابتدأت معالم قوته وسلطانه . وبمجرد ما وصلنا الى حافته الأخرى مر علينا قطار ركاب يجره وابوران الى توزس لالكونه كبيرا ثقيلاً ولكن للصعوبة التي يقابلها في صعوده الى المرتفعات التي يعاينها وهناك سكن جاشنا وهدأ روعنا وحمدنا الله تعالى على سلامتنا وقد علت على وجوهنا اشارات البشر والفرح . وأخذ كل يهني صاحبه بوصوله الى ديار العمار والحركة تاركين وراءنا تلك الجبال بجبالها وجلالها وصفاء جوها وصحيح هوائها وجودة مائها وكثرة أنهارها لان الانسان يميل بطبعه الى الانس . الذي هو أكبر ما تشتهيه النفس .

ثم ركبنا عرباتنا وسرنا في واد لطيف جداً حتى مررنا بقرية كبيرة اسمها إيمس وهي أكبر ما شاهدت في سياحتي الجبلية وبها كنيسة كبيرة يظهر أنها قديمة وكان على طول طريقنا هذا أشجار التفاح وثمره من أكبر شئ في

نوعه والكمثرى والكريز وهو أشبه شئ بشجر النبق. والجوز ويشبه شجر التوت وان كانت شجرته تكبر عنه حتى وصلنا الى مدينة كوار في منتصف الساعة الاولى بعد الظهر والمسافة بينها وبين ايلنس ٣٥ كيلو متراً. وبها انتهت سياحتنا الجبلية التي قطعنا من جنيف اليها أكثر من خمسمائة كيلو متر بعضها بالسكة الحديدية وأغلبها بعربات الخيل في ثمانية أيام كما مر عليك ذكره تفصيلاً.

### ﴿ من كوار الى فينا ﴾

وهذه المدينة من مدن سويسرا المهمة وعدد أهلها ١١ ألفاً وبنيتها جميلة يخترقها نهر اسمه پلسور يصب في نهر الين فبتنا فيها ثم ركبنا منها قبل ظهر اليوم الثاني قطار السكة الحديدية الى محطة راجتس ومنها أخذنا قطار الاكسبريس الذي يقوم من باريس الى فينا ماراً على جنيف فعبر بنا نهر الين وهو الفاصل بين سويسرا والنمسا من تلك الجهة ثم دخل بنا في واد جميل جداً قد فرش ببساط أخضر مما علاه من الاعشاب الخضرة. ثم أخذنا الواد ويرتفع بنا الى سطح الجبل ماراً من نفق صغير الى آخر وقد هبط الوادى عن يميننا كما ارتفع الجبل عن يسارنا فكنت اذا نظرت الى الجبل خفت من علوه على رؤسنا وسلطته علينا واذا نظرت الى الوادى وقد انتشرت به القرى وجدته جمع بين خشية النظر من مرآه. ورغبة البصر في التمتع بجمال ما احتواه. خصوصاً وقد اعتاد على ما هو أبعد منه مسافة وأكثر خوفاً فكنا كأننا سرارة على هذا الصراط وذلك الوادى انما هو الفردوس في غياضه ورياضه وقصوره التي ابتدأ يجري من تحتها نهر الطونه في صفاء مائه. وجمال روائه. فسبحان من خص هذه

البلاد ببعض ما خص به جارتها سويسرا من جمال الطبيعة وان اختلف أشكالها  
وتغايرت مناظرها فيهما .

وما زلنا سائرين حتى مررنا بنفق أرا لبرج وهو يشبه نفق سان جوتار في  
هوله . وان كان أقل منه في طوله . ومسافة سير الوابور به ١٥ دقيقة .

ثم استمر سيرنا حتى رأينا النهر قد سقط الى هاوية تحتنا وقام عليه كوبري  
من الحديد لمرور القطارات فهالنا منظره . وراعنا رؤيته . وتذكرنا ما فاتنا من  
أمثاله وزاد في خوفنا سرعة حركة مركبنا وتخيّلنا الفرق وصعوبته . والموت  
وصولته . فأخذ كل يذكر الله ويطلب لطفه هذبا يرجوه سلامته وذلك يسلم  
نفسه الى قدره حتى اذا ما تركنا الكوبري وتركناه اشتغلنا عما كنا فيه برؤية  
ما فاجأ النواظر . من جمال تلك المناظر . وكنا على طول سيرنا نرى مجاري  
الماء تنزل من الجبال المحيطة بنا الى هذا النهر . ثم انبسط الوادي امامنا وكثر  
فيه الزرع وخصوصاً من البرسيم والبطاطس والقمح والذرة التي يسمونها  
عندنا بالذرة البلدية أو السبعيني ولولا ان غيظ الذرة قد برزت كيزانه بجوار  
القمح وقد آن ابان حصاده لقلت انها قطعة مما بين فرعي النيل من أرض  
مصر على ان ذلك ليس بمانع عندنا ولكن العبرة بما جرت به العادة من  
ازدراءها بعد حصيد الغلال وعلى كل حال فهم فيه أسعد منا بكثير لا مناوبة تعطله  
ولا دودة تستأصله ولا آفة سماوية أو بشرية ( اللصوص ) تأكله .

ثم وقف الوابور بنا على مدينة إنسبروك وهي من أحسن وأكبر مدن  
النمسا وعاصمة مديرية التيرول ومازلنا حتى وصلنا فينا في مبدأ الساعة التاسعة  
صباحاً من يوم أول أغسطس .



الرسالة السادسة

من فينا الى بودابست

ركبنا قطار السكة الحديدية من فينا الساعة التاسعة يوم الاربعاء صباحا فوصلنا الى بودابست في منتصف الساعة الثانية بعد الظهر وبمجرد مباحر القطار محطة فينا مررنا في واد متسع جداً لا ترى به أثراً للجبال وهو من أخصب بلاد النمسا فترى به الحقول متسعة الفناء. فسيحة الارعاء حتى يتخيل للانسان أنه مسافر في أرض الدلتا من مصر الى الاسكندرية. أما تربة الارض فكانت سوداء لا فرق بينها وبين تربتها عندنا حتى اذا مررنا بحفرة في طريقنا شاهدت ان هذه الطبقة السوداء لا تتجاوز في سمكها نصف متر ويليهها طبقة رملية صفراء سمكها متر ويلى هذه طبقة من الحصى الكبير الذي يعبر عنه عندنا بالزلط وعلى هذه الاراضي الغلال على اختلاف أنواعها وأخصها القمح والذرة وبعض شجر الفاكهة والارض منبسطة تماما وعلى غاية من الاعتدال. وفي اثناء الطريق شاهدت أناسا يحفرون خناجنا للمياه وهم كما ثلهم عندنا تماما في جلوسهم واتكائهم ونومهم وأكلهم بشوكة آدم (أي باصابعهم) وجشوبة غذائهم وخشونة ملابسهم. وفي منتصف الطريق تقريبا شاهدنا نهر الدانوب على يسارنا والمرآكب تغدو فيه وتروح بين شراعية وبخارية ثم أخذ له طريقاً غير طريقنا حتى اذا وافينا بودابست وجدناه امامنا فقطعناه من شاطئ الى آخر على كوبري من الحديد ثم وصلنا الى بودابست في منتصف الساعة الرابعة بعد الظهر.

﴿ بودابست ﴾

هي عاصمة بلاد المجر ومركز حكومتها وهي تنقسم الى قسمين اوبالاخرى الى مدينتين عظيمتين يفصلهما عن بعضهما نهر الدانوب . والقسم الذي عن يمينه يقال له بودا والذي عن يساره يقال له بست اوبشت . والاولى قديمة يصعد تاريخها الى القرن التاسع للمسيح حيث أتى اليها المجرئون من اواسط آسيا تحت قيادة ارباط وحاربوا أهلها وأخذوها منهم في نهاية القرن التاسع وجعلوها مركزا لهم ومقرا لحكومتهم الى الآن ولقد أقاموا بها سنة ١٨٩٤ معرضا عظيما هرع اليه الناس من جميع الاجناس تذكارا لملكهم هذه البلاد مدة ألف سنة كاملة . وهذه المدينة واقعة في واد ضيق بين جبلين فلما ضاق بهم المكان اتصل البنيان الى اعلى الجبل الذي من جهة النهر ثم الى منحدره عليه . ولما كانت المدينة آخذة في العمران وضافت بأهلها انتقل بعضهم الى الشاطئ الآخر في وسط القرن الرابع عشر ولم ينته هذا القرن الا وكانت هناك مدينة جديدة سموها بست . ولقد وصل حكم التركي الى هذه الاصقاع ودخل كل من هاتين المدينتين في قبضته من سنة ١٥٤١ ميلادية الى سنة ١٦٨٦ فيكون مدة حكمه عليها مائة وخمسة وأربعين سنة كان يجب على المجرئين أن يستنزلوها من تذكار حكمهم للبلاد مدة الالف سنة التي أقاموا من أجلها المعرض المذكور أو على الاقل كان يجب عليهم أن يرمزوا الى ذلك بشئ يشير الى جلال هذا الاحتلال الذي ابتدأت به مدنيتهم اعترافا بالفضل لذويه والنعمة لاهليها .

وبصل المدينتين ببعضهما ثلاث كبار عظيمة من الحديد على كل منها ثلاثة طرقت طريقان على جانبي الكوبري واحد للغادين وآخر للرائحين من



المشاة وطريق في الوسط لمرور العربات وهي منفصلة عن بعضها بحاجزين على شبه درزين من الحديد والخشب وهم يعملون الآن في كوبرى رابع قررت بالكوبرى الذى فى وسط المدينة وهو أحسنها ويقال له كوبرى فرنسوا چوزيف فرأيت على كل زاوية من زواياه الارباع تمثال أسد رابض مصنوع من الحجر فأذكرنى من بعض الوجوه كوبرى قصر النيل لولأنه من الكبارى المعلقة ويرتكز من وسطه على قاعدة واحدة مبنية من الحجر فى منتصف النهر على سعته وطوله .

وعلى جانبى هذا الكوبرى رصيفان على النهر من اليمين واليسار فى غاية من الاتقان وهما من أجمل ماشاهدت . والذي فى جهة بست منهما أوسع وأطول وفيه مركز الجمارك التى تؤخذ على البضائع الواردة من طريق النهر وبه ميناء للركاب ترى بها على الدوام حركة عظيمة بين مراكب شراعية وبخارية غادية ورائحة على سطح الماء فأذكرنى ذلك تلك الحركة التى شاهدتها فى كولونيا وان كانت أقل منها فى جميع وجوهها . وأذكرنى من جهة أخرى نهر النيل عندنا وفساد الملاحة فيه حتى أن من ينظر فيما عليه من الجاريات يراها مأخوذة مما هو موجود للآن على الآثار القديمة ببلادنا من الرسوم التى لم يدخل عليها أى كمال حتى كأننا أردنا ان نبرهن للعالم كله أنا مقلدون لانعرف للاختراع اسما ولا لثمن رسما . راضين ان نكون على الدوام مقلدين الى ذلك الحضيض الذى تاباه على نفسها أخط حلقات السلسلة التى ذهب اليها درون (١) وعلى

(١) هو من اكبر فلاسفة الانكليز وجد فى العصر التاسع عشر وذهب الى أن الانسان أصله من نوع من القروء « أورانجوتان » طرأ عليه الكمال فى نوعه فترقى فصار زنجياً ولم يزل يرتقى من مرتبة الى أخرى حتى انتهى أمره بأن صار أوروبياً . واستدل

جانبي الكوبرى عمال يأخذون رسوم المرور على الراجل عشري الفرنك  
والعربة خمسيه .

﴿ مدينة بودا ﴾

وبودا مدينة على الجبل وهو يكتنفها من كل جهة ولها ميناء على شاطئ  
النهر غاية في الجمال وفيها حمامات نهريه لطيفة الوضع جميلة المنظر أحسن  
بكثير من مماثلتها على البحر في اسكندريتنا وأكثر نظاما منها والابنية التي  
على النهر من هذه الجهة ذات منظر لطيف وان كانت أقل من مقابلتها على  
الشاطئ الآخر في الرونق والنظام وضخامة البنيان وفيها القهاوى واللوكاندات  
وما يماثلها من المجامع العمومية ويتلوها المساكن متدرجة على الجبل بشكل جميل  
ووضع لطيف يدهش النظار. ويأخذ بالابصار. يفصلها عن بعضها في كل مرتفع  
أقيمت عليه شارع عظيم يصعد اليه بمنه بطرق منحذرة يبلغ ميلها من عشرين  
الى ثلاثين فى المائة أو بسالم فى جسم الجبل بين المساكن وهى طرق عمومية  
أيضا لا اختصار المسافات فصعدت سلما من هذه به عشرون درجة ارتفاع كل

على ذلك بان بعض الولايات الامريكية كانت تقطع أذيال الكلاب فكان نسلها يولد صغير  
الذيول وما زالت على ذلك حتى أتي زمن ولدت فيه بتراء بالمره. ولقد اعتبر هذا كالا فيها  
وأخذ قضية مسلمة بنى عليها مذهبه المشهور فى الكمال الذى طرأ على النوع الاور انجوتانى حتى  
وصل الى ما وصل اليه أرقى نوع فى الانسان الآن. ولكن المرحوم السيد جمال الدين الافغانى  
الفيلسوف الشرقى الشهير رد عليه حجته بعبارة لطيفة فى رسالته التى ترجمها الى العربية شيخنا  
الاكبر علامه مصره بل عصره مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية حيث قال :  
ان العرب تحتن من زمن بعيد جداً واليهود من قبلهم ولحد الآن لم يشاهد شخص واحد  
ولد مختونا. وعلى هذا فلا تكون حجة درون دليلا على الترقى الكمالى الذى طرأ على النوع  
الانسانى فى حلقات سلسلته التى ذهب اليها .

درجة نحو ثلاثين سنتيمترا فوجدت شارعا قام على جهتيه بنيان لطيف ثم  
صعدت من سلم آخر به نحو خمسين درجة الى شارع آخر عليه مبان جميلة ثم  
صعدت سلما غيرهما به مائة وخمس وأربعون درجة ينكسر على بعضه وهو من  
الحجر وعرضه نحو عشرة أمتار وفي نهايته أثر عظيم بناه الترك أيام احتلالهم  
لهذه الديار مسجدا جامعا فلما تركوا البلاد حولها أهلها الى كنيسة والباب  
العمومي لها من الخشب المصنوع بالحديد أما مدخلها فهو أشبه شيء بالمسجد  
عندنا وهي مبتناة على قبوات مرتكزة على ستة أعمدة متقابلة والمحراب تجاه  
الباب. ولها بابان صغيران في جانبيها وأرضها من مربعات الاسمنت الصغيرة  
وفي منتصف الحائط التي على يمين المحراب صفة صغيرة من الحجر قد  
صقلتها يد الايام وأظنها كانت محل قراءة السورة وهي على ارتفاع متر ونصف  
من الارض يحيط بها من جهتين شبه دربرين ارتفاعه متر. أما المنارة فلا شيء  
يشبهها في حسن رونقها وجمال شكلها ولها ثلاثة أدوار وبابها من الخارج.  
وهي على أصلها لا صلبان عليها ولقد ابنتي القوم على يمين وشمال المحراب منارتين  
صغيرتين عليهما من الصلبان والاجر اس ما يشير الى معابدهم وعلى باب المسجد  
الذي على يمين المحراب كرسي من الحجر ذو ثمانية أضلاع ملتصق بالحائط بضع  
من أضلاعه وهو أشبه شيء بكرسي العشاء الارضي على الطراز التركي وأظنه على  
هيئة كرسي المصحف الشريف.

وقد سموها كنيسة سان متياس وهناك تذكرت الترك وما كان لهم  
من ملك جسيم. وأثر عظيم.

والمدينة مما يلي هذا الجامع بسيطة البنيان وأرضها كلها من الحجر  
وهي قطعة واحدة وهذه الجهة هي أعلى مرتفع في الجبل ومنها ترى النهر على

منظره الشائق. وماؤه الرائق. وكذلك مدينة بست بجلال مرآها وجمال صورتها  
شيء يصغر اللسان عن تعبيره. ويقف القلم عن تصويره. وما هو الا مكان يحق للشعراء  
ان تقف فيه لتستمد من رب الخيال. ما تنظم به ذلك السحر الحلال. في وصف  
منظر عديم المثال. لا يعترى النفس ولا العين منه أى ملال. ومن هناك ترى  
شارعا يخترق سطح الجبل يحيط به أبنية بسيطة وان كان شكها جميلا. وطوله  
نحو سبعين متراً يقطعه شارع آخر وينتهي الى غيره على نهاية سطح الجبل  
وعلى جانبه الاول أبنية جميلة ليس لها أبواب عليه. ومن جانبه الثاني درزين  
من الحديد المتين اللطيف ارتفاعه نحو متر وربع على طوله. وهذا الشارع يبلغ  
عرضه نحو عشرين متراً وقد فرش بالرمل الاصفر وغرست على جانبيه  
الاشجار وهو في غاية النظافة لا تسير فيه العربات لانه أعد لنزهة القوم. وقد  
وضع على طوله كنبات من الخشب تحت ظلال الاشجار لجلوسهم بين كل  
كنبة وأخرى عشرة أمتار. ومن هناك ترى منظر باقى مدينة بودا على  
منحدر هذا الجبل الذى يتصل بالوادى الذى يليه. وينزل من هذا الشارع بواسطة  
سلم من الحجر الى شارع آخر للعربات وللهاارة ومن دونه غيره بنيت على  
جانبيه المساكن ومن دون هذا آخر مثله وهكذا حتى تنزل الى الوادى الذى  
يكتنفه جبل آخر قد ألبسته الطبيعة حلة خضراء غاية فى الجمال وقد نثرت  
على ميله المنازل والمساكن الخلوية وقد أحاطت بها الرياض والبساتين ونظام  
المساكن فى هاته الجهة يقرب من الشكل التركى ان لم يكن هو بعينه وما هى  
الا المنازل الحديثة فقط التى تراها على الطراز الافرنكى الذى لا يخلو من الهيئة  
التركية على كل حال. وبودا كبيرة ولكنها منتظمة جداً وفى غاية النظافة  
ولقد وقع شكها فى عيني موقعاً كبيراً اثر على نظري تأثيراً عظيماً لانه مخالف

في وضعه نظام كل بلد رأيت به بل أتر على أكثر من بست نفسها على أن لانسبة  
بين هذه وتلك من نخامة بنيان وأنيق رسم ولطيف كسم وما فيها من اللطائف  
والزخارف لاني شاهدت مثل بست ان لم أقل أحسن منها ولم أرم يقرب من  
بودا في وصفها الا اذا اعتبرت القلعة بمصر جزأ منها وكيف وانك ترى  
كل شارع من شوارعها المحيطة بها وأرضه موازية لسطح الأبنية التي ارتفعت  
على جانبي الشارع الذي هو من دونه على انها لا تقبل في ارتفاعها عن أربع  
طبقات وقد زرعت الاشجار والرياح حول أغلب المساكن مما يكسبها رونقا  
زاهرا ومنظرا باهرا. وعلى سطح هذا الجبل قلعة هائلة متساطة على المدينتين  
الا أنها خلو من المدافع ان لم أقل من كل مدافع عن حوزتهما منذ دخلت  
البلاد تحت سيطرة النمساويين الادبية. وفي بودا مسجد يقال له جلبابا موجود  
للآن بمنارته أثر عن التركي وهو صغير ويقصده سنويا كثير من البشناق لزيارته  
والتبرك به. وفيها قصر الملك وهو على أعلى قمة منها وليس به من ديار. الاحفظه  
ما فيه من الآثار. وهو معد الآن لاقامة امبراطور النمسا وملك المجر اذا عن له أن  
يزور هذه المدينة وهم لا يعتبرون وجوده الآن الا لفكرة منطوية في زوايا أفئدتهم  
وهي ان يكون مقرا لملكهم الذي تخفيه الايام حتى اذا سنحت الفرصة  
باستقلالهم الذي لا بد منه في زعمهم أظهرته على منصة جلاله وعظمته.

﴿ بست ﴾

وعلى الشاطئ الأيسر من النهر هذه المدينة العظيمة التي هي من أجمل  
مدن أوروبا ان لم أقل أجملها. وجلها أوكلها من المباني الهائلة التي جمعت بين  
ضخامة البنيان. ووطيد الاركان. وبين جمال المنظر وكمال الرسم وجمال الهيئة

ترى بها من الزخرف مالا تراه لغيرها من مماثلاتها من مدن أوروبا الشهيرة .  
وشوارعها واسعة شاسعة غاية في النظافة عليها الترمواي والمركبات من جميع  
الاصناف والاشكال وتحت سطحها الترموايات الكهربائية تحت أرضية  
ولها محطات مخصوصة على تقاطع الشوارع بعضها . وينزل اليها بسلم حتى اذا  
ما تركت به سطح الارض بما عليها من ضوء النهار . قابلك باطنها بما فيه من  
تلك الانوار ( أنوار الكهربائية ) فتركب القطار . وتسير الى حيث تشاء وتختار .  
فانظر وفقك الله الى هؤلاء القوم كيف انهم لم يفهم ان ينتفعوا بظاهر هذه  
البسيطة فقط حتى تساموا ولا أقول تنازلوا الى باطنها للانتفاع به وعدم تركه  
من غير أن يستمدوا مما فيه من الخيرات الجمه . والفوائد المهمه . واكبر شارع في  
هذه المدينة يقال له شارع اندراشي (١) وهو وان كان من أكبر شوارع العالم

(١) اندراشي رجل من أكبر سواس المجر ولد سنة ١٨٢٢ وكان سنة ١٨٤٨ من أكبر  
دعاة الثورة المجرية ضد حكومة النمسا طلبا لاستقلال بلادهم فلما ظهرت النمسا عليهم بمساعدة  
جيوش الروسيا هاجر زعماء الثورة الى الاستانة العلية ولجؤ اليها فوجدوا من السلطان عبدالمجيد  
صدرا رجلا كريما ووعدا صادقا بمساعدته لهم ثم صدر عليهم حكم حكومتهم بالاعدام  
وطلبت من الدولة العلية تسليم هؤلاء العصاة اليها وعضدتها الروسية في طلبها فامتعت الدولة وأبت  
كل الالباء وكاد ذلك يجر الى حرب بين الباب العالي والدولتين المذكورتين .

وبعد ذلك أقام اندراشي عشر سنين خارجا عن بلاده ثم عفى عنه وأذن له بالرجوع اليها  
فعاد الى بودابست سنة ١٨٥٩ وفيها انتخب وكيلا لمجلس الامة في بلاد المجر ثم رئيسا لمجلس  
وزرائها وحضر وهو في منصبه الاخير تتويج فرنسوا جوزيف ملكا على المجر . وفي سنة  
١٨٧١ عين وزيرا لخارجية النمسا والمجر . ولما قامت الحرب التركية الروسية سنة ١٨٧٧  
لزم الحيادة ظاهرا ولم يساعد الدولة العلية رغما عن ميل المجرين الى ذلك وكان هذا الامر  
سببا في نفرة المجرين منه ووصفهم له بالخائن خصوصا لما احتلس من الاتراك ولايتي البوسنة  
والهرسك من غير حق وكان أساسه في ذلك لانتخته المشهورة في عالم السياسة ( بلائحة  
اندراشي ) وهي المتعلقة بطلب تشكيل لجنة في هاتين الولايتين نصفها من المسلمين والنصف

الا انه أحسنها رونقا وأبهاها منظرا وكيف وعلى جانبه تلك العمارات الهائلة  
بجمالها وجلالها التي بناها القوم على نسق واحد تنسيق ضخامتها ونخامتها وأوين  
الأكاسرة . ويكبو بك جواد فكرك ولسانك ويراعك في ميادين المناظرة  
إذا أردت المكابرة . في استحسان أيها عن الآخر وهو محل نزهة القوم  
وعلى جانبي نصفه الأول كثير في المحال العمومية أما النصف الثاني فليس به غير  
منازل سرة القوم . وينتهي هذا الشارع الى بساتين عمومية تسر العين بمرآها .  
وتبهج النفوس بعبير رياها . وتشرح الصدور بمبناها ومعناها . فتري بها  
الموسيقىات تصدح بنغماتها الشجية . ومن أغرب ما في ذلك أنهم يضربون  
الادوار على النوتة الافرنكية ولكنهم لا يستعملون أوراقها وقت ضربهم بل  
يحفظون أدوارها عن ظهر قلب ونغماتها تميل كثيرا الى الالحان التركية  
وان شئت فقل الشرقية مما يصيح اليه سمع المصري وتميل اليه عواطفه  
وخصوصا إذا أدت بصرك في وجوه وجوه القسوم حولك فانك ترى سيما  
شرقية . وحركات تركية . تذكرك بأصلك وفصلك مما تجد معه نفسك بين  
انجذاب الى عامل اذنك . وميل الى عالم بصرك . فتتسع ويتسع معها صدرك  
ويعظم بذلك سرورك . ويكبر حبورك . وفي هذه المدينة كثير من الابنية  
العمومية الهائلة وأحسن مبانيها البرلمان وقد صرف على بنائه خمسة وأربعون  
مليون فرنك وليس اكبر منه فيما يماثله الا برلمان لندره . وبها كنائس عظيمة  
ومن أحسن مبانيها قصر العدلية وغيره مما لم يسمح لي زمني بزيارته . وبها

الآخر من المسيحيين لمراقبة تنفيذ تعهدات الدولة العثمانية للمطالب التي كانت طلبتها أهاليها منها  
بايعاز من النمسا ولم يزل في مركزه الاخير حتى أبرم مع المانيا وايطاليا التحالف الثلاثي المشهور  
واستقال من أعماله سنة ١٨٧٨ ومات سنة ١٨٩٠

شارع على النهر من أحسن شوارع الدنيا ان لم يكن هو أحسنها وأجدر  
بوصفه أن يقول انه فريد في بابه وكيف وانك ترى على جانبيه من لطف  
البنيان . ماتقر به العينان . وقد وضع من تحته القهاوى والنوادي من كل نوع  
على أحسن نظام واكمل ترتيب وأتم نسق . ومن الجانب الآخر ترى النهر  
بصفائه وروائه حتى اذا جن الليل وغابت شمس النهار برزت تلك الشمس  
الكهربائية على ضفتي النهر مما يجعلها زينة للناظرين تذكرك بتلك الزينات  
التي تقام في مصرنا لأكبر الاحتفالات . وهناك ترى بهذا الشارع  
رجال الامس وقد أتوا اليه لاستنشاق ريح الصبا . وتذكر أيام الصبا  
وما قاموا به فيها من أعمال جليلة تمجد صنعهم وتحي ذكركم ثم ترى أبناء الشبيبة  
وهم رجال اليوم قد أتوا اليه بعد فراغهم من أشغالهم لترويض النفس وإراحة  
الجسم والفكر بتلك المناظر البواهر بعد ما عانوا طول يومهم من مشقة العمل . الذي  
يحقق لهم كل أمل . فيأخذون مقاعدهم في تلك المنزهات وقد أخذ كل  
بكتابه أو بجرناله حتى لا يعدم في زمن استراحته فأدما وكيف والزمن عندهم  
ثمين واستعماله أثن . ثم ترى تلك الغايات وقد برزن من خدورهن بعد مزاوله  
أعمالهن في بيوتهن وقيامهن بما يجب عليهن في داخلية أزواجهن وقد جلسن  
بين مسامرة ومحاضرة وأخذ بعضهن بأطراف الجرائد العلمية أو السياسية  
ليقفن على حقيقة علمية . أو دقيقة كونية . وفي أيدي بعضهن أطفالهن وقد  
أخذت يعلمنهم آداب المجالس والمجامع ويرينهم ماذا عمل الشيخ وكيف  
يعمل الشاب ويشوقنهم الى حسن العمل والمثابرة على الشغل ويعرفنهم ماهي  
الفضيلة وكيف تكون الرذيلة أمرات بالاولى ناهيات عن الثانية فيشب  
الطفل على ما فيه خير لنفسه ووطنه حتى اذا ماجأت الساعة العاشرة مساء



وجدت تلك الامكنة وليس بها تقريبا من هؤلاء الجماعات الا ارباب المحلات  
فكهنذا تكون الامم الحية العاملة على خيرها وفادتها.

وقد استولى الاتراك على هذه المدينة أربع مرات. أولها في سنة ١٥٢٦  
وتركوها ثم عادوا اليها واستولوا عليها في سنة ١٥٤١ ورحلوا عنها ثم استولوا  
عليها سنة ١٦٠٣ ثم خرجت من حكمهم الى أن وقعت في قبضتهم سنة ١٦٨٤  
وتركوها بعد أن أحرقوها سنة ١٦٩٩ وفي سنة ١٨٣٨ طغى عليها النهر فقوض  
أركانها وهدم بنيانها وجعل عاليها سافلها وإذا فهذا العمران. الذي تراه الآن  
وقد اندهشت له العينان. وبهت امام عظمته هذا الانسان. انما يصعد تاريخه  
الى أقل من ثلثي قرن ولا غرابة فان في ذلك أكبر برهان على ما في القوم  
من شدة العزيمة وقوة الارادة التي بها حياة الامم ومدنية الشعوب. والمجريون  
مشهورون بشدة البأس وقد أضافوا اليه رقة الطبع فتراهم حسنى المعاشرة  
لبنى الجانب ولكنهم لا يقبلون اهانة ولا يتحملون ضيا ولذلك فان المبارزة  
(الدويل) شائعة فيهم وهي عندهم أشد قسوة منها عند غيرهم فالمبارز منهم  
لا يكتفى بأن يكون جارحا أو مجروحا ولكنه يقدم عليها قاتلا أو مقتولا.

والمجريون من عنصر تركى وفد على هذه البلاد من أواسط آسيا في  
القرن التاسع للمسيح وأقاموا بها واعتنقوا الديانة المسيحية ويكفيك معرفة  
أصلهم للدلالة على شدة بأسهم وقوة بطشهم وهم يميلون الى العظمة والفخفة  
والتأنق في الملبس والتفاخر في المأكل وفيهم كثير من اليهود قد تجنسوا  
بجنسيتهم وهم على كل حال أغناهم ثروة وأكثرهم نشاطا. ولغتهم تميل الى  
لغة الاتراك وتشترك معها في كثير من الكلمات وهم يميلون الى اللون الاحمر  
وهو الشعار التركي فتراه كثيرا في ملابسهم وخصوصا ذلك الشريط الاحمر

الذي تراه على قبعاتهم كما تري الاخضر على قبعات الاسبانيين (لميلهم الى العرب) والمجريون يحبون الاتراك (١) ويذكرون احتلالهم لبلادهم بالجميل .  
وأول عائلة منهم حكمت هذه البلاد هي عائلة أرباط فانها تقلدت الملك الى سنة ١٣٠١ وانتهى حكمها بموت آخر ملك منها وهو اندريا الثالث . ومن بعده انتخب المجريون وانسلاس فاضرب الملك فتنازل عنه فانتخبوا أوطون فتنازل أيضاً . ثم انتخبوا شاروبرت ( شارل روبرت ) سنة ١٣٠٧ وفي مدته ارتفعت شؤون هذه الدولة واتسع ملكها ودخل تحت رايته بلاد دالماسيا (في الجنوب الغربي للمجر وغرب كرواسيا) وكرواسيا (في الجنوب الشرقي من المجر وغرب

(١) كان تعلق المجريين بالعثمانيين ومحبتهم لهم من أيام حكم الدولة العلية لبلادهم الذي كان زمنه كله خيرا وسعادة عامهم ولقد زادت هذه المحبة ولاء واخلاصا منذ لجأ الي الاستانة الزهراء رؤساء الثورة المجرية الاخيرة فلقوا منها كل اعزاز واكرام . وعاش كثير منهم في ظلها حتى أتاهم عفو حكومتهم عنهم  
فلما ظهر عداء روسيا للدولة العلية اثناء انعقاد مؤتمر الاستانة تجمهرت الشبيبة المجرية في بودابست وعقدوا جمعيات تداولوا فيها في الامر الذي يعربون به عن ولائهم للدولة العثمانية فقررروا بارسال وفد منهم الى الباب العالي ليلغوه اخلاص ولاء المجريين وسافر أعضاء الوفد حاملين معهم سيفاً مرصعاً هدية منهم الى عبدالكريم باشا قائد عموم الجيوش التركية فوصلوها سنة ١٨٧٧ وطلبوا مقابلة الباشا المشار اليه ولما تمثلوا بين يديه أتى واحد منهم خطابة بليغة أعرب فيها عن ولاء المجر للدولة العلية ومنيتهم في نصرتها على الروس أعداء الحرية . ثم قدم اليه السيوف فاقبله بكل سرور وارتياح وهناك قام صفوت باشا ناظر الخارجية العثمانية وألقى خطاباً مؤثراً أتى فيه على ما كان من سابق الارتباط بين الامتين العثمانية والمجرية وتأسف على اصغاء هذه الى الدسائس الاجنبية التي كانت سبب انفصالها عن الدولة العلية واختتم قوله بما ترجمته هذه العبارة الحقة «ان انفصال الايالات المسيحية عن حكم الدولة العلية واحدة بعد أخرى لم يكن الا نتيجة حسن معاملتها لاهلها المسيحيين وعدم اجبارها لهم على اعتناق الدين الاسلامي واحترامها لديانهم وعوائدهم وأخلاقهم وطقوسهم » .

البوسنة) والبوسنة والصرب وفالسيا (الأفلاق) وترانسلفاسيا (في الجنوب الشرقى للنمسا) وملدافيا (البغدان) وبلغاريا . وقد استولى ابنه لوييس الاول على غربي بلاد الروسيا ويقال لها الروسيا الحمراء ولبس تاج بولونيا سنة ١٣٧٠ وفي مدة حكم مارية ابنته اضطربت احوال البلاد وقامت قيامة أهالها واضطرم لهيب الثورات ونتج من ذلك تكوين مجلس الأمة والآيات الهوسار . وفي مدة متياس سنة ١٤٥٨ تقدمت المعارف وأنشئت كلية برس برج وكتبخانة بودا ثم وقعت البلاد في قبضة التركي تحت حكم لوييس الثاني بعد قتله في واقعة موهكس الشهيرة سنة ١٥٢٦ الى ان وقعت في أيدي النمساويين سنة ١٥٧٠ تحت حكم مكسيمليان الثاني . وفي سنة ١٦٨٦ أعلن رسميا ان ملك هذه البلاد انحصر في بيت ملوك النمسا . ثم استولى عليها الترك بعد ذلك جملة مرات وتركوها سنة ١٦٩٩ على مقتضى معاهدة بسارافيا واستمرت في قبضة النمسا حتى أرادت ان تضيق على أهلها في حريتهم فقامت ثورتهم سنة ١٨٤٨ طلبا لاستقلالهم والتهبت نيران الحرب بينهم تحت امره قوادهم الشجعان ييم وكلايلا وجورجي وابريش كوسوت وكادوا ينجحون في حربهم لولا مساعده الروسيا للنمسا بجيوشها الجرارة . فلما رأوا أن لا طاقة لهم بعدوهم القوا سلاحهم في وجهه سنة ١٨٤٩ . ومن ثم أصبحت بلادهم ولاية نمساوية الى سنة ١٨٦١ حيث أعطى لها بعض شيء من حريتها بترتيب مجلس نظار فيها رؤسائه منهم ينظرون في شؤونها ومجلس أمة يشتغل لفوائدها وصوالها فهدأت أفكار المجريين نوعا ونخذت نيران ثورتهم حتى اذا انكسرت النمسا في حرب سادوا سنة ١٨٦٧ امام البروسيايين فلم يضيعوا هذه الفرصة وطلبوا نظامها الحالي وهو عبارة عن استقلالها في ادارة حكومتها استقلالاً محضاً وان لا يكون للنمسا عليها سوى

اسم الملوكة فقط وهم مع ذلك غير راضين بهذه الساطة الاسمية ولا شك فانهم يترقبون كل فرصة ينالون فيها كمال استقلالهم حتى يسحوا به وصمة هذه التبعية الوهمية وترى هذا الفكر منبثقا في قلوب الاطفال منهم قبل الشبان وهو لاء قبل الشيوخ فتراهم جميعا يكرهون النمساويين لهذا الالم المعنوي الذي لا يبرح من أفئدتهم الا بالدواء الوحيد الفعال . وهو ذلك الاستقلال . ولا شك انه غاية سامية وغرض شريف لا بد من وصولهم اليه ماداموا على هذا الاحساس وتلك الحياة ان لم يكن اليوم في الغد .

﴿ حديث في بودا بيني وبين رجل من أهالي البوسنه ﴾ (١)

بينما كنت استطلع مباني بودا اذ نظرت بجوار قلعتها التي مبرك ذكرها شخصاً لابسا طربوشا وعليه ثياب بين الافرنكية والتركية جالسا على كرسي عمومي فاندھشت لرؤيته وظننته عثمانيا فتمحكت أو تحككت به وجلست بجواره وكلمته بالعربية سائلا اياه عن اثر كان امامنا فأجابني بشغف ولطف بالتركية قائلا . انه لا

(١) البوسنه هي بلاد البشناق وعدد سكانها مليون ومائة الف نفس وأرضها جبلية وفيها وديان كثيرة يزرعون بها شجر الفاكهة وخصوصا البرقوق الذي هم من أكبر ثروة البلاد وفي أرضها معادن كثيرة منها الرصاص والحديد والفحم الحجري . وأهم مصنوعاتها الاسلحة البيضاء والنارية وقصبتها مدينة سرايوقو التي ابتناها المجر سنة ١٢٦٣ وهي المشهورة الآن باسم ( بوسنه سراي ) ( أي محل حاكم البوسنه ) وأخذت هذه التسمية من سراي قد ابتناها بها خسرف باي حاكم البوسنه سنة ١٥٣٠ وفي هذه المدينة أكثر من مائة مسجد وكثير من الكنائس والمعابد وعدد سكانها نحو ستين ألف نفس أغلبهم من المسلمين .

وقد استولت الاتراك على هذه البلاد في مبدأ القرن الخامس عشر ولم تخرج من تحت سلطتهم الا لما احتلت عساكر النمسا بلادها وانتقلت ادارتها الي أيديهم بناء على قرار معاهدة برلين .

يعرف لغتي فسألته بالقليل الذي أعرفه من التركية عما اذا كان يعرف الفرنسية فأجابني بها قليلا فسألته من أي بلاد هو فقال انه من البوشناق وبعد ان أخبرته بأني مصري وفدت على هذه البلاد لانه سألته عن احوال بلاده فقال انها منذ طلبت حريتها من الدولة العلية بتقرير من النمسا كانت متمتعة بكما لها ولاكن لم أعرف طعمها اذ ذلك لان المتمتع بالنعمة لا يعرف لذتها الا اذا حرم منها والتقى بنا سوء الحظ بين يدي الحكومة النمساوية فاحتلت بلادنا حسب قرار مؤتمر برلين وأخذت تبث الشقاق بين رؤساء العشائر الذين يقال لهم عندنا البكوات فقطعت الحديد بالحديد وما هي الا بضعة سنين حتى أخذت تولى فيهم وتعزل وأخذت منهم السلطة الادارية وضربت على أيديهم ثم انتهكت حرمتهم وجعلتهم في ذل مقيم مع عزهم وضعف مع قوتهم واستسلام مع أنفهم ثم نظرت الى المسلمين وكانوا سراة البلاد فضربت عليهم الضرائب الباهظة التي أثقلت كواهلهم وضيقت عليهم الخناق في داخلهم وسلبت نعمتهم وغصبت أملاكهم وأتت من الخارج بمسيحيين فأقطعهم أرضهم وسلمتهم غالباتهم ظلما وعدوانا ثم التفتت الى الدين والقضاء الشرعي فرأته في يد بعض العلماء الذين كانت ترسلهم الدولة العلية بمالها من حق الولاية على المسلمين عموما وأهل هذه البلاد خصوصا حيث لم يكن للنمسا فيها من الحقوق الشرعية شيء اللهم الا هذا الاحتلال الذي كان الغرض الظاهري منه بث المدنية في البلاد وترقية شؤون القوم العلمية والمالية فسعت النمسا لدى الدولة حتى قطعت حبل هذه الصلة بينها وبيننا ومن ثم أصبحت العلماء آلة في يد الحكام النمساويين وهم الآن يقررون باسم الدين القويم كل ما يوحى اليهم به هؤلاء الحكام فاختل نظام الدين ودرست معاملة ثم التفتوا الى التعليم فوضعوا بروجرامات لمدارسنا تكفل عدم النجاح

والفلاح في دين ودينيا وهما نحن الآن في شدة لم تكن بعدها شدة والامر لله وحده الذي أراد أن ينتقم منا بأيدينا لتلك الدولة العلية التي كفرنا بنعمتها ونبذنا تبعيتها ولا حول ولا قوة الا بالله .

فقلت وهل عدد المسايين كثير في هذه البلاد فقال قد كان منذ خر جنا من حكم الدولة العثمانية اكثر من نصف مليون ولكنه الآن يقل كثيرا لكثرة المهاجرين الذين يفرون من البلاد طلبا للحياة السعيدة في اراضي الدولة .

فقلت ولكنكم اذا جمعتم كلمتكم وسرتم في عملكم واشتغلتم بما يكون في فائدتكم الشخصية فهل تعارضكم الحكومة في ذلك ؟ فقال ان علينا الآن حاكما عاما مجريا وهو ظلم غشوم لا يعرف الا العسف والجور وهو لا يخشى الا المسلمين الذين يراهم متمسكين بالدين كل التمسك فأمر بأن تكون احياءهم محاطة على الدوام بالبوليس الذي يقبض على كل من يراه منهم في طريقه ولو من غير ذنب يرتكبه او جنانية يقترفها فيودع في سجن عميق من دون تحقيق وربما قضى به حياته العزيزة ولذلك ترانا وقد سدت الدنيا ابوابها في عيوننا لانعرف لنا حياة نسعى وراءها بما يفيدنا في معاشنا ومعادنا فتاجرنا بضاعته كاسدة وصانعنا صناعته فاسدة وعاملنا أجمل من دابة ولا عمل له الا النفاق والرياء وتقرير ما من شأنه ان يخرجنا من تهلكه ليلقي بنا في اسحق منها ونحن فيما بين ذلك كله في أسوأ حال .

فقلت ان الحكومة التي تحتل بلادكم تتظاهر بحب الدين ومساعدة الانسانية وبنيها فلم لا تشكون أمركم اليها وتعلمونها بحالكم فانها لو عرفت ذلك من تبعها وخصوصا اذا كانوا منها أقرب من جبل الوريد أنصفتهم وسعت في رفاهيتهم لاسيما وأنتم في وسط أوروبا التي تلهج على الدوام في أنديتها

وعلى لسان جراند لها بمساعدة الانسانية ونصرتها فيسمع صوتها سكان المعمورة من  
قاص ودان .

فقال كم شكونا اليها وأوفدنا الوفود عليها استرحاما فلم نر الا آذانا صماء  
ووجوها مقطبة وأيديا قد استعدت للفتك بنا وها أنا أحد رجال هذه الوفود  
الذين خابوا في مسعاهم فلم أر لي وجها أرجع به لقومي لاني أخشى لو عدت  
قبض علىّ وحوكت بما يقضى به على اكبر الجناة السياسيين .

فقلت أليس عندكم جراند يسمع صوتها العالم الاوروبي المتمدن فقتال وما  
ذا تريد من جراند قوم لا تتكلم الا بلسان الحكومة ولا تكتب الا بقلمها .  
فقلت وهلا يفد على بلادكم أناس على سبيل السياحة يعلمون منكم  
ما يخبرون به عنكم فقال ان الحكومة تضيق كل التضيق على من يفد الى بلادنا  
من العثمانيين فلو شمت رائحة التركي قبضت عليه وحاكته مخلقة له جنایات لم  
يرتكبها ولم يدر في خلدته شيء منها . فان كانت تلوح عليه هيئه الامارة ضيقوا  
عليه الخناق حتى كأنه في سجن الى أن يتركها فرارا من ذلك الضغط الذي يحدق  
به من غير ان يعرف من أمرها شيئا . أما الاجانب غير العثمانيين فلا شك انهم  
يرون فينا النعمة نعمة والافلاس فلو ساء الموت حياة .

ثم سأله عن احساس الاهالي نحو الدولة العلية فقال كله اخلاص وولاء  
وندم على ما فرط منهم في حقها .

فقلت ساعدكم الله على ما أتم فيه وبصرنا لما به الاحتماء من شر مثاله وسلمت عليه  
وانصرفت وفؤادي كله ألم على ما يصادفه الاسلام والمسلمون الذين هم في  
لهو عما هم فيه من سوء الحال وفي غفلة عما ينتظرهم من شناعة المستقبل اذا داموا  
بهذه التفرقة وهذا الكسل والقيود عن العمل .

✽ الرسالة السابعة ✽

✽ من بودابست الى بوخارست ✽

ركبنا و ابور الاكسبريس من بودابست الساعة التاسعة مساء ومازلنا  
سائرين عليه طول ليلنا حتى اذا أصبح الصباح نظرت فوجدت نفسى بين مروج  
خضراء وان لم تكن فى الاعتناء بهامثل سابقتها وهذه هى بلاد هنجاريا ويكثر  
بها شجر الفاكهة وخصوصا الخوخ وكذلك البنجر . والغلال وأخصها القمح والذرة  
وتربة الارض جيدة سوداء وفلاحوها أشبه بفلاحى الاتراك وهم يلبسون  
سراويل بيضاء وعليها قميص بلونها مع قدم حاف ورأس عليها قبعة من خوص  
ويتخزمون فى الغالب بأحزمة صوفية كبيرة عريضة ونساؤهم يلبسن الجلابيب  
وعليها شبه سراويل وعلى رؤسهن مناديل يربطنها من تحت شعورهن المرسله  
على ظهورهن على هيئة ضفائر . أما حيواناتهم فالغنم وهى كثيرة والحيل وهى  
مشهورة والابقار وهى كبيرة ( وحجمها أكبر من التى عندنا ) وألبانها غزيرة  
وقرونها طويلة تخرج من الرأس وتجه أفقيا على كل جهة من جهتها الى ما يبلغ  
أربعين سنتيمترا تقريبا . ويكثر عندهم الجاموس ولم أره الا فى هذه الجهة بأوروبا  
كلها اللهم الا فى بساتين الحيوانات فيها وهو فى هذه البلاد أقل منه ارتفاعا  
عندنا ويستعملونه والبقر فى أعمالهم الزراعية . ومازلنا سائرين ونحن نمر فى  
طريقنا على قرى صغيرة أشبه بقرى فلاحينا لولا نظافتها ونظام وضعها حتى  
وصلنا الى محطة براسو فى نهاية الساعة الثالثة بعد الظهر وهى من البلاد  
المشهورة . وهناك ابتدأت جبال البلقان على يسارنا وعليها الاشجار من جميع  
الانواع بشكل جميل ونسق لطيف وأهمها شجر الصنوبر والسنديان والبقس



وغيرها ويتلوها على سفح الجبل أشجار الفاكهة وهذه هي أحسن الغابات التي رأيتها على طول طريقنا من فينا إليها حيث كانت الأرض عارية عن الأشجار إلا ما كان منها من فاكهة أو مما لا قيمة له تذكر كشجر الصنصاف. والمجاري المائية التي تنزل من هذه الجبال قليلة جدا وضعيفة مما يدل على ضعف أصلها وشجر الغابات يغطي سطح الجبل كله حتى لا يمكن للعين أن ترى أرضه وكنا كلما سرنا بجوار هذه الجبال ارتفعت بنا الطريق حتى أذكرنا جبال سويسرا وهي وإن شابهتها في نضرتها وبهجتها إلا أنها تقل عنها كثيرا في ارتفاعها ومجاري مائها. وما زلنا سائرين وسط هذه الجبال بين منظر جميل ومرأى نخيم حيث امتد البصر لا توقفه غير خضرة زاهية وحيث ارتفع لا يرى إلا سماء صافية ارتكزت مما يلي أفق الدين على جبال زاهرة باهية وبعد مسافة يتصل الجبلان ببعضهما وقد حفر القوم في نقط اتصالهما نفقا تسير القطارات فيه وهناك رفع الوابور عقيرته اعلانا بالدخول إليه وقد كنت مشتغلا بمشاهدة اتصال الجبلين ببعضهما حتى اني لم أفكر في اقفال شبابيك غرقتي التي لم يكن بها غيري وما هو إلا أن خطانا بالقطار من باب هذا السرداب الذي مكثنا تحت سمانه نحو عشر دقائق حتى امتلأت غرقتي بالدخان لدرجة أني كدت أن أختنق به فلما خرجنا من تحت هذه السماء السوداء سألت فوجدت ان كثرة الدخان من استعمالهم الخشب في وقود القطارات بدل الفحم. ومادخلنا الى محطة بريو پوپال التي هي الحد بين المجر ورومانيا حتى أتى الشياولون وأنزلوا السفار بأمتهم الى صالون داخل المحطة بوسطه شبه طاولة مستديرة وضعوا عليها المتاع وفي داخل هذه الدائرة عمال الجمر ك فآخذوا في فتح الشنط والصناديق وقتشوها تفتيشا جيدا وحصلوا رسم

الجمارك على ما يستحقه منها حسب قوانينهم ثم أخذونا الى محل الپاساپورتات  
وبعد ان صدقوا عليها توجهنا الى مكتب آخر بجواره فقيدنا هافيه وأخذت  
هنالك رسوم المرور على من لم يكن دفعها في الجهة التي استخرج فيها پاساپورته  
وقدرها خمسة فرنكات عن كل شخص وهي عملية كبرى لم أشاهدها في غير  
هذا المكان وهو مما يدل على التدقيق الشديد في الدخول الى أراضى هذه  
الحكومة ( حكومة رومانيا ) ثم رجعنا الى قطارنا بامتعتنا وسار بنا بين مروج  
عن يميننا وجبال البلقان عن يسارنا .

والفلاحون في رومانيا يلبسون بنطلونا أبيض وقيصا يتخزون عليه بكر  
من جلد وجلهم أو كلهم حفاة الاقدام وهم أشبه شىء بالاعراب عندنا لولا اختلاف  
قبعاتهم . ونساؤهم يلبسن الجلابيب وعلى رؤسهن مناديل يربطنها الى ماتحت  
الذقن . ولو كان النساء الفرنسيات في جمال المجريات أو الرومانيات الطبيعي وقد  
عززه بما انفردن به من الجمال الصناعي لأبين على أنفسهن الارض وطنا  
والسما سكنا ولما اكتفين بأن يكن لأصحاب الخلاعة وذوى الشهوات انصاف  
آلهة كما كان عند أجدادهن الرومان بل آلهة كاملة . والمنازل أغلبها من خشب  
وبعضها من دورين والارضى من الحجر والثاني من البغددلى غالبا ومعامل  
الخشب كانت كثيرة على طريقنا وكنارى بمحطات السكة الحديدية تلالا من  
الالواح الكتل وغيرها من خشب الحريق .

وقد رأيت على طريقنا جملة مجارى ماء جافة وأخصها نهر كبير عريض  
ليس بذى عمق كبير أقيم عليه كوبرى طويل وهو أشبه شىء ببحر قشيشة  
عندنا مدة التحريق لولا أنه يجرى في جهة منه سلسول من الماء في هذا الأوان  
( أول أغسطس ) أما اذا وافى الشتاء بمطاره وسيوله ونزلت اليه مجارى المياه

من جبال تلك الجهات انتفخت أوداجه وعظم عيجه . وعلى شاطئه الايمن  
معامل كبيرة لعمل القطران ومعادن البترول وهي عبارة عن آبار يحفرونها  
الى ما يبلغ عمقه خمسمائة متر أو يزيد وهنالك تنفجر تلك العيون النيرة التي  
ترى من خلال أشعتها الثروة الطائلة . وفي مصر نامعادن البترول وقد عثر على شيء  
منها جناب المستر بلر مدير البنك الاهلي المصري في الصحراء الواقعة على البحر  
الاحمر فيما بين القصير والسويس فكون شركة لالحال ( من بنى قومه طبعا )  
وطلب التزامه من الحكومة لمدة سنتين وكان ذلك للآن ( والحكومة أدرى  
بماذا كانت مدة الالتزام قد انتهت أو لم تنته بعد ) وحيث انه عثر على شيء من هذا  
القبيل في بلاد نافلابد وأن يكون بها كثير غيره قد نام عنه الوطني وتنبه له غيره  
ممن لا تتنى عزيمتهم صعوبة ولا يكبي جواد همتهم مانع عن كل ما يعود عليهم بخير  
أو يكون من ورائه منفعة لهم .

ونحو الساعة السابعة انفرج الوادي وابتعدت عنا الجبال وبدأ القوم  
يزرعون فيه الغلال وعلى الخصوص الذرة وقد ابتدأت في سنبلها وكلما سرنا  
تغيبت الجبال عن أعيننا واختفت تحت الافق حتى كأننا مسافرون في أرض  
مصر بالوجه البحرى في شهر سبتمبر الى ان وصلنا الى محطة بلووشة وهي  
أهم محطة رأيناها على هذا الطريق ومنها اتجهنا الى جهة الشرق في سهل مرمل  
حتى وصلنا الى بوخارست نحو الساعة الثامنة مساء وعلى طول هذا الطريق  
كنا نرى النساء يشتغلن في عمل الدريسة وفي ملاحظه الأبواب التي على الطرق  
القاطعة للسكة الحديدية .



﴿ بوخارست ﴾

هي عاصمة حكومة رومانيا وهي مدينة لطيفة جداً وابتدأت من ذات الطبقة الواحدة تعلو بدروما أو من ذات الطبقتين والثلاثية منها قليلة جداً ومع ذلك فإن أبنيتها مزخرفة ونظيفة وأغلبها جديد وأهم مبانيها البوسطة وسراي الملك وهي وسط المدينة وكتلة البنين فيها على شكل ثلاثة أضلاع مستطيل قاعدته محل إقامة الملك وجانبه الايمن محل التشريفات واليسر للحرس والحشم والحشم وبين هذين زهرية لطيفة يتلوها سور مما يقابل القاعدة من حجر على ارتفاع متر يعلوه دربين من الحديد وبوسطه باب السراي وبنائها بسيط جداً وهي من ذات الطبقتين ومسطحتها في عين الراي لا يزيد عن خمسة أوستة آلاف متروفي المدينة تياتر وأوبرا صغير بنى حديثاً وبها كثير من اللوكندات والسكنائس والاديرة العتيقة وفيها جملة مطابع ومكتبات ومتاحف عمومية وجمع علمي وفيها عدد كبير من المدارس الابتدائية والعالية ومنها مدرسة للطب والقبالة والفنون الجميلة والهندسة والقانون وذلك عدا ماللبينات منها وجميع مدارسها منتظمة ولها اهتمام عظيم بالتعليم الذي هو أكبر أمنية حكومتها بل الغرض الوحيد الذي تريد ان تبنى عليه مدينتها التي انما هي تسلك طريقها الحديث بعناية تامة واجتهاد فائق جاعلة تعليم الاهالي أكبر سلاح تقطع به ما يعترضها في طريقها من الصعوبات والموانع (التي أوقفت سير غيرها ممن لم يسلكوا سنها مع أنهم أعظم جاهامنها وأكثر ثروة وأوسع نظاماً) وليست هذه الحركة التعليمية فقط في عاصمة البلاد ولكنها منبثة في جميع أنحاء المملكة فان فيها أكثر من خمسة آلاف مدرسة منتظمة لا يزيد ايرادها كلها عن

ثلاثة آلاف جنيه في السنة من مصاريف أولاد الامراء والرساء أما الباقون  
فجانيون يتعلمون على نفقة الحكومة . واذا أردت البرهان على ذلك قلت  
لك ان اراد هذه الحكومة لا يبلغ الخمسة ملايين جنيه في السنة تصرف  
منها على نظارة المدارس ما يربو على ربع مليون . واذا أمعنت النظر في ميزانية  
الحكومة المصرية مثلا وهي التي يقال انها سلكت سبيل الاصلاح والفلاح ترى  
ان ايراداتها تبلغ ما يقرب من اثني عشر مليوناً لا ينال نظارة معارفها سوى  
مائة الف أو تزيد قليلا على ان أغلب هذه منصرفه على هذه المرتبات الباهظة  
والادوات المدرسية التي ان اعتبرتها مهمة في بابها فانها ليست الامن الكماليات  
وما هي الا ورنيش يطلى به البناء بعد تكوينه وليس بضروري لصاحب  
الحاجة الى ما يؤويه من البرد والحر . أو يحميه من مهلكات البحر وضاريات  
البر . وكان الاولى بنان نبت التعليم في انحاء القطر ونوجد في البلاد الرئيسة  
مدارس تجهيزية على الاقل . وفي عاصمته الثانية ( وهي مدينة الاسكندرية ) من  
المدارس العالية ما يوفر على أهلها وما جاورها مشقة الانتقال الى مدارس  
القاهرة لتكميل دراستهم بها ولعل حكومتنا السنية تفتكر في ضرورة ذلك  
وكبير فائدته خصوصا اذا تنازات ونظرت الى ذلك الكتاب الضخم الذي تراه  
في كل قاعة من مصالحها ألا وهو احصائية البلاد الاخيرة وراأت بكل أسف  
نسبة المتعلمين الى غير المتعلمين بل استغفر الله نسبة الذين لهم بعض الملم  
بالقراءة والكتابة الى هؤلاء الذين لا يفرقهم من الحيوان الا اختلاف اللسان . أو  
صورة الانسان .

وشوارع هذه المدينة لطيفة منها الضيق الذي على جانبيه الدكاكين  
والمغازات والقهاوى والبيرات وهي في ضيقها وأهمية التجارة فيها كشارع الموسكي

عندنا وهذه هي الشوارع القديمة ومنها الشوارع الواسعة وهي الجديدة التي قامت على جوانبها القصور الباذخة والدور الجميلة قد أحاطت بها البساتين النضرة وانتهى بعضها الى مكان نزهة القوم وهي على مثال البراتا في فينا وان كانت لاتصل اليها في استعدادها وفيه بعض القهاوى والنوادى العمومية وفي بعضها موسيقات أهلية وأهمها فيه موسيقى الحكومة ولكن هذه لاتضرب الا كل ساعة دوراً واحداً مما يؤخذ منه قلة ميل القوم للموسيقى كغيرهم من بني قارتهم .

فاذامالت الشمس الى الغروب خرج القوم للنزهة هذا في عربته وذاك في عربة أجرة وغيره على القدم وخلافه على حصانه وهكذا وفي أيام القمر يخرجون اليها بعد العشاء الى منتصف الليل .  
وفي هذه المدينة الانوار الكهربائية ونور الغاز . والتجارة لها حركة عظيمة فيها خصوصاً الحبوب لاسيما الذرة منها والدخان وغاز البترول والاصواف والشمع والعسل والخمور والماشية والدهن والسجاجيد والانسجة الصوفية والكتان وأغلب تجارهم من اليهود والارمن واليونان وحركة تجارتها مع روسيا والمانيا وتركيا ولقد اشتهرت صناعتها في صياغة الاسلاك الذهبية والفضية والمنسوجات الكتانية وبعض أدوات الحديد وعمل الغراء وأغلب صناعتهم من الالمان .  
وأهل المدينة يشربون من الآبار الآسنة ولذلك تكثر فيها الحميات وخصوصاً التيفوس في مدة الصيف فلذا شرعت الحكومة في استجلاب الماء الى المدينة من نهر الطونة الذي يبعد عنها جنوباً بنحو ٤٨ كيلو متراً ولكنها رأيت ان هذا المشروع يكلفها مصاريف باهظة تثقل مالية الحكومة فأرجأت تنفيذه حتى يتوفر عندها ما يقوم بنفقته ولم ترد أن تحنى رأسها تحت ثقل سلفة تستقرضها

لهذه الضرورة قائلة (المعدم لا يلزم) .  
أما هالي هذه المدينة فأخلاقهم هادئة . والطبقة الوسطى منهم فافوقها يلوح  
عليهم توقد الذهن وان كانت حركاتهم ليست في نشاط القوم في أوروبا الغربية .  
والطبقة السفلى تلوح عليهم الغباوة وعدم التربية وهم أشبه شيء بالطبقة السفلى  
من اليونان في أخلاقهم لاني اجتهادهم ونشاطهم . وأهل العاصمة بالطبع هم الذين  
يمكنك أن تحكم بهم على حالة البلاد كلها لانهم بمثابة الرأس من كل الدولة .  
فانك اذا نظرت اليهم رأيت رؤسا مستديرة وجباها عريضة وعيونا متوقدة  
وأيديا ابتدأت تتحرك للعمل وأرجلا تخطو ببطء نحو المدينة الغربية عنها بل التي لم  
تعرفها وربما لم تسمع باسمها الا من زمن ليس ببعيد . ولذلك ترى الامة منقسمة  
الى ثلاثة أقسام . الطبقة العليا وهم قديون وقدساروا بسرعة في جادة التمدن .  
والطبقة الوسطى وقد ابتدأت تتحرك اليها . والطبقة السفلى وهم على ما كانوا  
عليه من الهمجية بل البهيمية . الا ان اهتمام الحكومة بتعليمهم ووجوب تعميمه  
فيهم يضمن لهم سرعة الانتقال . عن هذا الحال . الى أحسن مآل . ومدينة  
بوخارست واقعة على بعد ٤٤٥ كيلومترا من الشمال الغربي للقسطنطينية وقد  
أنشئت في أواخر القرن الثالث عشر والذي اختطها هو رادول الترنتسلفاني (١)  
حيث أخذ بلاد الفلاخ (الأفلاق) وقد فتحها العثمانيون في أواخر القرن السادس  
عشر وفي سنة ١٧٨٩ استولى عليها النمساويون ثم استردتها الدولة الى حكمها في  
سنة ١٨١٢ وفي السنة التالية تسلط عليها طاعون شديد فهلك من أهلها بسببه نيف

(١) نسبة لترانسلفانيا التي كانت حكومة من حكومات أوروبا واقعة غربي مملكة  
رومانيا الحالية وكانت ضمن أراضي الدولة العلية فدخل جزء منها تحت حكم النمسا والجزء  
الأخر في حكومة رومانيا

وسبعون ألفا في مدة شهر ونصف . وفي سنة ١٨٤٧ شبت فيها نار هائلة دمرت قسما كبيرا منها . وعليه فان عمران هذه المدينة العظيمة لا يتبدى الا من نحو نصف قرن فقط . وما زالت هذه المدينة عاصمة لبلاد الفلاخ التي كانت ولاية عثمانية حتى صدر فرمان سلطاني بضم ولايتي البغدان والفلاخ الى بعضهما وجعلهما ولاية واحدة في سنة ١٨٦١ تحت اسم ولاية رومانيا يدورها السيدار واحد ( يطلق هذا اللفظ على الحاكم في هذه البلاد ) محل اقامته هذه المدينة على ان يدفع خراجا للدولة كل سنة قدره ٣٦ ألف جنيه انكليزي تقريبا . وما زالت تابعة للدولة العلية حتى كان ما كان من مؤتمر برلين حيث قرر استقلال هذه البلاد سنة ١٨٧٨ وجعل حاكمها ملكا عليها وهو الملك الحالي الذي هو اول السلسلة المالكة لهذه البلاد .

وحكومة هذه المملكة دستورية وبها مجلس الامة ومجلس للشيوخ وهما ينظران في كل اصلاح يعود على الامة بالخير والفلاح . ويتركب الاول من ٧٠ عضوا لكل مديرية اثنان مع عضوين للنيابة عن المدارس الكلية يعرضان على المجلس كل ما من شأنه ترقية العلوم والفنون في البلاد . وثمانية أساقفة يدافعون عن الدين فيه . وأما الثاني فيتتركب من ١٤٥ نائبا ينتخب منهم ٦٥ من البغدان والباقي من الفلاخ . ويشترط في عضو مجلس الامة ان يكون قد جاوز الخامسة والعشرين وان يكون سبق له أنه دخل في خدمة علمية أو عسكرية أو ملكية وان يكون دخله على الاقل ٤٠٠ جنيه انكليزي سنويا . وعضو مجلس الشيوخ يجب ان يكون سنه على الاقل ٤٠ سنة .

وايرادات هذه الحكومة هي من المكوس التي تضربها على البضائع والضرائب التي وضعها على الاطيان وهي لا تزيد عن ستة في المائة من دخل



الاراضى وهو شئ لا يذكر بجانب ما تحصله حكومتنا المصرية من ذلك حيث انها تأخذ من الفلاح ما يزيد عن ثلث محصول أرضه لان الفدان الذى يساوى ايجاره خمسة جنيهات انكليزية في السنة تجبى من صاحبه ١٦٤ قرشا سنويا سواء صحت زراعته أو لم تصح وفي هذا من الغبن على الفلاح المسكين ما لا يخفى عليك اذا قارنته بغيره . والأدهى من ذلك أن الفدان المزروع نخيلا تجبى عنه أموال النخيل وضريبة الفدان معا على ان زرع النخيل بالارض يقلل من قوتها حتى أنه لو زرع فيها شئ يكاد لا يثمر وان صح فإنه لا يكفى قيمة التقاوى فضلا عن المصاريف والاعتاب الزراعية التى استلزمها زرعه . لطف الله بعباده .

ومن أحسن ما يذكر للحكومة رومانيا قرارها بعدم جواز ملكية أرضها الى غريب مطلقا ولذا فان ملكية جميع أراضيها محصورة في شخص أهلها وهذه خدمة من أجل الخدم للاهالى والحكومة معا لانها بذلك حصرت ثروة البلاد في بنيتها . ومن جهة أخرى وفرت عليها تلك المشاكل السياسية التى كانت تجعل لبعض الدول حق التداخل في أمور الحكومة بدعوى حماية مصالح رعاياها . وأظنك أيها المصرى تعرف هذه الفائدة اكثر من غيرك لان الاجانب قد شاطروك أرضك وعقارك وصارت بذلك الحكومات الاجنبية محتلة لبلادك ونسبة احتلالها من بعضها على نسبة ما امتلكته رعيتهما من أراضيها وبذلك كان لهم حق التداخل في أمور الحكومة الذى نشأ عنه تقرير امتيازات الاجانب التى لم يتمتع بشئ منها أهل البلاد أنفسهم ولا حول ولا قوة الا بالله .

وجيش هذه الحكومة يبلغ نحو ٦٠ ألف جندي في حالة السلم و ٩٥ ألف مقاتل في حالة الحرب وكان دينها سنة ١٨٨٣ يبلغ ٢٨ مليون جنيه انكليزى تقريبا وعدد سكانها نحو سبعة ملايين من النفوس منهم نصف مليون من

اليهود وثمانية آلاف من الارمن وستة آلاف من الروس وألفان من المسلمين  
وكان فيها مسلمون كثيرون قبل استقلالها فهاجروها حيث قضت معاهدة  
ادرنه سنة ١٨٢٨ باخراجهم منها. ولا يخفك ما في ذلك من التعصب الديني  
البيّن الذي ينسبه الافرنج على الدوام الى المسلمين زورا وبهتانا على ان بلادهم  
محصنة بمن غصت به منهم على اختلاف مللهم ونحلهم وهم متمتعون بكل  
ما فيه أنواع الراحة والامن والطمأنينة والرعاية فضلاء لهم من الامتيازات  
وبالجملة فان هذه الحكومة سائرة في طريق التقدم بسرعة تحقق حسن  
مستقبلها وادارتها غاية في الانتظام وهي اكثر نظاما من جميع حكومات البلقان.  
أما جوّ هذه البلاد فهو شديد الحرارة والرطوبة في مدة الصيف وقارس  
البرودة كثير الثلوج في مدة الشتاء حتى اني كنت بها في منتصف شهر  
أغسطس كنت أتمنى أن لو كان لي أجنحة وطرت منها هربا الى حرارة مصر  
على انها واقعة في النصف الشمالي من أوروبا.

ولقد شاهدت بعاصمة هذه البلاد شيئا جديرا بالذكر وهو ان جميع  
العربية فيها روسيون ومطوشون فسألت عنهم فعلمت انهم يسمون بالاسكوبتس  
وهم طائفة من الروسيا قد نفتهم الحكومة الروسية فلم أزل أبحث حتى عثرت على  
شيء من أمرهم نورهنا لا اطلاع القراء على نبأ لم يسمعوا به بل لم يدر في خلد  
شيء منه.

### ﴿ الاسكوبتس ﴾

وهي طائفة في بلاد الروسيا تدين بدين النصرانية وقد اتخذت لها مذها  
فيه غريبا في بابها بل جديرا بأن يعلمه كل من يدين بأي دين كان ليعرف كيف ذهب

الخطب والشطط ببعض المتدينين الى الحد الذي يغضب الله وينفر لسماعه  
الناس أجمعون .

ابتداً ظهور هذه الطائفة بأوروبا في النصف الاخير من القرن الثامن  
عشر الميلادي الذي يسمونه بقرن النور والعرفان والمدنية الكاملة في مدينة  
بطرسبورغ عاصمة بلاد روسيا بدعوة رجل اسمه سليلقثانوف كان يدت تعاليمه  
بأن روح الله قد حلت في جسمه أو تجسدت في شخصه فتبعه خلق كثير .  
وأول أساس بني عليه تعاليمه أن الانتاج من الزوجين جنابة كبرى  
لا يفتقرها الا استئصال أعضاء التناسل منهما . ذهب هذا الدين الجديد الى  
ان الجسم الانساني مكان للفساد ومحل للنقائص والشهوات التي تشغل الفكر  
ويضطرب منها العقل . وذهب هذا المشرع الواضع له الى ان الحياة تعيسة يلزم  
قطع أصلها حتى يخرجوا منها الى حياة جديدة سعيدة . موها مريديه أن الله  
لا يتجلى الا على الملائكة أو ما شاكلهم فأمر بالتشبه بهم بأن يكونوا لاذ كورا  
ولا إناثا . وأطلق عليهم اسم اليمامة البيضاء . جاء أساس تعاليمه الآيات  
٤٣ الى ٥٠ من الاصحاح التاسع لمرقس وهي بحروفها « ان أعترتك يدك  
فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي الى  
جهنم النار التي لا تطفأ حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ . وان أعترتك رجلك  
فاقطعها خير لك أن تدخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتطرح في  
جهنم في النار التي لا تطفأ حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ . وان أعترتك  
عينك فاقلعها خير لك أن تدخل ملكوت الله أعور من أن تكون لك عينان  
وتطرح في جهنم النار حيث دودهم لا يموت والنار لا تطفأ لان كل واحد يملح  
بنار وكل ذبيحة تملح بملح . الملح جيد . ولكن اذا صار الملح بلا ملح فبماذا

تصلحونه .

بالغ أصحاب هذا الدين الجديد في تمسكهم به حتى أنهم لا يستأصلون أعضاءهم التناسلية إلا بعد أن يصيروا رجالاً حيث يكون الخطر والهلاك في الغالب . تفالوا في مذهبهم حتى أنهم لم يوقفوه على عدم الانتاج بل جعلوه يتناول عدم التغذية الطبيعية فإذا استأصلوا من الرجل أعضاء التناسلية ومن المرأة رحمها قطعوا أيضاً ثدييها ويسمون أثر هذه الجراح بنخاتم الأبرار وعلامة الاختيار . وذهب بعضهم إلى ضرورة الزواج لكي يأتوا ببنين يكونون سعداء اختياراً باتباع شريعتهم والعمل على سنتهم فإذا أعقب أحدهم ولداً قطع لنفسه خصيتيه وهو الطهر الأول عندهم أو قضيبه معهما وهي الطهارة الكاملة وقطعت الأم ثدييها واستؤصل لها رحمها (١) أما ولدها فيشب ومصير أمره بين عيذه فإذا كبر واتبع شرعة آباءه كان منهم وان جمع وورغب في حياته التعيسة أصبح غرضاً لاضطهادات ذويه وعشيرته ومحلاً لاساءاتهم معرضاً للفتك به منهم حيثما كان

(١) لاشك أنك تذهب بك الغرابة من ذلك كل مذهب ولكنك إذا عرفت ان هذه الفرقة إنما تعمل ذلك باسم الدين عذرتهم وخفت من حدة لومك لهم وشدة انتقادك عليهم خصوصاً إذا عرفت أن بعض الفرنسيات حليقات الروسيات قد ذهبن الآن إلى استئصال أرحامهن (لأرحمن الله) ومبايضهن بعملية جراحية تحملن صعوبتها لا لضرورة مرض يستوجبها ولكن كما هو لعدم الانتاج حتى يحفظن بذلك نظام أجسامهن واعتدال قوامهن ونضارة وجوههن وغضاضة شباهن واستدامة جمالهن ولذلك فانك لو اطلعت على استئصيتك البلاد وجدت ان عدد القوم يقل قلة فاحشة من سنة إلى أخرى لاشك أنه ينقرض معها النسل الفرنسي ساوي يوماً ما .

وكذلك ما يعمله الطليانيون في روما إلى هذا العهد حيث يأخذون الغلمان حسني الصوت ويعلمونهم الغناء بين تراتيل كنائسية وأغاني قومية فإذا نجحوا في ذلك طوشوهم ليحفظوا بذلك لين نغمات أصواتهم ورينها إذا صاروا رجالاً .

وأينما سار. ومن ذلك أن أحدا بناء هذه الطائفة كبر فها له مصير أمره واشفق على نفسه ووجد له سبيلا للهرب فهجر أهله وفرّ إلى جهة بعيدة أقام بها وتزوج فيها ثم أخذته الحنان إلى وطنه وأهليه فعاد إليهم ودخل على أبيه وقد أحتته السنون وانكب على يديه يقبلهما فلما عرفه أبوه لم يمد له الايد القاتل الفاجر التي خر معها ذلك المسكين يتضرج في دماؤه وذهب ضحية التمسك بهذا الدين الوخيم. ولعمري كم جرّت هذه الفئة الطاغية الباغية على الانسانية من أنواع الهلاك وكما شوّهت هذه اليد الغشومة من خلقة بنينا وبناتها وأفقدتهم بجملها مزية الوجدان الحيوي الحقيقي فبنس ما يصنعون وقبح ما به يدينون.

يعتقدون انه اذا بلغ عددهم ١٤٤ الف أرسل الباري (سبحانه) من السماء رسلا يتولى قيادتهم مسيحيهم الجديد (سايفانوف) فيملكون الارض ويملكونهم اياها ولذلك فهم يجتهدون على الدوام الى بلوغهم هذا العدد. ولا يقتصرون بمزاولة بدعتهم على بنينهم بل تراهم يخدمون كل من عثروا عليه من الاولاد الاغرار تارة بالحيلة وأخري بالمال فيستأصلون ثلاثياتهم بيدهم الاثيمة من حيث لا يعلم بأمرهم أحد.

ومن ذلك ما حكى من ان شابا حسن الحلقة على وجهه نضارة الشيبية اسمه سالتيكوف جمعه احد نوادي مدينة موسكو بشيخ منهم لم يكن الشاب يعرفه وكان هذا ينظر الى امرأة جميلة بالقرب منه فقال له الشيخ ان العذاري فقط هن اللواتي تجلى عليهن الباري (سبحانه) يوم القيامة أما الشبان الذين ينظرون اليهن بعين الشهوة فلا ينظر الله اليهم ولا يزيكهم ولا يدخلهم في نعمه فقال له الشاب وماذا نعمل اذا فقال الشيخ اتبع الانجيل وسرد له الآيات التي مر بك ذكرها واعقبها بقوله يجب على الانسان ان يقتل جسمه وان يتشبه بالملائكة بأن يبيض

نفسه ( يجعل نفسه يمامة بيضاء) فقال الشاب وكيف ذلك فهض الشيخ وقال للشباب اتبعني أعرفك ذلك السر المسكنون وذهب به الى بيت فطرق بابه فدخل وسار به الى مكان سحيق مظلم فرأى به أناسا لابسين اردية بيضاء فأمسكوا ذلك الشاب وربطوا اعصابه على عينيه وسدوا فمه وألقوا به على الارض وجيء الى الشيخ بسكين قد حى نصلها في النار الى درجة الاحمرار فقطع بها أعضائه التناسلية ثم خيره بين الكتمان أو الموت. وكانت نتيجة سؤال هذا المسكين ما رآه من النكال والوبال .

ومن مذهبهم انهم لا يشربون الخمر ولا الدخان ولا يأكلون اللحم ويقولون ان اللحم ملعون لعنة انتاج البنين والبنات .  
ولهذه الشيعة رسل وأنبياء على ما يزعمون وأهمهم النبية حنارامانوقيا .  
وهؤلاء هم الذين وضعوا نظام هذا المذهب أو بعبارة أجلى خلاله ويعتقدون ان هذه النبية في قدرتها ان تحول الانسان منهم الى عالم الملائكة بيدها القادرة .

ومن معتقداتهم ان مسيحهم الجديد سليفانوف هو الرب المخلص المنجي للانسانية بقطعه لآلاته الثلاث لا بموته مصلوبا وهذا هو معنى التثليث عندهم .  
( قبحهم الله )

وهم يعتقدون ان عيسى المسيح ابن الله الا انهم يثبتون من الانجيل انه لم يكن الا مبشرا بمجيء سليفانوف ويقولون ان عيسى كانت تعاليمه كلها مبنية على الخصاص والتطويش فتنوسيت تعاليمه وانقطع العمل بسنته ولزم على ذلك ان جاء المسيح الجديد لاقامتها ونشرها .  
وهذا المسيح الجديد الذي ينتظرون ظهوره ثانيا للعيان لم يظهر أمره

أول مرة الا في عهد حكم كاترينا الثانية ويقال انه رجل ساقط التربية منحط  
الاخلاق من المتشردين الاميين الذين ليس لهم المام بشئ من العلم طلب الى  
الجنديّة فقمر منها وأخذ يث تعاليم مذهبه الجديد وكوّن مجتمعا من السذج وادعى  
فيهم بالوهيته فكثرت تابعوه وعظمت رهبته . واشتهر أمره وعرفت بدعته .  
فقبضت عليه الحكومة ونفته الى ايركوتسك بسيبيريا الوسطى ولم يعد منها الا في  
زمن بولس الاول وهنالك لم يقف عند حد دعواه الاولى من كونه ابن الله بل  
ادعى دعوى أخرى وسمي نفسه اله الآلهة وملك الملوك .

وتابعوه يزعمون أن بولس الاول لم يستحضره من منفاه الا لما علم  
بحقيقة الوهيته على أنه لم يعف عنه الا بمساعي بعض أتباعه من ذوى الحثيات حيث  
حقق للقيصر بأنه مجنون . ولما حضر من منفاه سجن في مارستان بطرسبورغ  
ولم يفرج عنه الا في زمن بطرس الاول وبعد ذلك قضى ثماني عشرة سنة  
في بيت أحد تابعيه بهذه العاصمة بين عبادة قومه له وتمجيدهم اياه وكان في  
هذه المدة ينشر تعاليمه حتى كان من يقدم اليه ليقطع منه ثلاثياته بيده الشريفة  
( قطعها الله ) يرى في نفسه انه أسعد الناس جميعا . ثم قبض عليه سنة ١٨٢٠  
وسجن في دير سوزدال وبقى فيه الى ان مات سنة ١٨٣٢ .

وتابعوه يعتقدون بأنه لم يمّت بل يعيش الآن في فضاء سيبريا ليعود على  
رأس الوفود السماوية التي ستأتي لتكوين مملكة الابرار والقديسين الاخير  
كما ذكرناه . أما أبناء هذه الشيعة فيكاد يعرفهم كل من نظر اليهم : أصوات حادة  
ووجوه مغبرة وتلون أصفر وبشرة متجعدة وأذقان منحولة ومشية معوجة  
ونظر لا ثبات له .

وهم مشهورون بالاستقامة والصدق في معاملتهم ولهم حذق في الحساب

والصرافة لا يذكر بجانبه حذق اليهود فيهما .

وهم أغنياء و ثروتهم محفوظة فيهم فمن لم يكن له أولاد يتبنى منهم من يوصى له بأمواله ولهم أعمال خيرية كثيرة حتى ان أحدهم ترك مبلغ خمسة ملايين روبل في أواخر حكم اسكندر الثاني وأوصى بأن يصنع بها ملجأ للعجزة والاطفال في بطرسبورغ وهو موجود بها الى الآن ويسمى ملجأ تيمسكوف .  
وفي حكم نيقولا كانت الحكومة تضطهدهم وتسجن من يقع في يدها منهم وتأخذهم في العسكرية حتى جعلوا منهم فرقة المحافظين بمدينة ماران في قوقاسيا مدة طويلة . أما الآن فانها ترسل بهم الى سيبيريا الشرقية ومن الذين نفوا اليها منهم في حكم اسكندر الثاني سنة ١٨٧١ التاجر الشهير بلوتسسين . وكان رئيسا لفرقتهم في ولاية تامبون وكان مشهوراً بكثرة الاحسان والاعمال الخيرية وله كنيسة كبيرة أقامها من ماله وكان له منزل كبير في مدينة مورشانكس شاسع الأرجاء واسع الفناء وبه مكان رحيب تحت الارض له باب من حديد وفيه آلات القطع التي يطوشون بها من يأتون به اليها من الاطفال الذين يغربون بهم بكل الطرق حتى اذا دخلوا هذا الباب أصدوه عليهم وعملوا لهم عملية الخلاء بين صراخهم الذي لا يبلغ الاسمع من يحيط بهم من أولئك الوحوش الكاسرة بل أولئك القساة الفجرة ويبقون فيها الى أن يتم شفاؤهم ومن يموت من هؤلاء الابرياء حفر له فيها حفرة والتي فيها غير مأسوف عليه الا مما يمس جسمه من التراب الذي يهال عليه .

فبلغ الحكومة أمر هذا الطاغية فقبضوا عليه وهجموا منزله ورأوا فيه ما يقشع منه قلوب خلق الله من جماد ونبات وحيوان . فحكم عليه مع عشرين من مشاركيه في هذه الجنايات التي تبرأ منها الجنايات نفسها بالنفي الى شرق سيبيريا



ومن ثم وجد له مفراً إلى سان فرانسيسكو (مدينة مشهورة غرب الولايات المتحدة من أمريكا) على سفينة ركبها من هناك سنة ١٨٧٩ بعد ان أعفى عنه عين حراسه وأغل أيديهم بالمال الوافر . وفي هذه السنة نفسها حكمت محكمة ايكاترينبورغ بالنفي على اثنين وأربعين شخصاً منهم بين نساء ورجال ومن ثم أخذت الحكومة تطارد هذه الفئة العائية حتى ان محكمة سمفيروبول (في القرم) حكمت سنة ١٨٧٦ على نيف وثلاثين شخصاً منهم وكاهن من التجار والصناع .  
ومن الغريب أنهم ما كانوا يتخذون لهم محامين أمام هذه المحاكم بل كان الواحد منهم اذا سئل امام القاضى عن جريمته فانه يكتفى بذكر آيات الانجيل التي تأمره بهذا العمل على حسب زعمه وقد مرّ بك ذكرها فلما رأوا عداة الحكومة الروسية لهم أخذوا في الهجرة من بلادها الى الممالك الاخرى وعلى الخصوص الى رومانيا .

ولقد عمات الحكومة الروسية إحصائية عنهم فرأت أنهم يزيدون عن بضعة آلاف ولكن سألت عن عددهم الحقيقي من بعض من يخبر ذلك حيث كنت في أودسا فأخبرني أنهم يبلغون مائة الف نفس .  
والقانون الروسى يقضى على كل مطوَّش منهم ان يكتب على باسابورته صفته حتى يراقبه البوليس كل المراقبة .

ويحتم على كل شخص يستخدم أحدهم عنده أو يسكنه فى منزل له ان يخطر عنه الحكومة حالاً حتى تلاحظه فى سيره وأموره . ومع اضطهاد الحكومة الروسية لهم كل هذا الاضطهاد فانك ترى الكثيرين منهم يتزهون فى عواصمها وقد عمى عنهم البوليس الذى اذا أراد ان ينظر اليهم القموه ماتستحي معه عينه من أن ترمقهم إلا بما ترمق به غيرهم .

ولهم للآن في عاصمة البلاد الروسية بنك شهير اسمه بنك الاسكوبتس  
ورئيسه منهم ولقد أرادت حكومة القيصر ان تقبض عليه ولكنها انتهت  
بأن اغتفرت له خطيئته واختلقت له عذراً بأن القوم أخذوه صغيراً وفعّلوا به  
ما فعلوا رغم أنه وانه الآن ليس منهم ولم يكن على مذهبهم ولا من تابعي شرعهم .  
ولهم للآن اجتماعات سرية أشبه بالاجتماعات الماسونية ولهم اشارات يتعارفون  
بها فيما بينهم ومنها أنهم يضعون منديلاً أحمر على ركبهم اذا تجاذبوا الحديث  
معاً ( كأن ذلك اشارة الى الدم الذي سال عليها وقت اجراء عملية القطع).

وقد فطنت الحكومة الروسية الى عدم امكانها محو هذا المذهب بالقوة  
فمالت الى الحيلة وكتبت اليهم أخيراً بمنشور تقول فيه ان رئيسهم نيكونوف  
المشهور باسم سيليفانوف كان عسكرياً ولقد أوصى بالخلافة من بعده الى اسبورنيك  
وهو يرى ان المصاف خير من قطع هذه الاعضاء وعليه فانه يخبرهم انه خير  
لهم ان يمضوا حياتهم في الرهبانية من أن يصنعوا بأنفسهم ما يؤدي في الغالب الى  
حتفهم وشقاؤهم .

ولست أدري اذا كانت الحيل تنجح في القوم مع هذا الاعتقاد الشديد  
الذي نما في قلوبهم خصوصاً اذا كان من ضمن نظاماتهم الاساسية انهم لا بد  
وان يبلغ عددهم ذلك المبلغ الذي يظهر معه المسيح كما تقدم لك شرحه .  
ويقال ان هذا المذهب موجود في أمريكا وربما ابتدأ فيها منذ هرب  
اليها بلونتسيين .

ومع ذلك فبلاد روسيا فيها مذاهب كثيرة غير هذا وكلها شيع نصرانية  
اكثر قسوة وخشونة في مزاولتها من مذهب الاسكوبتس فان منهم من  
يرى ان هذه الحياة لا خير فيها فيلحق نفسه بالحياة الأخرى بيد الانتحار

ومنهم من يرى ان المسيح قد قتل فيقتل نفسه تشبها بربه في مطلق القتل  
ومنهم من يرى ان ابراهيم قرب ابنه اسحاق أو اسماعيل الى ربه بالذبح فيأتي  
بفلذة كبده ويذبحه بيده الاثيمة وهو يضحك مسرورا من كونه شابه الخليل  
في قربانه وابنه ماثل ذلك الذبيح في قربه من مولاه .

وهكذا مما ليس له موضع في رحلتنا هذه وانما سقت لك ماسقت  
وشرحت ماشرحت لكي أضيف الى معلوماتك شيألم تكن تسمع به في  
دين النصرانية مما ألبس ذلك الدين أشنع الصفات بنسبته اليه . وان أردت  
الوقوف على تفاصيله فعليك بكتاب عنوانه مملكة القياصرة والروسيين تأليف  
أناتول لوروا بوليه

“ L'Empire des Tsars et les Russes Par Anatole lerroy - Beaulieu ”

المطبوع في باريس سنة ١٨٩٨ فانك ترى فيه المعجب والمطرب بل  
المغضب والمرهب .

وعلى ذلك فقد كان الاحرى بهذه الدول الاوروبية التي ترسل الرسل  
والمبشرين بدين النصرانية الى أطراف المعمورة لبث تعاليم دينهم بين خلق الله  
تعالى ممن لم يعرفوا لهم ديناً أو يقفوا لهم على حقيقة مذهب ويخاطرون بأنفسهم بين  
هضاب وصعاب وأنياب سباع وذئاب ويعرضون بحياتهم الى الالهوال والاختار  
مع مشقة بعد الديار وجشوبة الماء كل وخشونة الملابس وصعوبة الحمل بفرض  
تيسر وجود ذلك لهم . أن يرسلوا هؤلاء الرسل لفتح دينهم المسيحي بين ظهرانهم  
ومحو آثار ما اعتراه من هذه البدع التي تجنى على الانسانية بما تقترفه باسم الدين  
من هذه الوحشية والهمجية مما لم يسمع بمثله في تاريخ أى دين من الاديان  
ولا أى مذهب من المذاهب . بل مما لم تقترفه يد أي باغية طاغية فيكون

لها من الانسانية الشكر ومن الله الاجر

يأيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم

وكان الاجدر بكتاب الغرب الذين وفدوا على بلاد الروس وعرفوا ماهي عليه من هذه الاضاليل أن يشنعوا على هذه الطوائف الخبيثة عدوة الدين والانسانية ولا كما حصرنا وتشنعهم في الشرق وعلى الشرقيين حتى ان جناب الدوق داركور عقد في كتابه الذي ألفه باللغة الفرنسية (مصر والمصريون) وتكلم فيه عن المصريين وعواندهم وآدابهم بابا في الكلام على الاقباط شركائنا الاعزاء في الوطنية نسب اليهم فيه رذائل كثيرة منها ما يختص بموضوعنا هذا وقد ذكرت ترجمته في العدد ٣٠ من السنة الاولى لمجلة التوفيق الغراء وهو بنصه : « والاغرب منه أنه توجد فصيلة منهم بجهة زاوية الدير بالقرب من أسيوط كان ينسب اليها مدة العزيز محمد على أمر منكر ألا وهو أمر تحضير الخصيان اذ كانوا يأتون بالصغار من بني السودان الذين يبلغون من العمر من التاسعة الى الثانية عشرة ولا ريب أن نصف هؤلاء الصغار كان بالطبع معرّضا للموت أثناء العملية وقبل ان يصلوا الى دور الشفاء فكيف يسوغ لنا اذن ان نعتبر من كانت هذه مهنتهم المذمومة نساكا بل كيف نعتبرهم مجرد «نصارى» وقال الموسيو «هامون» صاحب كتاب «مصر مدة محمد على» انه سأل يوما أحد هؤلاء الادنياء كيف انه يتجارى الي تعاطى مهنة كهذه فكان جواب الراهب ما يأتي : - « انه في كل عصر وأوان وجدت الخصيان وسيوجد منها الى ماشاء الله واذا أضربنا نحن عن هذا العمل فيخلفنا آخرون فيه ويرتاب انهم يصلون الى درجة حدقنا فيه ومع كل ذلك أتظن ان أولئك الخصيان يستحقون الرثاء كلا . انظر تجد منهم الكثيرين في السرايات والقصور يديرون

الاعمال ويدهم الحل والعقد في المسألة الهامة وقد بلغوا في القسطنطينية الى رتبة قائد الألاي والفرقة فضلا عن انهم يتشجرون بأنفخ الازياء ويكلمون بالذهب ويركبون الجياد المطهمة واذا قلت انهم يجهلون الملاذ التي لها المسكينة الاولى عند بني الانسان قلت وهم في نظير ذلك خالون من الافكار والمهموم التي تنخر عظام العائلات الكبرى « انتهى

ولقد رد أحد الشبيبة القبطية ردا محكما في الجريدة المذكورة تحت اسم « محب للاصلاح » على جميع مانسبه هذا الدوق اليهم من المساوي الا انه حفظه الله لم يتعرض له بكلمة واحدة على هذا الموضوع الذي نحن بصدده. ولقد كان يجمل بكتاب الافرنج دعاة الحرية الذين يتاملون على الدين الاسلامي ويتهمون به بما ليس فيه ويلصقون به ما هو براء منه الحكمة أو بعبارة أخرى لنقيصة هم أدري بها منا أن يبدوا بتقويم أنفسهم وان يجعلوا غرضهم الوحيد في خطبهم وكتاباتهم زحزحة تلك المنكرات عن دينهم فاذا وصلوا الي هذا فهم الحكماء والافكييف لا ينجلون من وصفهم لنا الدواء على مرض موهوم وفيهم من الامراض الحقيقية ماتتلم له الانسانية على الدوام وحسبنا الله ونعم الوكيل .

❖ من بوخارست الى جاسى ❖

قد أمضينا ليلة واحدة في هذه العاصمة ثم ركبنا القطار في منتصف الساعة التاسعة من صباح اليوم الثاني قاصدين مدينة جاسى فأنحدرنا الى محطة بلوشت ومنها اتجهنا الى جهة الشمال وكان الجبل يظهر على بعد منا من الجهة الغربية أما الشرقية فكاننا نراها وقد تعرى سطحها من الغابات والاشجار الا ما كان من

عبل و نصف صاف و طرفاء و قد زرع القوم بها الغلال و خصوصا الذرة حتى انا كنا نسير نحو نصف ساعة بالوابور في جانب مزرعة واحدة ليس فيها الا ذرة و هي لا تنمو كثيرا كالتى تراها عندنا بل هي بمثابة ما يزرعه الفلاح المصري مما يسمونه بالذرة الشامية (الصفراء) وهكذا ترى الارض التى اخترقناها على طريقنا كلها مزارع واسعة منها تعلم انها بمثابة جفالك لا غنياء البلاد ولم نشاهد على بعد نظرنا غيطانا صغيرة تدل على أن فقراء الفلاحين يمتلكون شيئا اللهم الا ما تراه منها حول القرى و هو شئ لا يذكر .

وفي وسط هذه المزارع ابنية بسيطة أشبه بالعزب و يستعملون لدرس الغلال آلات لو كوموبيليه و لكنها لا تدرس القش و منه تعلم أنهم لا يستعملون التبن غذاء للمواشى كما تراه عندنا و يكثر فيها زراعة القنب و التيسل الا فرنكى و خصوصا البنجر و الجوز و البطيخ و هو جيد جدا و أشبه شئ بالبطيخ اليافاوى ان لم يكن أحلى منه . أما خضراواتهم فالبامية و ان لم أشاهدها في أوروبا الا في هذه المدينة و القرع و الباذنجان الاسود و القوطة و الخيار و هو رفيع يبلغ قطره سنتيمترين على الاكثر و لكن طوله يبلغ نحو ثلاثين سنتيا . و لقد رأيت أيضا في طريقى هذا شادوفا مركبا على بر قام عليه رجل يستقي به و ترى على هذه الاراضى بعض شجر الفاكهة من تفاح و كمثرى و قراصيا و مشمش و لكنها ليست بجيدة كما تراه منها في وسط أو جنوب أوروبا .

و ترى بها كثيرا من الاغنام و الابقار و هذه تشبه التى رأيتها في بلاد المجر و لكن لونها كلها أبيض تقريبا لاني رأيت بها جملة قطعان منها لم أر فيها غير واحد في المائة تقريبا من الاسود . أما الاحمر منها فليس له أثر فيها البتة و خيلها ليست بذات أهمية الا ما يرد اليها من بلاد روسيا .

وجميع البلاد التي مررنا عليها في هذا الطريق عبارة عن قرى صغيرة  
بها منازل صغيرة جدا متخذة من الخشب وسقفها امانه أو من قصب الذرة ولكنه  
بصفة لطيفة منتظمة مضغوطة ضغطا شديدا حتى لا تتمكن النار من الاشتعال  
بها وهي مصنوعة بميل محكم تحدر عنه مياه الامطار بسرعة .

وأهم البلاد التي مررنا عليها هي ترجول وفريموس ورومان وهي  
مدينة كبيرة تكاد ان تكون ثلثة مدن رومانيا أهمية وعظما وعدد أهلها نحو  
أربعين الفا .

وهي واقعة على نهر صغير رأيت عند مرورنا عليه شيئا جديرا بالذكر  
وهو اني شاهدت فيه أناسا يستحمون بمياهه وهم عرايا الاجسام فعند ماصر  
القطار قريبا منهم همعوا اليه للتفرج عليه أو بعبارة أخرى لتتفرج عليهم وليس  
فيهم من ستر عورته بشئ من لباسه اللهم الا رجلا من رجال البوليس كان  
معهم فوضع قبعته على رأسه وأسرع نحونا عريانا . وكأني به قد افترق انه  
ربما كان بالقطار شخص من رؤسائه حتى اذا بصربه رفعه الى اجلالا واحتراما  
فانظر كمل الله أدبك الى هذه الآداب الاوروبية واحكم بعقلك على همجيتهم  
أو الهمجية التي ينسبونها اليها ظلما وعدوانا وقد عموا عما هم فيه منها .

وأغلب الرجال في هذه الجهة يربون شعورهم ويرسلونها تحت قبعاتهم  
وأكثرهم من اليهود ويظهر من رثاثة هيأتهم وكآبة منظرهم انهم أشقى بني  
نوعهم في انحاء العالم وان كانت يهود روسيا أعس منهم حالا ومالا ولقد  
رأيت الرومانيين يكرهونهم لشدة بخلهم وهم كاخوانهم يعيشون من فائدة  
تقودهم . ومازلنا سائرين حتى وصلنا الى محطة جاسي في الساعة السادسة مساء .

﴿ مدينة چاسى ﴾

وهى مدينة لطيفة بنيت على مرتفع واتصل البنيان الى منحدره من كل جهة ولذلك ترى شوارعها صاعدة من جهة منحدره من أخرى ومبانيها على الطراز الشرقى وهى قليلة الضخامة عديمة الزخرف وشوارعها ضيقة وأماكنها نظيفة وبها من اللوكندات ما يكفل راحة السياح وهذه المدينة حركة تجارية عظيمة وهى تقريبا الوصلة بين الروس وحكومة رومانيا ولقد كانت مدة مديدة عاصمة لحكومة دارغوشه التى سميت باسم ملدافيا نظراً لنهر يخرق بلادها يسمى بهذا الاسم ثم لما هاجر اليها فى القرن الرابع عشر كثير من المجر تحت رئاسة شخص يقال له بغدادان وتوطنوا بها واستولوا على حكومتها سميت أخيراً ببلاد البغدان نسبة الى هذا الفاتح الجديد ولم تزل عاصمة لحكومتهم حتى دخلت تحت حكم الدولة العلية فى مبدأ القرن الخامس عشر ومن ثم صارت قسبة ولاية البغدان حتى انضمت الى الأفلاق تحت اسم مملكة رومانيا كما مر بك ذكره فى بخارست وهذه المدينة قديمة جدا وتبعد عن بخارست ٣٢٥ كيلومترا وعدد سكانها ١٢٠ الف نفس وفيهم كثير من اليهود واليونان والارمن والروس ولغتهم أصلها الرومانية القديمة ثم دخل عليها كثير من الكلمات التركية. والديانة الغالبة للبغدان كالأفلاق هى النصرانية الارثوذكسية ولم تدخل اليها هذه الديانة الا بعد القرن الثانى عشر للمسيح خصوصا بعد هجرة المجرين اليها وفى هذه المدينة كثير من المدارس الابتدائية وبها مدرسة كلية ومدارس عالية وكتبخانة ومتحف وهى أهم مدينة فى رومانيا بعد بخارست وفيها الترامواي الكهربائى وعربات الركوب وهى



وعربجيتها مثلها في بوخارست وتناثر شوارعها بالغاز وبعضها بالكهرباء وهيئتها  
تقرب من دمنهور البحيرة عندنا لولا ان أرضها حجرية وشوارعها أوسع وبنائها  
أمنع ومدنيتها أرفع.

الرسالة الثامنة

من جاسي الى أودسا

أقمنا في هذه المدينة ليلة ثم ركبنا القطار في الصباح ميممين أودسا فما  
هي الا ساعة واحدة حتى مررنا على نهر البروث وهو الفاصل بين أملاك  
رومانيا وبين ولاية بيسارابيا التي هي من أملاك الروسية الآن ولقد كانت  
ولاية من ولايات الدولة العلية تارة بمفردها وأخرى منضمة الى بلاد البغدان  
حتى آلت الى الروسية بعد حرب عوان بينها وبين الدولة انتهت بمصالحة  
بوخارست سنة ١٨١٢ على ان تكون هذه البلاد تابعة للدولة الروسية . وبعد  
بضع كيلومترات من النهر وصلنا محطة أوجين وبها مقر محافظ الحدود الروسية  
وخدمتها وعمال جماركها . هنالك نزل الركاب وخرجوا من باب بالمحطة قد  
أغلق بعد خروجهم منه وقصدوا بابا آخر لها وقد أحاط بهم البوليس للدخول  
منه اليها ثانية للتعطيش على أمتعتهم والتصديق على باسبورتاتهم وهناك رأيت من  
التحقيق والتدقيق على الداخل الى بلاد الروس مانسيت معه تدقيق رومانيا  
على من يدخل بلادها فكشنا بهذه المحطة ساعتين تقريبا حتى فرغ عمال الحدود  
من عملتهم مع السفر ثم ركبنا القطار وكل قد حمد الله على نجاته من حدود تلك  
الحدود . وفي هذه المسافة كنت أرى من خلال القواصل الخشبية التي كانت  
تجزنا عن أهالي المدينة وتجزهم عنا أن القوم ليسوا سوى وحوش كاسرة

قد قعد بهم الخمول والفقر عن الحركة والنشاط الأوروبي بل لا تلمنى اذا قلت  
انهم أقل حياة ورفاهية ممن يسمونهم بمتوحشى أفريقيا وكيف وأنت أينما وجهت  
نظرك نحوهم لا ترى غير ملابس رثة قد تذرتها أجسام خشنة وهيات كثيبة  
وسيا مذعرة لا تنبئ الا عن بهيمية محضة .

وما زال القطار سائرا بنا في واد كثرت تلاله ومستنقعاته وقلت رجاله  
ومزروعاته لانك لا ترى بها الا بعض مزارع حقيرة من الذرة الصغيرة قد  
اكتنفها الاعشاب التي تسومها الابقار حتى وصلنا نحو الساعة السادسة بعد  
الظهر الى محطة جوشنوف وهي عاصمة هذه الولاية .

### ﴿ مدينة جوشنوف ﴾

وهذه المدينة هي التي أمر جلالة القيصر نيقولا الثاني بأن تحتفل بقدم  
سيدنا ومولانا خديومصر عباس حلمي الثاني بصفة شبيهة بالرسمية حيث شرفها  
سموه أثناء سياحته الغير رسمية في نفس هذه السنة فأقامت حكومتها لحضرته  
الفخيمة أكبر احتفال كما قام أهلها لذاته الشريفة من مظاهر الاعظام والاجلال  
بأعظم ما تستقبل به الملوك والامبراطرة بل الاقيال والقيصرة مما نشر بتفاصيله  
حينذاك في اكثر جرائد أوروبا

ولما كان القطار يقف هناك نحو ثلاث ساعات في انتظار خلو السكة  
الحديدية من القطارات القادمة اليها من أودسا (لان الخط مفرد) نزلنا الى  
المدينة للتفرج عليها ومررنا بأغلب شوارعها فوجدت ان المدينة تنقسم الى  
قسمين . قسم قديم وهو غير منتظم في تخطيطه . وقسم مستجد وهو في غاية  
الانتظام : شوارع واسعة وأبنية فخيمة من ذات الطبقة أو الطبقتين والثلاثية منها

نادرة جدا والابنية الحديثة على الشكل الافرنكي والقديمة على الطراز الشرقي وهي حقيرة في ظاهرها وان كانت تشف عن نظافة باطنها وجل ساكنيها من اليهود وعدد سكان هذه المدينة ١٣٠ ألفا بين رومانيين وروسيين ويهود يظهر من سجنهم أنهم أقوى ارادة من اخوانهم في رومانيا وهم وان كانوا يلوح على وجوههم السكسل واضمحلال الحال الظاهرية ولكن بلغني أنهم ذوو ثروة طائلة وانما تكلف هذا الشظف وتلك الخسة في المأكل والملبس مقصود لهم لتحامل حكومة روسيا عليهم وفي الساعة العاشرة قام بنا الوابور فوصلنا أودسا في الساعة السادسة صباحا.

﴿ أودسا ﴾

وهي مدينة عظيمة في الشمال الغربي من البحر الاسود (١) وواقعة عليه بين

(١) والبحر الاسود ويقال له بحر نبطش وبنطش والعرب يسمونه بحر طرابزنده أو بحر القرم ومعظم طوله من الشرق الى الغرب ٧٠٠ ميل ومعظم عرضه ٤٠٠ ميل ومساحة سطحه ١٨٠ ألف ميل مربع ومتوسط عمقه يبلغ ٥٠٠ متر ويصب فيه انهار كثيرة منها الطونه ودينسبر ودينسبر ودون وبوغ من جهة أوروبا ويصب فيه من آسيا نهر كوبال وقزل ارماق ونهر سكاريا فينشأ عن ذلك في مياهه حركة عظيمة مستديمة ينبعث عنها تيار شديد يمر ببوغازي القسطنطينية والبوسفور الى بحر الارخيل . وكثيرا ما تهب على هذا البحر رياح شمالية شديدة خصوصا في مدة الشتاء وتثير عليه معها من الارض تلك الرمال التي تغطي جوه وهنالك يسود سطحه ويضطرب ماؤه وينعكس في مرآته هذا الجو المعتم فتراه وقد اسودت صحيفته وزاد في سوادها خيال تلك الغيوم التي تلبت فوقه وأخذت ترسل اليه بكثيف أمطارها « وهذا هو علة تسميته بالبحر الاسود » وبعضهم ينسب سواده الى كثرة ما فيه من الاسماك السوداء . وبعضهم يقول انما سمي بذلك لان أرضه صخرية ذات لون أسود .

وقد كان لهذا البحر أهمية كبرى قبل اكتشاف رأس الرجا الصالح « جنوب الكاب »

مصبي نهرى دينسبر ودينير وتبعد عن القسطنطينية بمسافة ٣٨٥ ميلا وهي مبتناة على هضبة عالية ترتفع عن البحر نحو خمسين مترا ويصلها به طريق منحدر أو ينزل اليه منها بواسطة سلام يبلغ عدد درجاتها مائتي درجة ولها عليه ميناء عظيمة جدا يسع رصيفها نحو أربعائة سفينة بخارية .

ولقد كانت من عهد غير بعيد قرية صغيرة حقيرة على البحر الاسود تعرف باسم حاجي بيك فنظرت اليها كترينا الثانية امبراطورة روسيا سنة ١٧٩٥ بعين الاهتمام وأمرت بالتساع عماريتها ومدنيتها وسمتها أودساتد كارا لاسم المستعمرة اليونانية القديمة (أودسوس) التي كانت على مقربة منها في محل مدينة أوشتاكوف الحالية . فلما تقررت بها معاهدة أودسامع الباب العالي التي قضت بأن تكون ولاية بيسارابيا تابعة لروسيا تحققت هذه الامبراطورة الحازمة من أهمية موقعها فقوت حصونها وزادت في عماريتها وتبعها في الاهتمام بها الدوق ريشليه حيث كان محافظا عليها سنة ١٨٠٣ .

وقد حصلت بها موقعة شهيرة سنة ١٨٤٠ بين الجنود الروسية وجنود الدول التي اتحدت مع الباب العالي على حربها وهي فرنسا وانكرا وسردينا ( ايطاليا ) تخربت معها حصونها وتهدمت قلاعها وهذه الحرب هي المشهورة بحرب القرم .

وهذه المدينة الآن من أشهر مدن روسيا وأهمها موقعا وهي مينائها الوحيدة الجنوبية ومحل حركتها التجارية بينها وبين بلاد الشرق وجنوب

لانه كان الطريق من أوروبا الى بلاد الهند وآسيا الوسطى . وقد استولت عليه الترك زمناما وأخرجت ما كان به من المراكب الاوروبية واحتكرت الملاحة فيه ولم تفتح أبوابه لحرية الملاحة الا سنة ١٨٥٦ على مقتضى معاهدة باريس التي انتهت بها حرب القرم

أوروبا . وعدد أهلها يبلغ نحو نصف مليون بين روسيين وأرمن وطلينان ويونان  
وكان عدد هؤلاء الاخيرين كثيرا جدا فيها وكان في أيديهم ثروة البلد التجارية  
فتألب عليهم الروسيون واضطهدوهم بمساعدة حكومتهم لهم وحوّلوا الى  
أيديهم حركة بلادهم التجارية والصناعية حتى أصبح اليونان ولا عيش لهم فيها  
الهم الا ما حصلوا عليه في الزمن الغابر الذي كانت عين الاهالي والحكومة  
معا غافلة عنهم فيه وهكذا شأن الحكومات التي تسهر على مصالح أهلها  
التي هي عين مصالحها لطف الله بنا كما لطف بهم وأرانا ما فيه خيرنا ووفق  
حكومتنا السنوية لارشادنا ومساعدتنا الى ما فيه نفعنا فان ذلك ليس بعزيز عليه تعالى  
كما انه لم يكن بالمستحيل علينا ان نلطف الى هذه العوامل الاجنبية التي ما وفدت  
على بلادنا الا لتمتص دماءنا ونحن في غفلة عنها بل في ارتياح منها .

وفي هذه المدينة كثير من المدارس الابتدائية والكلية ومدارس للصناعة  
وللتجارة والفنون الجميلة وبها مجلس علمي أنشئ سنة ١٨٦٥ وفيها جمعيات للعلوم  
الطبيعية والحقوقية والزراعية والتجارية وبها كثير من الآثار الجميلة خصوصا  
الكنيسة الكبرى وهي قليلة الزخرفة من الخارج على شكل كنائس الاقباط  
عندنا لانهم على مذهب واحد (المذهب الارثوذكسي) وبها نور الغاز والكهرباء  
ويؤتى بماء الشرب اليها من نهر دينسبر بواسطة آلات رافعة وضعت عليه  
سنة ١٨٢٣ وفي هذه المدينة مركز شركة البواخر الروسية .

أما بنيتها فهي افرنكية تميل في ظاهرها الى الطراز الشرقي وأغلبها من  
ذات الطبقتين وشوارعها منتظمة في تخطيطها كل الانتظام وان كنت تراها  
على الدوام بين صعود وهبوط بل عروج وسقوط والاشجار على جانبيها  
مما يدل على شدة حرارة هذه المدينة في مدة الصيف وأرضها مرصوفة

بالحجارة رصفا غير منتظم بمعنى ان عجل العربات يصطدم على طول سيرها مع قطع الحجر أو الزلط التي تبرز من سطح الطرق فالسير فيها على الاقدم متعب لعدم استواء أرضها وهو فيها بالعربات أكثر تعباً .

أما مينائها فهي من أكبر مين الدنيا وهي حرة للتجارة من سنة ١٨١٧ وحركة السفن فيها بين شراعية وتجارية تفوق الوصف . وصادراتها الحبوب وغاز البترول والسكر والخمور والصابون والحديد والجلود والصوف والغزل والمنسوجات الكتانية والقطنية والزجاج . وعلى الخصوص الدقيق الذي يعرفه المصريون لاسيما الاسكندرليون وهو من أكبر عوامل كساد تجارة الغلال في مصر .

أما أهلها فاعليهم من الروسيين وهم طوال الاجسام عظيمو الخلقة تنوء سيقانهم تحت حمل أثقال جدوعهم ووجوههم يلوح عليها الرزانة والذكاء . وأخلاقهم فيها هدوء تام بعظمة في أنفسهم وثقة بمستقبل سعيد في أيامهم ويقين من كونهم أكثر عصبية وأعظم قوة وأوسع أملاكاً من باقي سكان المعمورة فتراهم يمشون مرحاً مع التؤدة التامة بهذه الاجسام الهائلة وقد كادوا يخرقون الارض أو يبلغون الجبال طولاً حتى يتخيل لك انهم يتكفون المشى في نشاطهم كأنهم يريدون ان يجعلوا لهم في بطء سيرهم من الزمن ما يستعملون فيه أفكارهم التي تعلق بابرزها الى حيز العمل ماتراه فيهم من تلك الارادة القوية . واعتقادهم في دينهم قوي جدا حتى لا ترى أحدهم يرمأ امام أية كنيسة من كنائسهم صغيراً كان أو كبيراً عزيزاً أو حقيراً الا وهو ينحني امام عظمتها وشفته تلعب بشئ من صلواتهم ويده ترسم على صدره صورة الصليب وهذا أكبر دليل لك على قوة دينهم التي نشأت عنها قوة رابطتهم القومية وعصبيتهم

الجنسية وخصوصا وقد توحدت عندهم السلطة الدينية والملوكانية في شخص  
القيصر .

ونسأؤهم أشبه شئ برجالهم من حيث السير والحركة وان كن أضعف  
منهم أجساما وأحلاما وهن منهم في ذلك على نسبة المرأة الشرقية من بعلمها  
ولكنهن ابتعدن عن الخلاعة والدلاعة وسرن في طريقهن بعظمة القاهر وكبرياء  
القادر ومن يتدللن منهن فأنما يقلدن فيه حليفاتهن من الفرناساويات وان  
كن في تقليدهن اياهن أقل بكثير مما يقلدهن فيه بعض شبانبا الذين لم يأخذوا  
من التقليد للافرنج الا بالطرف الذي يهين ويشين . لا بما ينفع ويزين . وملا بسهن  
بسيطة جدا وهي على الطراز الشرقي ( جلاليب أوما في معناها ) أو الطراز  
الافرنكي في الغالب .

أما البوليس عندهم فهو في غاية التحفظ والتهيقظ وخصوصا على الحدود  
فانه لا يدع ماراً أياً كان يدخل اليها الا اذا كان حاملاً تذكرة محررة من وكيل  
الدولة الروسية في الجهة التي قام منها مكتوباً فيها اسمه وجنسيته ووجهته  
ومدة اقامته بها والغرض من قدومه اليها ولا يكفي في ذلك البسا بورت الذي  
يستخرجه المسافر من حكومته مما ليس له لزوم بالمرّة في جميع حكومات  
أوروبا اللهم الا في بلاد الدولة العلية ورومانيا وكذلك في البوسنة والمهرسك الآن مما  
لا تراه في حكومة النمسا نفسها المحتملة لهما على ان جميع هذه الحكومات الاخيرة  
لم تكن في تحفظ روسيا وتدقيقها وتحقيقها .

وربما كان البوليس عندهم من أحسن بوليس الدنيا تيقظاً ونظاماً وهو يتخلل  
كل جهات المدينة والبوليس السرى فيها كثير جدا حتى انه ربما يتخيل لك أن  
الناس كلهم جواسيس على بعضهم وأصحاب اللو كندات ليسوا الا عبارة عن

عيون ترمق جميع من ينزل بها من الاغراب وربما فتشوا أمتعتهم بصفة سرية فاذا اطلعوا من أحدهم على ما يشبهه فيه من أوراق سرية أو أسلحة أو غيرها سارعوا باخبار الحكومة بطريقة مستترة فيأتي رجالها ويقبضون عليه بعد التحقق من أمره من غير أن يعلم ان اللوكندة لها يد في ذلك .

ومع كل هذا فانك ترى ضباط البوليس منشرين في اللوكندات بعضهم بصفة انهم نازلون فيها والبعض الآخر يمضون ليلهم ونهارهم بين غدو ورواح منها واليها بقصد زيارة اخوانهم ظاهراً والتجسس باطنا وفعلاً .

وعلى كل غريب وصل الى أي مدينة من بلاد روسيا ان يتوجه توجهاً الى ادارة البوليس ويريه بسابورته ويخبره بالايام التي يقيمها فيها وفي أي مكان يقيم فيؤشر على بسابورته بذلك فاذا انقضت هذه المدة وأراد أن يطيلها توجه اليها وأعلنها بارادته وبالمدة التي يرغب أن يسمح له بها ويكتب كل ذلك على البسابورت ويحفظ بادارة البوليس ويعطي اليه تصريح بذلك يسمى بتصريح الإقامة فاذا انقضت هذه المدة توجه الى الادارة المذكورة وسلمها تصريحها وأخذ منها ورقة مرور بعد ان يكتب عليها الجهة التي يقصد التوجه اليها ويصدق عليها منها وان مضت تلك المدة ولو بيوم واحد ولم يتوجه اليها سقط حقه في استرداد البسابورت وأمضى حياته بهذه البلدة كأنه منفي فيها لا يستطيع الخروج منها أبداً لانه ليس معه تذكرة مروره ولا يجد أمامه من يشغله ولا من يؤويه أو يطعمه ان نفذ ماله وهو في أثناء ذلك كله مر موق بعين العسس التي لاتنام عنه محاط أينما سار وحيثما أقام بعوامل التضيق والتشديد الى أن يقضى الله به أمراً كان مفعولاً .

وحكومة هذه البلاد استبدادية لادستورية والقانون والدستور هو



ماقال الامبراطور .

ومديرو ولاياتها ومحافظوها بأيديهم السلطة الدينية والسياسية والقانونية  
والمالية والادارية بما فيها البوليس ولذلك فهم مطلقو السلطة عظيمو الرهبة  
والهيبة وجميع هؤلاء الحكام من رجال الجندية فترى الوالي مشيرا والمدير  
فريقا ووكيله لواء وهكذا حتى انك لترى مستخدمى السكة الحديدية كلهم  
من الجنود درجاتهم على حسب درجات مراتهم ووظائفهم حتى اذا وقعت  
البلاد فى حرب انقلبت سكة الحديدية الاهلية ( فى زمن السلم ) عسكرية  
فى ذلك الوقت وأمن عليها من الارتباك خصوصا بتغيير المستخدمين الملكيين  
بغيرهم من العسكريين الغير المتمرنين على أشغالها مما يؤدى الى ضرورة  
التأخير وعدم النظام فى العمل كما حصل فى حرب فرنسا الاخيرة مع المانيا .  
والحكومة تضيق على الاهالى كثيرا بتعسسا وتجنسها على أحوالهم وتقييدها  
حريتهم القولية والتحريرية حتى أنها لا تسمح بصدور أي عدد من جريدة مها  
كانت الا بعد قراءة ما يكتب فيها فى إدارة المطبوعات ومحو ما لا تراه موافقا لمشرها  
منه . وكذلك جميع المطبوعات من كتب وجرنالات تردها من الخارج فانها  
يؤتى بها من البوسطة مباشرة الى هذا القلم وبعد فحصها وبجتها ترسل لاربائها  
ان لم يكن بها شئ يمس الحكومة الروسية والا حفظت به من حيث لا يعلم  
بها أصحابها أقطع منها كل ما يمس هذه الحكومة وأرسلت اليهم ببراء أو طليت  
الورقة المكتوب ذلك فيها بطلاء أسود لا يمكن أن تقرأ معه عبارتها أبدا .

ولا شك أن هذا التقييد المطلق مقيد لسرعة تقدم القوم فى مدنيتهم  
ولذلك فان معلوماتهم قليلة وصناعاتهم منحطة وانما وصلوا الى ما وصلوا اليه  
منها بما فيهم من الاستعداد الطبيعى وقوة الارادة . وفكرة الحكومة الروسية

في عدم اباحة الكمال العلمي ونشره بين افراد رعيها انما هي لشدة خوفها من  
نتيجته التي هي اكبر مؤثر على انتقال الناس الى حالة تمكنهم من تغيير النظام  
وقلب الاحكام واسقاط الحكومات والاحكام وكانت حليفها الآن فرنسا  
اكبر معلم مرشد لها فان حكومتها الامبراطورية والملوكية لم تتقوض أركانها  
وينهدم بنيانها الا بيد العلماء والخطباء فرغبت حكومة القيصر أن تجعل لها من  
سلطة جهل بذيا عليهم اكبر ساعد وأقوى نصير . ومن ذلك أظنك لم تسمع  
معي لحد الآن بأحد (١) من الروسيين قد اشتهر بعلم أو ذكر باختراع أو نشر  
اسمه بخدمة عامة للانسانية .

أما جنديتهم فليست من الترتيب على مايرام ولقد شاهدت استعراض  
فرق منها مرسلة الى حرب الصين وهم كالوحوش لانظام ولاهندام: أجسام  
ثقيلة وحركات بطيئة وملابس قدرة ولم أر فيهم من شئ عظيم . سوى رهبة  
عدد هم الجسيم . وأبهة ملكهم الفخيم . ولقد كان في عز منا ان توجه الى مدينة  
سواستيول قسبة بلاد القرم للتفرج على حصونها وقلاعها فهاج علينا البحر  
الاسود الى الحد الذي لم يتمكن الناظر اليه من الشاطئ ان يري ماءه أو سماءه  
فعرز منا على الرحيل آفلين من هذه المدينة بعد ان أقمنا بها يومين الى بوخارست  
من طريق آخر ومن هذه الى بودابست .

(١) اللهم الان في هذه الايام الاخيرة التي حملت اليها التلغرافات العمومية والجراند الاوروية  
اسم ذلك الكاتب الروسي الشهير وهو الكونت (تولستوي) الذي اضطرته الحكومة  
الروسية كل الاضطهاد لما شاهدت من حدة أقواله وسمعت من صرير قلمه تلك الحرية  
التي ينشدها القومه . وقامت من أجل ذلك قيامة التلامذة وطلبة المدارس من كل فج في المملكة  
الروسية ضد الحكومة التي قابلتهم بتلك القسوة الهائلة والمعاملة الشديدة حتى ان كثيرا منهم  
ذهب ضحية كفاحه ومقاومته لنصرة العلم والحرية .

فركبنا قطار السكة الحديدية الساعة السادسة مساء قاصدين جهة الجنوب الغربي فوصلنا محطة روديني الساعة الثالثة بعد ظهر اليوم التالي وهي مدينة صغيرة على نهر الطونه فانتظرنا بها الى منتصف الساعة السابعة مساء ثم ركبنا منها أحد وابورات النهر البخارية التابعة للحكومة الروسية صاعدين على النهر الى الشمال الغربي. وكنا في أثناء سيرنا في أرض الروس ورومانيا نرى قطعانا من الأوز المنزلى كما كنا نرى مثلها من البط في بلاد المجر تغدو وتروح وحدها بين المساكن والمزارع. وما زلنا سائرين وبلاد رومانيا على يميننا وشمالنا وهي بين مزارع وغابات صغيرة ومستنقعات كثيرة حتى وصلنا الى مدينة غالتس في مبداء الساعة التاسعة وهي على الضفة اليسرى للنهر ومن أشهر مدن رومانيا وعدد أهلها سبعون ألفا وبها ترامواى كهربائى وبنيتها صغيرة جدا وهي من ذات الدور الواحد أو الدورين على الأكثر وشكلها شرقى لولا سقفها المائل وبعضها من الخشب والبعض الآخر من الحجر الا أن شوارعها غير منتظمة وعربات الركوب فيها رديئة جدا وسحنة أهلها تلوح عليها البهيمية ولم نمكث بها الا ريثما قطعناها بسرعة العربات من جهة الى أخرى لناخذ (١) قطار

(١) قطارات السكة الحديد في رومانيا والروسيا من أدنى أمثالها درجة وأحطها منزلة وأقلها نظاما وهي بمنزلة قطارات خط شبين الكوم وفاقوس من مصرنا لولا أنك ترى مكتوبا على جدر عربات الاولى من الداخل هذه العبارة «الرجاء عدم البصق على فرش العربات وعدم توسيخ جدرانها وتشويه طلاؤها» ومن هذا تعلم من هم المسافرون في هذه الخطوط عادة وما هي حالتهم.

أما القطارات باوروبا في غير هاتين الحكومتين فهي في غاية النظام وعلى الخصوص في حكومة البلجيكا وهي في عمومياتها لا تزيد كثيرا في حالتها ونظامها وهيتهما عنها بين الاسكندرية ومصر لولا أن بها عربات مخصوصة للمدخين لا يمكن التدخين في غيرها ولا يخفك ما في هذا من راحة غير المدخين من المسافرين.

السكة الحديدية الذي قام في الساعة العاشرة ووصل بنا الى بوخارست في الساعة السادسة صباحا . فقضينا بها الليلة ثم تركناها وعدنا الى بودابست . وريثما استرخنا بها من عناء هذا السفر الاخير قصدنا تريستا وركبنا منها احدى بوآخر المساجري قاصدين وطننا العزيز من طريق آخر غير الذي أتينا منه فأخذنا طريق بيرا ومنها الى مصر . وأول محطة رست عليها سفينتنا هذه هي مدينة برندزي التي هي احدى مين أوروبا المشهورة بل هي أقرب مدينة بين أوروبا الغربية وبلاد الشرق ومنها واليه اصدور وورود البوسطات التي برسم أوروبا الغربية والوسطى والتي منها الى الشرق . وبينها وبين تريستا يومان بالبحر .

❖ الرسالة التاسعة ❖

❖ برندزي ❖

وهذه المدينة واقعة في الجنوب الشرقي لاطاليا على مبدأ البحر الادرياتيقي وقد كان لها مركز كبير سابقا حيث كانت المينا البحرية بين الرومان واليونان وفيها للآن آثار طريق واسع قد اختطه الرومان منها الى مدينة رومه وقد كان خاصا بمرور الجنود التي ينقلونها اليها ومنها الى البلاد التي يريدون فتحها أو حربها .

ولم تزل أهمية هذه المدينة الى القرن الثالث عشر وقد بلغ عدد سكانها الى ستين ألفا ولكن قد اضمحلت حالها حيث انقطعت عنها المواصلات التجارية وغيرها وأصبحت كبقية القرى الصغيرة الحقيرة التي بجوارها ولم تدب فيها روح الحياة نوعا الا لما تقرر جعلها المركز التجاري بين بلاد الانكليز والهند وتبع ذلك بوسطات المشرق وعدد سكانها الآن يبلغ سبعة عشر ألفا .

ولما كان الوابور الذي كنا عليه يقف في ميناها نحو ست ساعات نزلت اليها على سبيل رؤية ابنتها ومبلغ عمرانها وناسها فما هو الا ان نزلت الى رصيف المينا الذي رسا عليه وابورنا حتى أحاطت بي سلسلة تأملت جيدا في حلقاتها فلم أجد الا أوباشا من الطليان ذوى هيئة كثيفة وسحنة مخيفة وملابس رثة وبرانيط معوجة على رؤس تشف عن غباوة تامة والكل يتكلمون معي في آن واحد بالسنة مضطربة وعبارات مختلفة فهذا يسألني عما أريد وغيره عما أشتهى وسواها يقدم الى صور جميلة ومنهم من عرض على... فلم أرا الا الاعراض عنهم وصرخت فيهم فتفرقوا من حولي وسرت حتى تركت الرصيف فرأيت شارعا واسعا وهو أهم شوارع المدينة ويقال له شارع همبرت (اسم الملك) وهو الموصل الى محطة السكة الحديدية فسلكته فرأيت به الدكاكين والمغازات والقهاوى العمومية والمنازل التي عليه ليست مهمة في بابها والناس فيه تمثل لك صورة الفقر والفاقة فتري هذا حافي الرأس أو القدم وغيره يكاد ان يكون عربانا والغالب منهم يتسول أو يتلصص في طريقه وان كان في يدك عصا أو شمسية يسألك حملها لك وليس في تلك القهاوى البسيطة الكثيرة التي لم تكن الا عبارة عن دكاكين وضع بها عدد من الكراسي والترابيزات الخشب سوى بعض النساء أو الرجال والكل في أسوأ حال .

فعن لي ان اشتري شيئا فدخلت دكانا أشبه بدكاكين الريف عندنا ( وهو من أحسن دكاكينهم ) وبعد ان أطلعني صاحبه على ما أريده وأخبرني بثمنه قلت له ان أردت ان تبيعنيه بنصف ما قلت أخذته والا فلا فقال لا بأس خذه وانقذني ثمنه . ومن ذلك تعرف انهم هناك يسامون في مشترياتهم ومبيعاتهم التي يكثرون من الاحاح على المشتري ترغيبا له فيها كبلاد الفلاحين عندنا . وفي هذه المدينة

لو كندة واحدة على البحر لا حركة لها تقريباً لان السياح الذين يقصدون السفر من أوروبا أو اليها من طريق هذه البلدة قليلون جداً وذلك لعدم نظام الطرق الحديدية في إيطاليا وعدم أمن المسافرين فيها على متاعه وتضييق الحكومة على المسافرين في التفتيش عليهم أملاً في عبورها على ما تأخذ عليه جمركها المشهور بشدته في بحث الامتعة وكثرة الرسوم التي تؤخذ عليها.

وفي الميعاد المحدود قامت بنا صر كينا قاصدة الشاطئ الشرقي من البحر الادرياتيقي فوقفت على ميناء ايسرندا (سرنديوس) والاروام يسمونها سنت كواره وهي اسكلة تركية في بلاد الارناؤود المشهورة باسم ألبانيا يسافر منها أهل هذه البلاد أو بلاد الجبل الاسود المشهورة باسم قره طاغ وهي مركبة من لفظتين تركيتين قره (اسود) وطاق (جبل).

وهذه الاسكلة ليست الا عبارة عن رصيف صغير للفلاكل فقط من ورائه بناء لجميع عمال الادارة والجمر وكومن حوله بعض العيش التي يسكنها الفلاكلية وبجوارها مكان قديم مهدم من عهد الحرب التركية اليونانية الأخيرة فان اليونان لما انهزموا في دومكو وما بعدها غلت صدورهم حنقا على الاتراك وأرسلوا دونتمتهم الى تلك الجهة سنة ١٨٨٤ فقذفت عليها خمسة وستين قنبلة فأخطأت كلها الغرض الا واحدة منها أصابت المنزل المذكور فخطمته من احدى جهاته ثم أنزلوا فيها عساكرهم ولما لم يعرفوا الى أي طريق يلقون بأيديهم في هذه البلاد التي قد لفظتهم اليها سفنهم وفكروا في شدة آلهما وبطش رجالها التي ترتعد فرائضهم من مجرد ذكرهم . استولى عليهم الخوف والرعب وعادوا الى مراكزهم وركبوا الى حيث حبسها الاتراك وأغرقوا بعضها في خليج بريفيزا مما هو معلوم في تاريخ هذه الحرب التي دارت

عليهم رجاها . وحلت بهم بلواها .  
وفي هذه المينا حركة تجارية مهمة والتجارة التي ترسل اليها والسفار الذين  
يقدمون عليها تحمل على بغال أو خيل يستأجرونها الى الجهة التي يريدون التوجه  
اليها وأهم جهة قريبة اليها هي مدينة اسكودره وهي قصبه ولاية تركية تسمى  
باسمها وتبعد عن هذه المينا يومين على البغال . في درب مطروق في الجبال .  
ولقد نزل اتي صر كينا من هذه الاسككة كثير من أهل القره طاع ومن  
الالبانيين وكلهم تقريبا كانوا من ركاب الدرجة الثالثة فصعدوا بامتعتهم الى  
ظهر الوابور وكان عليه كثير من اليهود واليونان وكان فيما بينهم بعض قاطني مصر  
من الاروام المعروفين فينا بطول الباع وكثرة الشهامة وعرفت أحدهم وهو  
يقال بالعباسية فوالله ما هو الا أن صعد أولئك الوافدون وألقى كل برحاله  
حيثما وقفت به رجلاه حتى حمل كل من أولئك المحتملين قبلهم متاعه وهرب  
من وجههم الى ما يقرب من بيت النار وبئس القرار . وتركوا لهم المحل خاليا والجو  
رائقا وكأنهم يقولون في أنفسهم (يا جالسين الله يكفيكم شر القادمين) . فاندهمت  
لهذه الحركة ونظرت الى القادمين فوجدتهم كأنهم من الجان وهم وان كانوا  
أقل إزعاجا منهم في حياتهم الا أنهم أكثر شرا في غضبهم . وأهل الجبل  
الاسود يلبسون شبه بنطلون رجلاه ضيقتان تكادان تكونان ملتصقتين على  
سيقانهم وسلطة حمراء وشبه طربوش قصير من غير زر ملفوف عليه شريط  
أسود وأغلبهم مسيحيون والالبانيون يلبسون ذلك البنطلون بنفسه وسلطة  
سوداء أو بيضاء في الغالب وطربوشا طويلا أو لبدة بيضاء خفيفة من الشكل  
الذي يسميه فلاحو بلادنا (باللبدة الافرنكي) وجلبهم من المسلمين . وهذا  
الجنسان وان اختلفا دينا الا أنهما اتحدتا طبعا فترى فيهم لين الخلق مع الشهامة

الكاملة حتى ان من يقصد هم بشر ولو بكامة واحدة تشعر باهانة خفيفة فلا يجد منهم جوابا عليها سوى سكين مسالولة أو غدارة مصوبة نحو مقتله وهم أسرع من اليونانيين عندنا في ذلك الا أنهم لا جبن فيهم ولا يترددون فيما يقصدون . ولكل من النوعين لغة خاصة به بين الصربية والبغارية ويتكلمون باللغة التركية لداعي تبعية أحدهما للدولة العلية وسابقية تبعية الآخر لها . وقد ظهر لي من تكاكرهم على بعضهم ومن خشونة ما أكلهم ومشرهم وجشوبة ملبسهم وعدم نظامهم في حديثهم ومجالسهم ونومهم أنهم كالبدو في جميع أطوارهم لا ترتيب ولا مراعاة لقواعد مخصوصة في ذلك كله فترى في مجالسهم هذا نائما وذلك قائما وغيرها مضطجعا ومن بينهم من يأكل أو يدخن والكل يتكلمون معاً ونساءؤهم يزيون الى جانب وحدهن . وهم أبعد عن الاعراب من أن يكونوا تحت أية سلطة نظامية وهذا طبع فيهم أبدى وأظنك سمعت به وقت حرب الدولة العلية الاخيرة مع اليونان اذ لولا عدم نظامهم فيها لكانت رجال الدولة المحروسة قبضت من غير شك على ولي عهد الحكومة اليونانية الذي كان القائد العام لجيوشها في هذه الحرب .

وكانوا يغنون في كثير من الاحيان وأغانيتهم حماسية وهي أشبه بأغاني مراكية الصعايدة عندنا تماما في نغماتها وضريرها لا يفهم منها الا أنها صوت من الاصوات .

وكلهم صغيرهم وكبيرهم يحملون السلاح وربما كانت نساءؤهم تحمله أيضا لاني لم أتمكن من رؤيتهم لشدة ماضربن به عليهن من خمرهن .  
وجميع هؤلاء كانوا يقصدون الاستانة طلبا للرزق بها حفظها الله كعبة للاسلام على مدى الايام وملجأ لكل يائس بائس .



﴿ مدينة كورفو ﴾

ثم وقفنا في مياه هذه المدينة وهي مدينة كبيرة يبلغ عدد سكانها أكثر من  
عشرين ألفاً وبها رصيف صغير على البحر بجواره حمام بحري إلا أن السفن  
لا ترسو عليه بل تقف بعيداً عنه نحو نصف كيلومتر فنتشر القلائك حولها  
مما لا يحصى عدده لنقل الركاب والبضائع إلى البر أو منه إليها وأهل هذه  
المدينة يظهر أنهم فقراء فإن أغلبهم من الفلائكية وبعضهم يصعد إلى السفينة للتسول  
أو التلصص ومنهم من يبيع التبغ أو العصي الخشب التي يرسم في يدها صورة  
حيوان بالحفر وهكذا مما لا قيمة له . وأبنيتها جميلة على الطراز الغربي وترتفع  
إلى ست طبقات وهي مبنية على سفح جبل ومدججة عليه مما يكسبها شكلاً  
جميلاً وفيها سراي الملك وهي التي كانت بنتها الانكاز مقر المديرة الجزيرة وعلى  
جانبا الغربي طابية متصلة بالمدينة وفي الجانب الشرقي جزيرة صغيرة فيها  
قلعة وقشلاقات للجنود ابتنتها الانكاز أيضاً يصلها بالمدينة كوبرى متحرك  
وفي مياهها غالباً ترسو الدونامة اليونانية .

وهذه المدينة هي عاصمة جزيرة كورفو المشهورة قديماً باسم كورسيرا  
ولهذه الجزيرة أهمية عظيمة في موضعها لأنها في مدخل البحر الأدرياتيقي  
بل هي مفتاحه الوحيد ولذا كانت تلتحقها الدول فكانت لليونان ثم أخذها الرومان  
ثم الفينيقيون ثم النورمانديون ثم الاتراك ثم الفرنسيون الذين لم يتركوها إلا  
سنة ١٨١٤ بعد أن أقاموا فيها أكثر من عشر سنوات ومن ثم كوّنت هذه  
الجزيرة مع ست جزائر أخرى حكومة تسمى جمهورية جزائر الارخبيل تحت  
حماية الدولة الانكليزية إلى أن تنازلت الانكاز عنها إلى ملك اليونان سنة ١٨٦٣

وهذه الجزيرة تبعد عن برندزي بنحو ١٢٠ كيلومترا وعن أراضي البانيا بنحو عشرة كيلومترات ومساحتها تبلغ ١٠٩٢ كيلو مترا مربعا وعدد سكانها ١٦٥ ألفا ويغرس بها البرتقال واليوسف افندي والكرم والتين والزيتون كما تزرع بها الذرة والشعير والقمح وجوها كثير البرودة في الشتاء شديد الحرارة في زمن الصيف . وبعد ان وقفنا في مياهها نحو ساعتين سار بنا الوابور حتى وقف بنا في مياه بتراس وهي مدينة كبيرة أبنيتها على شكل قوس على مينائها ويكتنفها الجبل من شرقها وتنتهي من جهة البحر برصيف المينا الذي لا ترسو عليه السفن الكبيرة ومن هذا الرصيف يمتد رصيف آخر عرضه نحو عشرة أمتار داخلا في البحر عموديا عليه الى مسافة مائة متر تقريبا وفي نهايته فانار صغير يوجد بأسفله قهوة تحيط بها كراسي وطرايزات وأظن هذا المكان هو المحل الوحيد لنزهة القوم في الصيف .

أما المينائي فليست بذات أهمية وهي شرقية لولا انها تميل كأهلها الى الالتصاق بالغربي من حيث ميل سقفها على انها لانظام بها لانك ترى منها الكبير والصغير والحقير والفخيم وكلها بجوار بعضها وطبقاتها تختلف من واحدة الى أربع وهي المينا الغربية لبلاد اليونان وبينها وبين أثينا عاصمة البلاد ١٧٠ كيلومترا يقطعها وابور السكة الحديد في خمس ساعات ويرسو على هذه المينا مراكب البوسطة التي لحكومة اليونان وغيرها من البواخر الاوروية التي تسير من موانئ أوروبا عن طريق القسطنطينية وأودسسا أما المراكب الشرعيةية بها فعددها فوق الحصر .

وهذه المدينة قديمة جدا ولها ذكر في التاريخ القديم وعدد أهلها الآن يبلغ ٣٥ ألفا ولها تجارة مشهورة في الزبيب والرمان والبرتقال والليمون ولقد

استولى عليها الترك في سنة ١٧٧٠ ثم أخذها الفرنسيون سنة ١٨٢٨ ومنحوها  
نعمة الاستقلال الا أنه لم يدم كثيراً حتى انضمت الى حكومة اليونان وهي  
الآن رأس مديرية من مديرياتها وبها آثار رومانية ويونانية .

ثم بعد ان أقمنا بها بضع ساعات أقلعنا منها الى مياه ييرا وهي مدينة  
كبيرة أشبه في وضعها بالمدن المصرية من بعد وهي تبعد عن القسطنطينية بمسافة  
٣٦٠ ميلاً وعن ازمير بمسافة ٢١٠ أميال ولها خليج كبير يمتد عليه رصيف  
مينائها من الجهة الجنوبية الشرقية تتلوه الابنية على هيئة قوس عظيم وفيها  
ابنية كثيرة ملطخة بالطين مما يدل على فقر أهلها . ويبلغ عدد سكان هذه  
المدينة ٣٥ ألف نفس وتبعد عن أثينا نحو ثمانية كيلومترات وهي قديمة جدا  
ولكنها ربما تكون قد أخذت في عمران جديد لاهمية موضعها وحركة التجارة  
بها واكونها هي الميناء الشرقية لبلاد اليونان . ولما كان من الضروري انتظارنا بها  
الواور الذي يقلنا الى مصر نزلت اليها بفلوكة وطففت في شوارعها فوجدت  
الجديدة منها مخططة تخطيطا جيدا ويوتها جديدة ومتوسطة والمصريون اكثر  
الناس معرفة بأخلاق هؤلاء اليونانيين الذين يطلق عليهم اسم الاروام عندنا .  
ولقد رأيت الوشم ( الدق الاخضر ) شائعا عندهم في ايديهم وعلى صدورهم  
« كما رأيت شائعا في رومانيا على الجهة الانسية للساعد ( باطنه ) ورأيت شيئا  
منه في بلاد الروس والمانيا » وربما كان ذلك غير ممقوت في نظرهم كما هو  
ممقوت في نظر الكثير من المصريين .

والقوم في غاية الفقر المدقع الذي قعد بهم عن العمل فتراهم كلهم  
أوجلهم لا عمل لهم الا التشرد في الشوارع أو الجلوس على القهاوى وهم حفاة  
في الغالب يكادون أن يكونوا عراة فقد كرت حالتهم في مصر وكيف انهم

يهربون اليها فيكرمهم أهلوها ولا يمضي عليهم الزمن اليسير حتى يكونوا اكثر  
الناس ثروة وأعظمهم جاها فينسبون ما كانوا عليه وما وفدوا به الى هذه البلاد  
من الذلة والحقارة والهوان ويستبدون بخلق الله وينتقمون من الزمن الذي كان  
أصقهم ببلاط أرض بلادهم في شخص المصريين الذين أكرمواهم وأغنواهم من  
فضلاتهم وأسعدوهم من جوارهم ومع ذلك كله فقيهم من القسوة عليهم ما لا يمكن  
وصفه فانهم لا يحسنون الى فقرائهم ولا ينظرون اليهم بشيء مما أخذوه منهم  
سواء بحق أو بغير حق . وعساك تذكر المثري الشهير أو قوروف الذي مات  
بالاسكندرية وترك من الأموال ماترك وكتبها كلها الى خيرات بلاده وبني  
قومه ولم يتذكر أولئك المصريين الذين جمع ثروته من دماءهم بل ولم يفكر هذه  
الأرض المصرية التي ضمت جسمه في حياته وبعد مماته بشيء من هذه المبرات  
يكون أثرا فيها من بعده تحمده عليه مصر والمصريون . ثم أقلعنا من مياه هذه  
المدينة ميممين وطمنا العزيز فررنا شرقى جزيرة كريد وهي تبعد عنها بمسافة ١٩٥  
ميلا ولم نزل سائرين حتى وصلنا قبيل ظهر يوم ٢ سبتمبر الى مياه الاسكندرية  
بسلام .

### ❖ التبغ (الدخان) والمشروبات الروحية بأوروبا ومصر ❖

التبغ كثير الاستعمال بأوروبا والقوم بالنمسا يدخنونه كثيرا خصوصا في  
حبيبات يبلغ طولها نحو ٤٠ سنتيمترا كثيرة الانحاء من أعلاها وهو شائع  
عندهم في الرجال والاطفال وخصوصا الطبقة السفلى منهم والطبقة العليا تدخنه  
غالبا في السيجار أو السيجارات وكذلك أهل ألمانيا والبلجيك الا ان حبيباتهم  
قصيرة ولقد رأيت كثيرا من البلجيكيين يمضغونه كالبدو والبرابرة عندنا الا

انهم لا يأخذون معه الملح الذي يسمونه بالنظرون . وفي فرنسا يدخنون السيجارات في الغالب والدخان يردّها من بلاد الغرب والنشوق شائع عندهم حتى انى مذكنت بالمعرض رأيت أحد رجال البوليس يحدث سيدة فقدم لها علبة فأخذت جانباً منها وسحبته الى خياشيمها من غير ان يعطسها فأخذت من ذلك أنهم معتادة عليه الا ان التدخين على وجه عام من معائب النساء في أوروبا وهو جريمة لا يغتفرها لهن التمدن الحديث وأنتم بهامن مدينة صادقة .

والتبغ المستعمل في أوروبا رديء جداً بحيث انك لا تستطيع استعماله وهو أشبه شئاً بتدخين التبغ ولذلك فان الدخان المصرى عندهم غال جداً وهو من أحسن ما يهدى اليهم فان الخمسة والعشرين سيجارة منه التى يبلغ ثمنها فى مصرنا قرشين صاغاً ثمنها هناك خمسة فرنكات أو أكثر وذلك لارتفاع قيمة الجمارك التى تؤخذ عليه خصوصاً فى إيطاليا التى تأخذ على الكيلو الواحد ما يقرب من عشرين فرنكا وفرنسا لا تقبل عنها فى ذلك الا شيئاً يسيراً وكذلك باقى ممالك أوروبا لاسيما بلاد الانكليز .

أما سويسرا فانها أكثر الجميع اعتماداً فى ذلك ولذا فالدخان المصرى أكثر شيوعاً فيها وأقل ثمناً منه فى كل أوروبا .

والسجائر الرومانية والروسية مع شهرتها تراها أقل قيمة وثمناً من السجائر المصرية والروسية منها غالبية جداً حتى ان العشرين سيجارة الرفيعة التى نصفها من الورق والنصف الاخر من الدخان تساوى ثلاثة فرنكات وجميع أنواع السجائر الأوروبية ليست محكمة اللف مثل المصرية .

وكل صنوف الدخان الا فرنكى من سيجار وغيره تراها فى مصر أرخص منها فى بلاد أوروبا وذلك لاحتكار حكوماتها اياها حتى ان السجائر التى تباع

هنا بقرش تعريفة لا يمكنك أخذها هناك الا بنصف فرنك والكبريت فيها  
غال جدا وخصوصا في فرنسا فان العبوة الواحدة يبلغ ثمنها فيها أكثر من  
عشرة أمثالها بمصر لاحتكار الحكومة له أيضا . أما الشيشة فاني لم أر هناك  
استعمالها مطلقا على ان الافرنج شعروا الآن بما يعتري البنية الصحيحة من الفساد  
والتسمم من كثرة استعمال التبغ واخذوا ينصحون ويصيحون بالتباعد عنه  
ويعددون البلايا والمضار التي تنجم منه .

ومع كل فانك ترى المصريين يتهاقون على شربه كبارهم وصغارهم حتى  
اعتبره كثير من نسايمهم الآن من متهات تمدنن وقد يفقن الرجال في استعماله .  
وأما المشروبات الروحية فهي وان كانت عمومية عندهم لكنهم لا يستعملونها  
الا على قدر الحاجة اليها للاستعانة بها على برودة بلادهم والسواد الاعظم منهم  
لا يشربها الا على المائدة فالفرنساويون يشربون خصوصا نبيذ العنب والنمساويون  
والالمانيون يشربون البيرا ولاروس مشروب يشبه البوزة المعروفة بمصر  
الا أن الجميع معتدلون في شربها وعلى كل حال فرما كان القدر الذي ينفد  
من جميع صنوفها وأنواعها في أوروبا كلها يساوي ما ينفد منها في مصر وحدها  
على ان الاوروبيين فطنوا الآن الى مضرة هذه المشروبات وقامت فيهم جمعيات  
كثيرة تنادى بعدم استعمالها بالمرّة لما فيه من الضرر بالصحة أما نحن فمع استعمالنا  
لها في بلادنا الحارة التي لا تخفى شدة ضررها فيها فضلا عن تحريم الشارع لشربها  
نراها بالعكس من متهات التمدن الحديث حتى ذهب بنا الخبط الى الحكم على من  
لم يشربها منا بأنه ليس بتمدن وهكذا شأن البلاد التي تسير القهقري  
يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسنا ما ليس بالحسن  
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

﴿ الحكومة والاهالى بأوروبا ومصر ﴾

ان هيئة الحكومات فى أوروبا سواء كانت الحكومة ملكية أو  
امبراطورية أو جمهورية محترمة للغاية مادامت تعمل فى صالح الاهالى والأمة  
راضية عنها ومعنى عملها فى صالح الاهالى ان ادارتها تكون منتظمة عادلة  
وسياستها سائرة على محور مستقيم ولذا فانك ترى مراكز الوزراء لا تعطى  
الا الى أكبر الناس عقلا وأمتهم علما وأكثرهم حزما وأعلمهم قدرا وأقواهم  
كياسة وأحسنهم سياسة فاذا أتوا بما ليس فى خير أمتهم انسحبت عليهم السنة  
الاهالى وأقلام كتالهم وطلب مجلس النواب إما اسقاطهم أو الاقتراع عليهم  
فان كان لهم فهم على حالهم وان كان عليهم استقالوا من مراكزهم وحلها  
غيرهم

والهيئة الحاكمة لا تتداخل بالمرّة فى شؤون الافراد الخاصة بل تعمل للخير  
العام فتترقى الأمة بعملهم ويرتفع شأنها على نسبة جدهم واجتهادهم وسهرهم  
على مصلحة البلاد والعباد

ومع هذا فان الأمة نفسها لم تتنازل بأن تسلم للحكومة زمام أفرادها  
تقودهم به الى حيث تشاء وتختار ويكون منها بمثابة الآلة تحركها كيفما تريد  
ولكنهم يعملون معها على خيرها فترى الناس يجتهدون فى ترقية شؤونهم  
الخصوصية كل فيما هو ميسر له : فالنجار يفكر فى ترقية صناعته والحداد  
لا يألو جهدا فى تقدم حرفته والتاجر لا يعمل الا فى ترويج بضاعته والزارع  
لا يشتغل الا بتسمية زراعته والعالم لا أدب له الا فى نشر معرفته والسياسى لا يهتم  
الا بنجاح سياسته ولذلك فانك ترى الواحد يعمل لنفسه وللـكل فى

آن واحد واذا فالكل يشتغل في خير السكل من غير ارتكان على أحد منهم ولا على هيئة الحكومة فيهم حتى كأن كل فرد من أفرادهم في عمله حكومة وحدها مستقلة لا تربطها مع هيئة الحكومة سوى المنظمات القانونية والوضاع الرسمية التي بها حفظ كيان الرابطة القومية وذلك كله في أحوال مخصوصة يكون الباعث عليها من الاهالى أنفسهم الا ما كان يختص بحماية مال . أو ما يدخل في الفائدة العمومية على كل حال .

ولذلك ترى الاهالى محترمين في عين الحكومة حتى ان رأي الأمة وهو ما يسمونه بالرأي العام له وحده كل التأثير في خطة سياسة الحكومة ونظام ادارتها وحفظ كيانها .

فلهيئة الحكمة لاتهم بمساعدة زيد على عمرو وانما كل اهتمامها في ايجاد تلك المشروعات العمومية على ما تسمح به ماليتها فان قصرت عن ذلك ألقها الى ما بين يدي الأمة . فسككها الحديدية وبواخرها التجارية وغيرها مما في معناها ان لم تكن بيد الحكومة فانما هي بيد الشركات الاهلية أو الاجنبية (وقليلا ما ترى ذلك فيها) ان لم تستطع الاهالى لها سيلا . وكأنها أرادت بذلك ان تجعل للاهالى من أنفسهم مرغبا وهاديا الى ما فيه خيرهم وما يعود عليهم نفعه . فيشب كل على العمل واستقلال الفكر وليس له من غير نفسه وازع ومرشد أمين فتكونت الشركات في سائر الحكومات من أهلها . هذه للصناعة على اختلاف أنواعها وتلك للتجارة . وغيرها لترقية الزراعة والمعارف . ومن ذلك المدارس فانك ترى الحكومات لها مدارس حسب ما تسمح به ميزانيتها ولكنها على كل حال لا تقوم بحاجة الاهالى وأغلبها من المدارس الابتدائية التي انما تربي فيها اولاد الفقراء والتعليم فيها على غير ما يرام لذلك ترى الاهالى فيها وقد تكاثفت وتكاثفت



على انشاء مكاتب التعليم الابتدائي والثانوي والعالى ونظمته بترتيب يوافق  
مصالحها ويكفل نجاح بنيتها وهى عندهم تجارة من أكثر التجارات ربحا لما يعرف  
القوم من قدرها وجيل نتأجها مما أغفلناه فى بلادنا وحصل على الفائدة منه  
الجزويت والقرير والامريكان فيها على ما هم عليه من السياسة فى مقصدهم  
من تغيير الدين واضعاف اليقين ممن بين أيديهم من أولئك الناشئين ولولا أن  
هذه الفكرة اصبحت معروفة عنهم فى بلادنا لكانت مدارسهم أوسع  
نظاما واكثر طلابا وأسعد حظا مما هى عليه الآن .

وغاية ما يراه الاوروبيون من مساعدة حكومتهم لهم انها ترشدتهم  
الى ما لم يخطر على فكرهم مما عساه يكون فى مصالحهم أو تعيرهم يد معونتها  
فى نشر الصناعة ورواج التجارة سواء فى دائرتها أو خارجا عنها . فتراها ترفع  
قيمة الجمارك على البضائع التى ترددها من الخارج الى الحد الذى لا يكون من ورائه  
ربح لاربابها وربما كانت فيه الخسارة عليهم فكسدت بذلك واردات الحكومات  
الآخري وهذا هو اكبر عامل على ترويح تجارتهم وصناعاتهم يعقبه بلا شك  
تقدمها وترقيتها ورفعة شأنها . وعدا ذلك فانها تساعد الاهالى على نشر أعمالهم فى  
الخارج سواء فى مستعمراتها أو فى غيرها وهذا هو الحرب المستمر بين  
الدول وبعضها .

أما عندنا فترانا على الدوام ناقلين على الحكومة لانا لانعرف لنا أما غيرها  
ولامريا سواها بل ولا ربا الاياها فترانا نؤاخذها على الصغيرة قبل الكبيرة  
حتى اذا اشتكى أحدنا من وجع فى يده أو فى ضرسه منعه عن العمل أو الاكل  
فربما ألصق سببه بالحكومة ونقم عليها وسلقها بلسان أحد من الحديد القاطع .  
ترانا على الدوام ناقلين عليها فى عدم انشائها معامل للصناعة أو مدارس

للتجارة نلغنها في كل ثانية على تضيق دائرة المدارس وحصر المواد التي تدرس  
بها في حثالات علوم أوبقايا فنون أو قشور معارف لا تسمن ولا تغنى من  
جوع .

نظن أن لنا هذا الحق فيما يختص بمستقبل أولادنا الذي نسميه على  
الدوام بالمستقبل المظلم . حتى كأن أولادنا اشتريتهم الحكومة منا أو وضعت قانونا  
يلزمنا بتعليمهم في مدارسها ومنعت اشتغالهم بالصناعة التي يستمد منها العلم أبوايه .  
إذا تحقق ما تقولون فيما بينكم وما تكتبونه في جرائدكم مما يتردد صداه كل  
يوم في جميع الاندية المصرية وغيرها فلم تضيعون وقتكم في نعمتكم على الحكومة  
التي لا تعيركم أذنا ولا تقبل منكم رجاء ؛ ولماذا تترك تربية أبنائنا إلى هذه اليد القاسية  
التي تقودهم إلى حيث يكون الشر كل الشر على زعمنا ؛ ولم لا نتدارك أمرنا  
ونعقد الخناصر ويكون لكل منا من أخيه أقوى ناصر ونشيد مدارس تكفل  
الصالح والنملاح لفلذات أكبادنا وتربيتهم فيها على القواعد التي تضمن لهم سعادتي  
المعاش والمعاد ؛ لم لا يجتمع تجارنا وأغنياؤنا وفلاحونا ويفتتحون معامل  
للصناعة ومدارس للتجارة والزراعة يربون فيها أبناءهم حتى ينشؤا أحرارا  
أخيارا يزاولون مهنتهم بترتيب ونظام وسعادة وسلام .

أما أنا فلا أقول بمؤاخذة الحكومة على نظامها التعليمي مهاسات حالته  
وهي لم تضيقه في وجه الاهالي ولم تقلل من مواد الممارات من انهم يريدون ان  
يكونوا على الدوام عبيدا ارقاء لها باستخدامهم في مصالحها حتى ان فكرتهم العمومية  
من حيث حياتهم المعاشية والادبية تنحصر في خدمة الحكومة . ويرون  
ان ذلك انما هو منتهى السعادة والرفاهية . ترى الرجل منا يتوهم ان تعليمه  
وحسن تربيته لابنه الذي شب على فكرة التوظف في مصالح الحكومة لا ينتجان

نبحه الا اذا درج في سلك موظفيها ولو بأخس الوظائف من حيث درجتها ولا يكون له اعتبار ولا احترام الا بذلك بين من عرفه ومن لم يعرفه وقد فشا هذا الداء في جميع الطبقات حتى أن الباشا أو البيك مثلا اذا تم ولده الدراسة بالمدارس تراه يأخذ عربته ويقصد الدواوين ويمضي نحو سنة أو أكثر بين غدو ورواح من بيته اليها ومنها الى بيته مترجيا ملتسما بل مستغنيا في ايجاد وظيفة لابنه يشغل وقته فيها او بعبارة أخرى يضع أيامه الثمينة في التشاغل بها في نظير أجر زهيد لا يقوم بنفقات ركوبته اليومية اليها .

تري الرجل الفقير اذا أخذ ولده الشهادة الدراسية النهائية ولم يسعده الحظ بخدمته في الحكومة يندب حظه ويتردد ولده قائلاً انه قد خابت فيه تربيته وضاعت أيامه وسعادته وتآبدت شقاوته .

وحقيقة فانه يمضي أيامه من غير ماعمل لانه لا يرى للحياة معنى الا في طريق التوظف ويكون عالة على أهليه طول حياته الشلاء وهو مع ذلك مسكين أى مسكين . لا تمر عليه لحظة الا ويندب فيها حظه ويبكى شبابه ويأسف على أوقاته الثمينة التي قضاه في مزاولة العلم الذي يراه يضيع منه سدى على طرايزات القهاوى فان كان على النفس رفيع المهمة فربما تخلص من عيشته السوداء بالانتحار أو الالتجاء الى ديار غير هذه الديار .

تري السيدة اذا قصدها أحد التجار المشهورين بالثروة والمال وحسن السير والسيرة وطلب الى والدها زواجها تسمع بأنفها مع أهلها ويحتقرون هذا المسكين وليس ذلك لذنب ارتكبه أو لجناية اقترفها ولكن لكونه غير موظف في مصالح الحكومة لا بفكرة أنه يخدم مصلحة الاهالى خدمة عامة ولكن ليقال الافندى توجه اليوم الى الديوان أو حضر منه أما اذا قيل توجه البيك الى الدكان فهي

جريمة لا تغتفر وحقارة ليس بعدها حقارة . هذا يا قوم سبب تأخرنا الى الحد الذي لا يمكن ان نرى لنا معه مدنية حتى بالمكر سكوب أو التلسكوب . وهذا ولا شك علة احتقار الحكومة للناس عموما وللموظفين خصوصا لانها اذا استغنت عن واحد من هؤلاء وجدت على أبوابها الوفائتمون لو كانوا في محله ويقومون بعمل أكثر من عمله بأقل راتب منه .

فعلينا اذا أن نعلم ابناءنا العلوم والمعارف على انها مرشدة للخير وداعية للرشاد وهادية الى السعادة ومفتاح لا بواب الرزق مهما تشعبت مسالكه واختلفت طرقته . فيصبح الموظف عزيزا . والصانع متفطنا . والفلاح عالما . والتاجر عارفا بدقائق تجارته وهنالك يسعد حظ المستخدمين منا . وينفتح امامنا باب الاختراع . وتقوم الفلاحة من حضيضها في بلادنا وهي زراعة محضة كما تعلمون ويتسع نطاق التجارة بين الاهلين فيتبادلون معا ثروتها التي هي الآن في أيدي الاجانب . أفيقوا رحمكم الله من غفلتكم بل قوموا من رقدتكم ولا تقولوا الصيف ضيعت اللبن ولا تفكروا ان الوقت قد فات بل مات فانما كل ميسر لما خلق له ومن طرق الباب دخل . ومن سار على الدرب وصل .

وان لكم اسوة حسنة في بعض شباننا العالمين الراشدين العاملين الذين تركوا خدمة الحكومة أخيرا الى مزاولة المحاماة أو التجارة أو الزراعة ممن يمدون على الاصابع وما منهم الا من عائلة شريفة قد جاهدوا في ابراز مشروعه الى حيز الوجدان فقد فتحوا لكم الباب جزاهم الله خير الجزاء .

﴿ الاهالي والمدنية عندهم وعندنا ﴾

كنت اذا سمعت لفظة أوروبا افكرت انها عالم آخر غير عالمنا وناسها

غير ناسنا وأرضها غير أرضنا وسماؤها غير سمائنا وتخيلت انها اذا كانت مصدر  
العرفان ومحل نشأة العلوم والمعارف الحديثة ومهد الصناعات ومكان تلك  
القرائح التي أورى زندها عن هذه المخترعات التي تدهشنا بمراها فتستطيل  
الاعناق منالى مشاهدتها في مكان علاها وكنت مع هذا كله أحسب أن كل  
من أقلته تلك الغبراء وأظلمته هذه الزرقاء في الطبقة العليا من عالم الانسان  
اذا اعتبرنا أنفسنا في الدنيا منها أو انها أرقى حلقة في سلسلة الانسانية .  
فلما توجهت اليها وجبت أرضها وجست خلالها فاذا علمهم كعالمنا وناسهم كنا سنا  
وهم وان اختلفوا عنا في بعض أزيائهم الا أنهم اتحدوا معنا في جميع مراتبهم فتجد  
فيهم العالم والجاهل والعامل والخامل والنيه والبليد والذكي والغبي والمؤدب  
والبديء والذنى والفقير والرزين والطائش والمائل والمجنون والشغال والبطال  
وبالجملة فانك لا تكاد ترى الفضيلة الا وبجوارها تلك الرذيلة .

انظر الى عاصمة العواصم وزهرة البلدان ومصدر العلوم والعرفان  
ومنهل المدنية والرفاهية ألا وهى مدينة باريس فترى أهلها قد تحلوا بلباس  
الآداب والمدنية والحضارة لا يمكنك الا أن تأخذهم مثالا فيها . وبجوارهم من أهل  
المدينة أولئك الذين تهرب من وجوههم الوحشية وتأبى أن تلتصق بهم الخشونة  
والبهيمية . ترى أناسا من أفضع ماترى من جنس الحيوانات الضارية فى الغابات  
التي فيما وراء خط الاستواء من افريقيا ذوي هيآت مخيفة ووجوه مغبرة وأصوات  
مرعبة تصدر عنها عبارات شنيعة وأخلاق زنية وأفعال ذميمة ولغات مختلفة  
وطباع غير مؤتلفة لا يوقرون كبيرا ولا يرحمون صغيرا فلا ترى منهم الا  
ضلالة فى جهالة يهرب منهم كل من وقع بصره عليهم من أهل البلاد أنفسهم وهم  
ليسوا فى أعينهم الا شرايتقونه أو يهربون منه واذا عثر أحد هؤلاء المتمدنين

بواحد منهم فكأنه قد وقع بين يدي وحش مفترس في صورة انسان لا يرعى لولى  
نعمة ولا لقانون ذمة ولا يجد في نفسه على ضعيف رحمة وقل ان يتخلص منه من  
غير ما صدمة أو لظمة والنعمة والنقمة والفضيلة والرذيلة عندهم على السواء وهو لاء  
اسمهم القويو « Voyou » المتوحشون .

فاذا فطنت وأعمت فكرك في النسبة بين الافراد عندنا وعندهم فانك  
تري فينا ما تراه فيهم من الكمال الشخصى من حيث العقل والعلم والحكمة  
وتجد الطبقة السفلى منا أرقى منها عندهم بكثير . ولكن الذي جعل هذا الفرق  
الشاسع بيننا وبينهم في الماديات والادبيات هو شئ واحد تراه فيهم وهو  
معدوم فينا .

هذا هو ان جميع افرادهم تعمل لجلتهم حتى جعلوا لهم عصبية يتصبون  
لها ويرفعون من قدرها فتكون منها شخص الامة العاملة الحية التي يسعون  
في سبيل سعادتها ولا تأخذهم عن الاخذ بناصرها سنة ولا نوم . فالامة تحيا  
بهم وهم يحيون بها . كونوها بجامعتهم ورفعوها بسواعدهم وأحاطوها بأسوار  
من مرجهم وبدلوا في المحافظة عليها النفس والنفيس فبدت للعيان في مظاهر  
القوة والمنعة في شخص حكومتها التي يعيشون في ظلالها ويرتعون في مجبوحاتها  
ماداموا ناصرها ومحافظين عليها .

يقوم كل واحد بصاحبه مادام هو قائم به ولذا فانك تجد هذه الحكومة  
نفسها تشتغل لصالح الاهالى وتسهر على منافعهم بل تصل الليل بالنهار بل الساعات  
بالدقائق بالثواني فيما يعود عليهم بالخير والرفاهية لانها ترى انها انما قامت  
بهم بل تعتقد ان وجودها بوجودهم وحياتها بحياتهم وسعادتها بسعادتهم وشقاءها  
بشقاؤهم فهي منهم وهم منها كالروح من هذا الجسم يقوم أحدهما بالآخر

مادام ملتصقين ببعضهما . وقد انظر القوم الى اهتمام الحكومة بهم وسهرها عليهم  
فأمّنوا على أنفسهم وناموا في راحة بال وتسهلت امامهم طرق العيش فعملوا الثروتهم  
وحضارتهم ولترقية صناعتهم ومعارفهم ورفعوها الى الاوج الذي ارتفع بهم الى  
حيث ظهروا امامك بل من فوقك وأنت تراهم كالنجم بدا سناه وبعد مناله حتى  
كانهم فطنوا الى أن الله تعالى ما خلق لهم عينين الا لينظروا بواحدة منهما فيما يعود  
نفعه على جامعهم وبالاخرى فيما يرجع خيره الى أشخاصهم وهذا الخير  
وتلك المنفعة متضامنان في نظرهم على كل حال وفي كل آن . تراهم ينظرون الى  
الوجهتين بقوة واحدة لا يقدمون احدها على الاخرى ملاحظين انه اذا  
ضعفت إحدى العينين سرى ضعفها بحكم الطبيعة الى الثانية فيحافظون على كليهما  
حتى تكونا على الدوام في قوتيهما .

هكذا شأن الامم الغربية التي وصلت بعصيتها وحياتها الى أن أصبحت  
من القوة والمنعة والثروة والسعادة والسيادة بحيث لا يضارعها فيساواها .  
أما عندنا نحن المصريين بل الشرقيين فكل فرد ان عرف بابا للعمل  
فهو يعمل لنفسه صغيرا كان أو كبيرا وكأنه خلق وحده لا يرى للجامعة رسما  
ولا يعرف لها الا هذا الاسم الذي تراه على الدوام يلهج بحروفه ولا يعرف  
له معنى ولا واجبا يقوم به نحوه .

ترانا على الدوام نقول أمتنا خادمة أمتنا نائمة أمتنا ميتة كأن الامة شخص  
آخر نراه بأعيننا ونحكم عليه بما نجد من صفاته وما هي اذا فكرنا الاتك  
الصورة التي يراها من نفسه كل واحد منا في مرآته وكأنني بحقيقة الامة  
معدومة فينا بالمرّة لانه اذا كان لجامعة لنا فلا صورة لهذه الجامعة واذا فلا أمة .  
وعلى ذلك فكلام كل واحد منا في شخص الامة راجع الى شخصه

لانه ليس في نظره غيره .  
هذا هو شأننا معشر الشرقيين يحسد المرء أخاه على نعمته ويتمنى زوالها  
من يده ولو الى الشيطان . لا ترى لعالم فضلا ولا لتقى فضيلة ولا لمخترع مزية ولا  
لواعظ تأثيرا ولا لمرشد الى طريق اخير سوى ما ينبري لسلقه من السنة  
حداد فنشأ من ذلك عدم اهتمام الفرد بعمل الغير لانه لا يروق في عينه الا  
عمله صالحا كان أو فاسدا . نظر كل من أخيه ما يراه في نفسه منه فكانت نتيجة  
ذلك التقاعد والتحاسد والسعي وراء الشخصيات .

نشأ عن ذلك تقاطعنا وتدابرننا ونتج عنه ميلنا الى الغربي فبالغنا في  
الاحتراف به والاعجاب بعمله فان قال فهو الحق وان أرشد فهو الصواب  
وان طلب فهو المحاب وان كتب حرفا ولو سببا فينا فمن معاني كلامه  
العجب العجيب .

بالغنا في الاحتراف بالغربيين حتى لا تجد منا الا من يؤم بيوت تجارتهم ايشترى  
منها ما يروقه ويشوقه وتسبقنا على صب ما في جيوبنا من ذلك النفيس الذي  
قضينا في تحصيله أيامنا على خزائهم وسرت هذه البلوى الى بيوتنا حتى ان  
السيدات اذا أحضرت اليهن ما ينتغينه من هذه البضائع نفسها من أحد  
التجار الوطنيين وقلت لهن انه مثلا من محل مصطفى صبرى أو الجمال نفرن  
منها وابتعدن عنها كأنما قد التصقت بها صورة هذه الوطنية الممقوتة في أعيننا  
وقلن حاشا لله أن نلبس الا من بنك فرنسيس أو بسكال على أى حال من  
الاحوال .

سرى هذا الداء العضال في النساء والرجال والشبان والاطفال من جميع  
الطبقات والعلما منهاهى المرشدة الى هذا السبيل الذي يقودنا الى الدمار والوبال .



نتج من ذلك كله انحطاط الاعمال واهمال الصناعات وضياع الثروة بالقائها بين أيدي الاجانب فقويت بذلك شوكتهم وسمت كلمتهم وظهرت عصبيتهم وأصبحوا ولا غيرهم في هذه البلاد التي أصبح أهلها يستظلون بظلمهم ويستدينون من مالهم وهم بين راض عنهم ومادح لهم ومعجب بنشاطهم واجتهادهم بقدر اعجابنا بصحة المثل الشائع على ألسنتنا « مصر خيرها للغريب » كأنه آية من القرآن أو حكمة من أمهات حكم ارسططاليس أو لقمان أو دستور نافذ المفعول وضعته يد الايام وأمضته يد الزمان .

ولقد سرى هذا الضعف العموي أمام الاجنبي الى هيئة الحكومة فوهبته من الامتيازات ما جعلها والأهالي تستكين أمام عظمتها وتضطرب فرائصها خشية منه ورهبة .

ظهر من كل هذه المقدمات التي وضعناها بأيدينا وبمحض ارادتنا هذا الضعف العام الذي شمل جميع افراد الامة بل (استغفر الله) جميع الافراد الذين يحد بلادهم البحر الاحمر شرقا والايض شمالا وصحراء المغرب والسودان غربا والاراضي المشتركة جنوبا حتى أصبح كل وهو الكحل في نفسه وقد انحنى ظهره تحت أثقال ديونه من جهة وضغط يد السلطة الاجنبية عليه من أخرى وهو يتخبط في طريقه غير عالم بمصيره لا ترى منه الا وجهها مقطبا ولسانا يلهج بين كل ثلاثة وثانية بسبب الزمن تارة والأهالي أحيانا والحكومة في كل لحظة وهو لا يدري بأن قوتها بقوته وضعفها من ضعفه .

فاذا علمنا أن بين يدينا بقية من الحياة أو بعبارة أخرى أنا بين يدي هذه البقية لزمنا أن نحافظ عليها بالعمل في تقويتها تاركين وراء ظهورنا تلك الاقوال التي ليس من ورائها الا الفناء والاضمحلال ونشتغل بما يفيد ونجتهد في تكوين

جامعتنا التي نرى في معناها كل خير وسعادة .

من ذا الذي يمنعنا عن أداء واجباتنا الشخصية ؟ من ذا الذي يقف في طريقنا الذي نسلكه الى خيرنا وسعادتنا ؟ من ذا الذي يجبر على المسلمين منا الرجوع الى اصول دينهم والاخذ بمذنبته وآدابه ؟ من ذا الذي يحرم عليهم الاشتغال بشؤونهم القومية والعمل فيما فيه مصالحهم الذاتية ؟ أترى ان أحدا اعترض أقباطنا في هذا السبيل ؟ هل سمعت بشخص أقام لهم الموانع في طريقهم الذي اتخذوه الى ترقية أحوالهم ؟ كلا ثم كلا . أرجوك أن تنم معي نظرك قليلا في أحوال المسلمين في الهند تراهم قد نهضوا من سباتهم وقاموا من هذمتهم ونظروا الى ماضيهم فوجدوا في افقه كل فضيلة وأبهة وعظمة وسعود ومجد وسؤدد وحياة ثم نظروا الى مستقبلهم فرأوا في جوه كل رذيلة وحقارة وانحطاط وشؤم وسفالة وفناء فألقوا عن غاربهم أثقال ذلك الاهمال وبصقوا من أفواههم سخائف الاقوال دون الاعمال وقاموا وفي مقدمتهم هؤلاء الرجال الابطال وأخذوا يعقدون المجتمعات ويحشدون المحافل منهم باحثين عن سبب أدواء الاسلام والمسلمين وقد وجدوا أن أحسن شيء يوصل الى طريق الخير واليمن والسعادة إنما هو تأسيس المدارس وتربية البنين فيها على قواعد تضمن لهم الحياة الحقيقية الاسلامية في مستقبل أيامهم فعملوا ما قالوه وأتجروا ما قرروه وهم الآن سارون في هذا السبيل بمجد واجتهاد عجيبين . وما هم الا مدركو غايتهم وأمنيتهم في القريب العاجل ان شاء الله . هل عارضتهم حكومة الهند الانكليزية في ذلك ؟ كلا ثم كلا . فما يمنعنا اذا نحن الآخريين من النهوض والبحث في سبب سقوطنا وما به تكون رفعتنا وحياتنا وسعادتنا ؟ هنالك تنفتح عن رؤسنا سحائب هذه المصائب ونعيش بعدها كغيرنا من الامم الحية في

عيشة راضية وسعادة مستديمة والله هو الهادي الى سبيل الرشاد.

التربية فينا وفيهم

ان التربية الاولى عند الغربيين لاطفالهم من اوليات اهتمامهم واحاسن مبادئهم فتراهم يهتمون بتقويم جثمان الطفل منذ ولادته فيجعلون كل اهتمامهم بنظافته وملاحظته في كمال صحته من حيث تدبير غذائه وملابسه ونومه وهو مع ذلك كله لا تسمع أذنه اللطيفة من أمه الا كل ما يأنس له ويرتاح اليه . فاذا فطم فهو وحيدها في اهتمامها بتربية جسمه وعقله معا فترتب له وقته من أكل وشرب وفسحة ونوم وتسكته اذا بكى باستماته الى شئ غريب عنده مؤنس في نفسه يرتاح اليه ويهش به ويبدش مما يزيد في علمه وكان غريبا عنه فهي تشغله على الدوام بما يفيد من تعليمه كلمة يعرفها أو صورة شئ يقف عليها فلا يمضي عليه زمن يسير الا وهو يفهم ويتكلم هنالك تجاذب معه من أنواع الحديث الحديث ما يتصوره خياله ويدركه عقله الضعيف من عبارات رقيقة يحث مغزاها على فضيلة أو ينهى عن رذيلة أو حكايات من تاريخ صحيح عن عالم فاضل أو قائد مناضل أو حاكم عادل كانت غاية أعماله خيرا لنفسه ولبلاده على السواء . وهي مع ذلك تكثر له من ضرب الامثال المقبولة لذهنه في بغض الكسل وحب العمل والبعد عن البطنة والشرهة اللتين تلقيان بصاحبهما الى قبضة المرض العضال وهكذا من تلك الكمالات التي تقوم بنفسه وجسمه معا في آن واحد . وعدا ذلك فانها تلاحظ سيره وسيرته فتحمده على الصالح وتزجره على الطالح وتقلب معه في الحسن والقبیح مستعملة حكمة الحكيم . في ارشاده الى الطريق المستقيم . فلا يجد منها في اوليات أيامه غير معلم عليم ومرشد حكيم يدرس في

مدرستها مبادئ الفضيلة وحب العمل والادب وبنص البطالة والكسل  
والرذيلة . فتتربى فيه هذه الفضائل وهو في نعومة أظفاره وهو اذا تكلم فان  
فاه لا يفتر الا عن درر تتساقط من لسانه تغنى سامعها عن أغانيها . فاذا ترعرع  
وبلغ الخامسة من عمره وجلس في مجلس فانه يعرف آدابه ويلحظ والده وأصحابه  
ويظن الى كلامه وكلامهم حتى اذا سئل عن شئ مما دار الحديث عليه أجاب  
برأى الناقد البصير مع حسن التعبير فاذا بلغ السابعة لم يكن امام عينه الا الذهاب  
الى المدرسة ليجهدي دروسه بها حتى اذا حان وقت تميمه لها وهو ما ينتظره  
بفروغ صبر واشتغل بما يبلغه شأوا أولئك الابطال أو هؤلاء الرجال الذين  
سعدوا بجدهم واجتهادهم وسعدت بهم أمتهم وبلادهم وضربت بهم الامثال التي  
كان يسمع عبارتها الرقيقة من أمه وقد أعاد خبرهم عليه معلومه بطريقة  
أجلى وأحلى . هنالك يجد له سبيلا الى غايته وسعادته يضمن له خيره وخير  
أمته ولم يلبث ان يصل اليه بحزمه وعزمه وقوة ارادته غير مكترث بما  
يصادفه من تلك الصعوبات التي تقوم في سبيله لانه تعود من صغره على المهمة  
في كل مهمة .

أما عندنا فالتربية الاولى معدومة وياليتها معدومة فقط بل ترى الطفل  
كما لا يخفى على علمك اذا ولد وكان ذكرا دعوه بالاشي غالبا ووضعته أمه من  
قاعها في ركن أمين وحصن حصين لاتقع عليه عين سواها ولا تمسه يد غيرها  
أو مرضعه فيكبر ويكاد لا ترى جسمه شمس ولا يصل الى هيكله هواء خوفا  
عليه من عين حاسديكون من ورائها هلاكه على زعمها وهي لا تدري أن الذي  
هو فيه انما هو الهلاك المقيم . فاذا قضى مدة الرضاع وهو يتقلب على سرير  
الامراض والاوراجاع وقد تمددت معدته وارتخت أمعاؤه من كثرة ما يلقى اليها

من الغذاء المختلف ولا قدرة له على هضمه واستولى على بنيتة الضعف والحمول وودب  
فيها المرض العضال الذي يلزمه في الغالب من مهده الى لحده كثرت آلامه وعلا  
صياحه . وزاد عويله وصراخه . فعوضا عن ان تستدعى له بطبيب يداويه .  
ويتدارك ما وقع هذا المسكين فيه . فانها تفتكر انه يبكي لاشيء وهناك تثير عليه  
زوابع الزبابع . وتحيطه بسور من البعابع . بحال يضطرب لهالبه . ويجمد قلبه .  
فيذهل عما هو فيه ويتخيل بصره مادهم سمعه من عبارات تلك العفاريت أو  
عفاريت تلك العبارات التي يتصور أنه يشاهدها عيانا وقد انهالت عليه بخيلها  
ورجلها فيرى كأن هذا قد امتدت يداها لالتهامه . وذلك قد فتح فاه لالتقامه .  
وغيرهما قد ظهر امامه بسحنة ممسوخة . وجرّ دعليه رجله المسلوخة . مهدد آله  
بأن يقطع صريخه . فيسكت الولد المسكين مرة واحدة وقد جمدهم وبرد جسمه  
من الهلع والخوف . وأمه أو مرضعه فرحة طربة لانها وصلت بخلاها وسوء تبصرها  
الى غايتها التي تريد فيسكن جأشها ويهدأ روعها بسكوتة الذي يحسن سكوتها عليه .  
وهي لو علمت ما اعتراه من سوء تصرفها في أمره لاستعاضت عويله بعويلها  
وصراخه بصراخها ولكنها هو الجهل الذي هو من أكبر آفات المرأة الشرقية  
(وحسبنا الله ونعم الوكيل) .

فاذا ترعرع وابتدأ يتلفظ بعض كلمات في سن الرابعة أو الخامسة فانما  
يبدأ بسب أبويه مما يعلمانه من الشتائم أو يسمعه على الدوام منهما لبعضهما فما  
هو الآن يصل صوته بسمعهما حتى يفرحانه فرحا شديدا كأنه أتى اليهما بما  
يسر خاطر ويفرح السامع والناظر . فينشأ على قول كل قبيح وليس امامه  
من وازع أو رادع . وان جمع به جواد عناده يوما هدداه بكر اهتماله وميلهما  
الى أخيه الا صغر ويتوعدانه بأنهما سيشتريان لهذا وحده من اللعب ما ينشرح

به صدره وتقر له عينه وحقيقة فانهما يتخفان على الدوام أحد بنينهما بما يحرمان  
منه الآخرين ولا يزالان يستعملان هذه الطريقة العوجاء في تقويم صغارهما  
تارة يتظاهران بالليل الى هـذا مع كراهة الثاني وأخري بالعكس غير عالين  
بما يقع في قلوب ابناهما لبعضهم من الحسد والكراهة والبغضاء التي تنمو فيهم  
مع نمو أجسامهم ويكون من ورائها النفرة والشحناء والعداوة فيما بينهم على  
الدوام وان أردت البرهان فعليك بجلسات المحاكم الاهلية تجد فيها من عقوق  
الآباء وقطيعة الاخاء . ما تنفطر له قلوب العقلاء .

فاذا شب وسلم زمامه الى هؤلاء الخدمة الذين هم أسوأ حالا وأضل  
سيلا أبرزوا منه ضمير تلك القبائح وهائيك الرذائل الى حيز العمل وهنالك  
الطامة الكبرى حيث لا دواء ينجع ولا نصيحة تنفع . فاذا جاء سن المدرسة  
وهو في الغالب سن العاشرة ذهب اليها بتكلف ومضى زمنه فيها بين  
تذمر وتأفف . فيقضى زمنه على ما تراه الآن بين توجه اليها وجيئة منها مع  
ما تعلمه من حرية التعليم فيها الآن الى أن يتم بها زمنه المضروب . ووقته  
المحسوب . فان ساعده حظه وحصل على الشهادة الدراسية كبر عناده وكمل  
فساده وانتفخت أوداجه وزاد لجأجه وادعى دعوته بأنه أتم العلم ووصل الى  
الحد الكمالى من الحكمة والحزم . وطلب الى أبيه الاستخدام والانخراط في  
سلك الحكام . وما هو الا ملييه في فكرته وساع وراء انفاذ ارادته . فان نجح في  
مسعاه . كان في ذلك منتهى سعادته . على ما يراه . وان خاب وهو الاكثر  
حصولا كان ابنه طول حياته عالة على قفاه .

هذه هي الطريقة الغالبة في تربية الابناء في بلادنا وما نراه بخلاف ذلك منها  
فهو من الشاذ النادر .

أما تربية البنات في أوروبا فانهم يعلمونهن بعد مدرسة أمهاتهن المنزلية العلوم الابتدائية على الاقل فيأخذن بذلك من كل علم طرفاً ثم يعلمونهن على الخصوص التدبير الاهلي والاقتصاد المنزلي ومعرفة تربية البنين والبنات وما يمكن أن تحتاج اليه المرأة من تفصيل أو تطريز أو طبخ وبالجملة ما لا بد منه في دائرة منزلها . حتى اذا تزوجت وكان بعلمها في مزاوله ما يقوم بحياتها وأولادها خارج المنزل كانت هي داخله تؤدي وظيفتها بما يكفل راحة الرجل اذا قصده بعد عمله مع مراعاة أطفالها على ما يضمن لهم حسن الحال وسعادة المستقبل . وناهيك بهذه الوظيفة فانها ان لم تكن أكثر أهمية من وظيفة الرجل في الخارج فهي لا تقل عنها .

أما عندنا فترية البنات أسوأ حالا واتمس مآلا من تربية البنين وهي على ثلاثة أقسام : الاولى التربية السفلى وهي حيوانية صرفه بل هذه قد تكون أرقى منها بكثير لانك ترى انشى الحيوان تنظف صغيرها أبدا . أما الام من تلك الطبقة فانها توسخ ولدها عمدا خوفا عليه من شر حاسد . حتى أنها لو وجدت قذى في عينه فانها لا تزيله لهذه الغاية وهو لا يزول من نفسه الا بزوالهما معه . ولذلك فان العميان في مصر أكثر منهم في أوروبا بأكملها ان لم أقل في الدنيا بأسرها . (أكثر هنا على نسبة أفضل من قول القائل « السيف أفضل من العصا » لاني لم أر أعشى قط مدة سياحتي بأوروبا) .

الثانية التربية الوسطى أو القديمة وهي التي يتغالى أربابها في الحجر على حرية البنات وحجبهن عن كل عين تراهن فينشأن بين زوايا بيوتهن اسوة الخاديات حتى يأتي زمن زواجهن فيخرجن من بيوتهن في صورة أمهاتهن تماما معرفة وأخلاقا الى بيوت أزواجهن كالألة انتقلت من مكان الى آخر

فتصبح سيدة بيت لا يمكنها أن تقوم بإدارته لأنهم معدومة الإدارة والارادة  
غير عالمة بشيء مما ينبغي أن يعمل نحو واجبات منزلها الجديد ولكنها على كل  
حال تكون في طاعة زوجها تأتمر بأوامره وتنتهي بنواهيها فان كانت على شيء  
من الذكاء والتؤدة والتبصر تعلمت على ممر الايام ما يوافق مشرب بعلمها صحيحا  
كان أو معتلا لا ما يجب أن تكون عليه هي بصفتها ربة منزل عليها واجبات نحوه .  
القسم الثالث وهي التربية الحديثة أو المالية التي يسمونها بالتربية الافرنكية  
(في ظاهرها لا في حقيقتها) لولا أنها تمتاز عنها بهذا الحجاب الشفاف الذي ترى من  
خلاله فساد الاخلاق التي تسفر عن كل ضلالة وجهالة : وذلك ان البنت  
تتربى على مبادئ فاسدة بالمرّة فانها من يوم ولادتها يلقى بها الى ما بين أيدي  
المراضع والخادمت اللواتي يشحن أفكارها بالخرافات والانهات والباطيل  
والخزعبلات والطامة الكبرى هو ما يتخلل أحاديثهن من الكلام البذيء الذي  
ينطبع في مرآة عقلها وتسرع صورته الى لسانها . فاذا نشأت وأخذت  
مجلسها الذي لا يخلو ساعة ما من دلالة أو بلاغة أو خياطة أو من تلك النسوة  
اللاتي يدخلن البيوت لممازجة رباتها وممازحتهن ولا شاغل لهن ولا شغلة الا  
الكلام الذي يحمرّ له وجه الادب وتبرأ منه الانسانية عرفت كيف يعلمنها  
النفاق . وسوء الاخلاق . والسرف والكذب والهديان .  
ومن هذا القسم من يتعلم مبادئ الكتابة والقراءة وغالبا ما ترى بين أيديهن  
شيئا من تلك الكتب التي يضحكن وقت تلاوتها وتبكي لها عين الكمال . فاذا  
وافت ساعة زفافهن ودخلن مساكن بعولتهن لا ترى في صورهن الا الكبرياء  
والعظمة والاسراف وسوء التدبير والوقاحة والامر والنهي بما لا يستلزم معروفًا  
أو يزرح منكرًا أو يقوم بصالح أو يصلح من فاسد مما يرتبك معه حال زوجها



وتكون معه حال بنيتها أسوأ وأضل سييلا .  
نعم قد يوجد من القسمين الأخيرين من تربي على طريقة تضمن بعض  
الراحة والسعادة ولكن ذاك من النواذر التي لا تصلح معها حال الأمة تمامها  
وخصوصا هؤلاء البنين الذين عليهم كل المستقبل .  
فالبنات عندنا في نظر كل بصير أسوأ حالا منهن في أيام الجاهلية ونحن  
أكبر جرما من آباهن الذين كانوا يشدونهن من غير ما ذنب سوى ما ربما  
ينالهن منهن من عار موهوم حتى باكتهم الله تعالى في كتابه العزيز بقوله (وإذا  
الموودة سئلت بأي ذنب قتلت) وكيف وقد كانوا يقتلونهن أجساما . ونحن  
نقتلن أحلاما . ولا يعزب عن فكرك ان الانسان إنما هو هذا العقل وتلك  
الفضيلة اللذان أمتناهما فيهن وأمتنا معهما خلقا كثيرا من بنين ظلما وعدوانا  
ولا حول ولا قوة الا بالله .

فاذا كان المصريون يفتنون الى واجب التربية في البنين وخصوصا في  
البنات لم يلبثوا أن يروا من بعدهم أمة تعرف ما يجب لها وعليها يكون لها من المجد  
والعزة والرفعة والسعادة ما فاتنا منها والله هو الهادي الى الصراط المستقيم .  
أما تربية البنين فلا بد أن لا تقتصر فيها على التربية العلمية التي اذا قلنا انها  
تربي الفطنة والذكاء وتحصل من العلوم والفنون شيئا يساعدهم على تحرير جواب  
أو قراءة جرنال أو حل رموز بسيطة من المسائل الحسابية أو الهندسية أو تفاهم  
ضعيف باحدى اللغات الاجنبية مما قد يكون لنا منه الكفاية في تعاليمهم المدرسية  
ولكننا مع ذلك يلزمنا أن لا نهمل نفوسهم تنمو على الرذائل وعدم التحلي  
بالفضائل بل يجب على الآباء أنفسهم أن يباشروا هذا الدرس المهم الذي ليس له في  
التربية المدرسية الحالية نصيب يدعو الى تهذيب النفوس وتكميل الاخلاق

والاكتانت التربية العلمية في أيديهم آلة للشرب يكون من ورائها الفساد والعار  
والهلاك والدمار ونكون بها بمثابة المستغيث من الرمضاء بالنار .

أما تربية البنات فقد بحث فيها القوم أخيراً بحثاً كثيراً . وامتضوا  
في هذا السبيل زمناً كبيراً . بين ابراز فكر محبوب . وابداء رأى مكتوب .  
ودعوة للامة برفع حجاب مضروب . يكون من ورائه الخير المطلوب .  
وأول من اقترح تربية المرأة المصرية في جميع شؤونها واستنزم معها رفع الحجاب .  
هو ذلك الفاضل الكامل أحد رجال الشبيبة المصرية حضرة قاسم بك أمين فما  
هو الا أن وضع أولاً كتابه ( تحرير المرأة ) ثم ( المرأة الجديدة ) حتى قامت  
عليه ثورة الكتاب بين قادح ومادح وناقم ومستسلم ومفند ومنتقد وكان كل  
بجهم من كتابيه فيما يختص بأمر الحجاب الذي لم يوافق عليه سوى نفر قليل .  
وذهبت بذلك مسألة تربية المرأة ادراج الرياح .

وحيث اننا قد اختلفنا في هذا الامر البين ( كما دتنا في كل شيء ) فاني بقطع النظر  
عما أعتقد من ضرورة الحجاب أطلب اليكم تربية الاتي بأى حال ترغبون .  
مع العلم بان التربية شيء ورفع الحجاب شيء آخر لا يتوقف احدهما على الثاني .  
على انا اذا نظرنا الى ان الحجاب كاد يكون غريزة في المرأة المسلمة وطبعاً  
في المرأة القبطية أو بعبارة أخرى انه منهما بمثابة عضو من أعضاء جسميهما  
لشدة اعتقاد الاولى بضرورته الشرعية وتعود الثانية عليه نرى أن رفعه  
( بفرض انه من الممكن حصوله ) يكون ضرره اكثر من نفعه . ان لم أقل انه ضرر  
محض . لانا اذا اعتبرنا أن الغاية منه انما هي اجتماع الاتي بالرجل حتى تتعلم منه  
مالم تكن تعلم وتعرف مالم تكن تعرف وسلمنا ذلك من غير ما نزاع ولا جدال  
فما علينا الا أن نبحث في ذلك الرجل الذي سيكون اختلاطها به وجامعتها عليه

نجده هو بعينه هذا الذي نطلب على الدوام وننادي في كل ساعة بل وفي كل  
ثانية بوجوب حسن تربيته الناقصة بل الساقطة . ولا شك أنها لو اجتمعت به  
تعلمت منه رذائل ما كانت تعرفها من قبل . وبذلك نكون انما وضعنا  
فيها هذه النقائص مكان تلك الكمالات التي ندعو بها اليها . وعدا هذا فانها  
تفقد أيضا ما هو ثابت فيها من الفضيلة الوحيدة التي لا تحمد الآن إلا عليها  
ألا وهي فضيلة الحياء . ونكون نحن بدعوتنا الى رفع الحجاب على هذا  
الحال القينا بها الى أيدي أدواء عضالة من حيث نريد لها الصحة والعافية .

نعم قد يوجد منابض من تحلى بحلمية الآداب ومنهم من القائلين برفع الحجاب .  
ولكنهم قليلون في جانب ذلك الكثير الذين يكادون أن لا يعرفوا من  
الحروف الهجائية ما يتركب الأدب منها . فاذا قلنا بقصر المرأة في رفع حجابها  
على الطرف الاول ( وأنى لجميع أفرادها ذلك ) وحصرها في تلك الدائرة  
الصغيرة الضيقة التي انما نقر بمسئلتنا منها الى ما هو أكبر وأوسع يكون معها  
كمال حريتها . ظهر لنا أن المسئلة قاصرة على بعض الافراد لا يكون معها  
خير كل الامة التي انما نبحث في ترقية شؤونها بين جميع افرادها على السواء .  
على أنالو بحثنا في مسئلة الحجاب وجدناه يتعلق بشخص المرأة وحدها .

والتكلم فيه ليس من خصوصياتنا وانما هو من حقوقها الذاتية التي لا يصح  
بنا الاعتداء عليها فيها . واذا فما علينا الا أن نهتم بكمال تعليمها وحسن تربيتها على  
القواعد الدينية الصحيحة حتى اذا وصلت الى الدرجة التي تمكنها من معرفة حقيقة  
ما يجب لها وعليها رفعته عنها ان شاءت أو أبقته ووضعت عليه غيره ان أرادت  
وهذه هي نفس الحرية التي ننشدها لها ونرجوها اليها .

فمن يري ان الحجاب في شيء من الدين فليرب ابنته معه على ما يكفل

سعادتها وسعادة بعلمها وسعادة أولادها مهمما .

ومن يرى انه لم يكن من الدين في شيء فليربها على ما يشاء منه ويختار .  
ومن يذهب الى وجوب تعليمها الكتابة والقراءة فعنده من كتب الآداب  
الشرعية والعلوم الضرورية ما يكون معها خيرا وكما لها وسعادتها . ومن يذهب  
الى وجوب عدم معرفتها ذلك فليربها تربية الاعمي بالتلقين الشفاهي . ويجعلها على  
الدوام منه في مكان المتعظ جاعلا نفسه منها في مكان الواعظ الذي يقوم النفوس  
بمؤثر عباراته ويعمل كلامه بالالباب مالا تعلمه الاقلام والكتّاب . وعلى كل  
حال فانه لو جمع تلك الآداب التي من الضروري معرفتها لياها من واجباتها نحو  
دينها ونفسها وبعلمها وبنيتها ومنزلها وواجباتها نحو أهلها وأهلها وواجباتها نحو  
الهيئة العمومية فانها لا تكاد تكون بقدر جزء أو جزءين من هذا الكتاب العزيز  
الذي يحفظه كله أغلب عمياننا عن ظهر قلب في سنة أو سنتين على الأكثر .  
فاذا قام كل فرد من أفراد الأمة بتربية بناته تربية حسنة على ما يراه  
موافقا لمصلحتها لم تلبث الأمة ان ترى في هذا الميدان تلك التربية الفاضلة  
الفاصلة التي أحرزت فيه قصب السبق فمتبعها من نفسها ويكون من وراء ذلك  
كله خير العباد والبلاد .

أما اذا أضعنا زمننا بين أخذ ورد وارشاد وانتقاد لم يكن لنا غرض منه  
الا مجرد السمعة والشهرة فذاك شيء لا ينتهي مادامت الاقلام والمخابر . ونكون  
أضعنا معه الفائدة المطلوبة الآن كما أضعناها في الغابر . والله تعالى يرشدنا الى  
طريق الخير والسعادة والكمال .



# فهرست

صحيفة

- ١ اهداء الكتاب
- ٢ المقدمة
- ٥ على ظهر البحر من الاسكندرية الى تريستا : وصف البحر . واقعة ناغارين . محادثة خيالية مع رئيس الدونمة العثمانية التي غرقت بمياه ناغارين . وصف ناغارين . جزيرة زنتا . جزيرة كفالونيا . جزيرة اثاكا . جزيرة كورفو . بحر الادرياتيك . سراب البحر . وصف محل الكورنتينا بتريستا
- ١٧ تريستا
- ١٩ الطريق من تريستا الى فينا
- ٢٠ السمرنج
- ٢٢ نبذة تاريخية عن محاصرة الاتراك لفينا
- ٢٣ الوصول الى محطة فينا . احتفال النمساويين بمقدم الجناب العالي الخديوي . مرور فرق العساكر المتقاعدين بفينا
- ٢٥ وصف مدينة فينا . تعصب النمساويين للفتح . المعامل التي تديرها قوة تيار الماء
- ٢٩ رياضة في احدى منتزهات فينا
- ٣٠ فينسيا في فينا

- ٣٢ الموسيقى والتياترات والتمثيل بفينا . تياترو الاوبرا بها
- ٣٥ استبداد في أوروبا
- ٣٧ متحف الصنائع والفنون الجميلة . انتكخانة التاريخ الطبيعي . الانتكخانة التجارية بفينا . الغرض من وضع الانتكخانات
- ٤٨ المعرض المصري في فينا
- ٥٠ سراى شونبرون
- ٥٢ الاخلاق في فينا
- ٥٣ الفلاح النمساوى في فينا
- ٥٤ من فينا الى كولونيا . ترويج الحكومات الاوربية لبضائعهم
- ٥٥ مدينة كولونيا . وصف الالمانيين بها
- ٥٨ محل الزهرة بكولونيا
- ٦١ وصف مدينة انقرس وشئ من تاريخها
- ٦٥ مدينة بروكسيل وشئ من تاريخها
- ٦٧ انتكخانة الصنائع والفنون الجميلة في بروكسيل
- ٧٠ بستان النباتات في بروكسيل
- ٧١ قصر العدالة أو نظارة الحقانية في بروكسيل
- ٧٢ ميدان واقعة واترلو
- ٧٥ سياحة تحت الارض ( ووصف معادن الفحم الحجري )
- ٧٩ مغارة هان
- ٨٦ نبذة تاريخية عن حكومة البلجيك

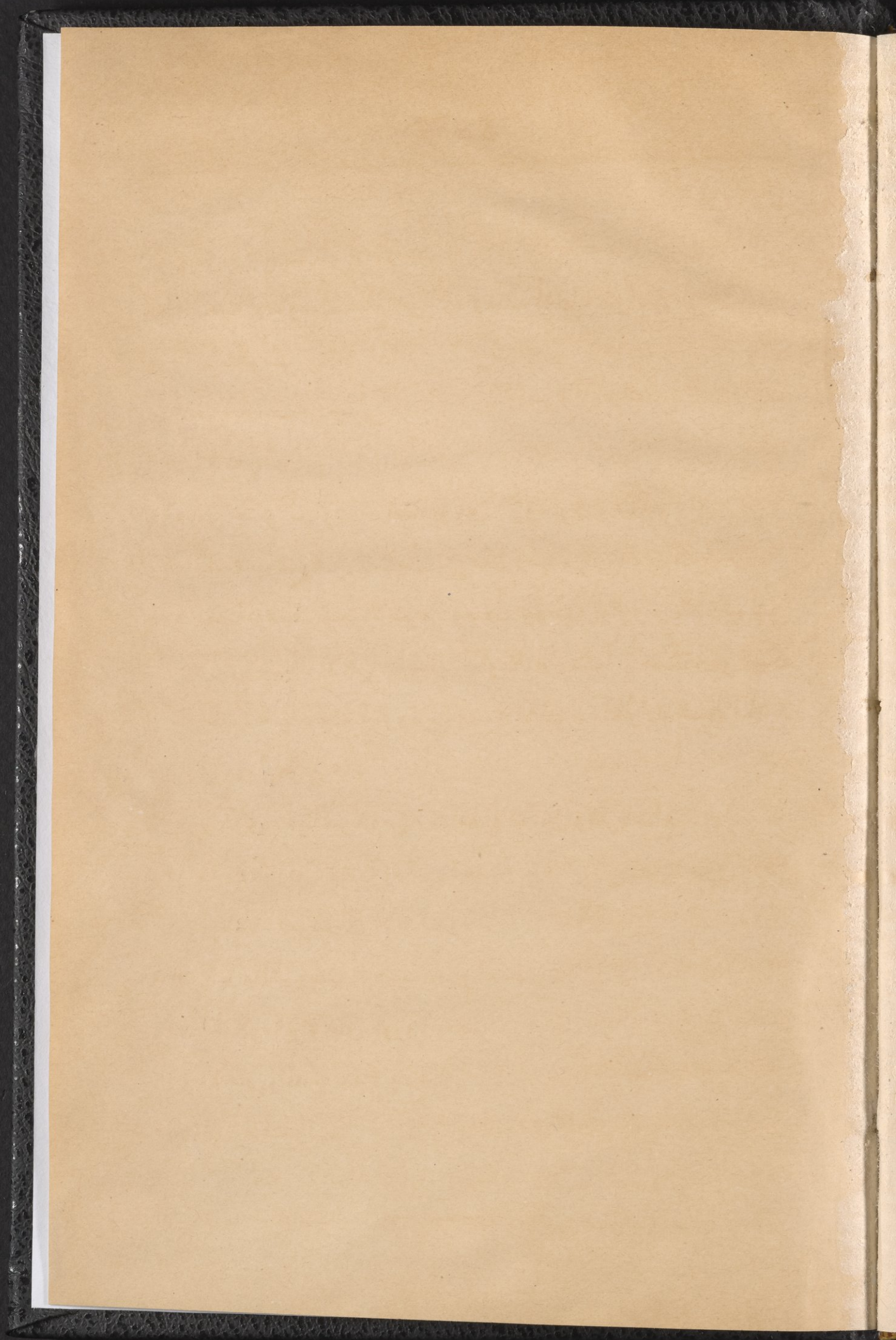
صحيفة

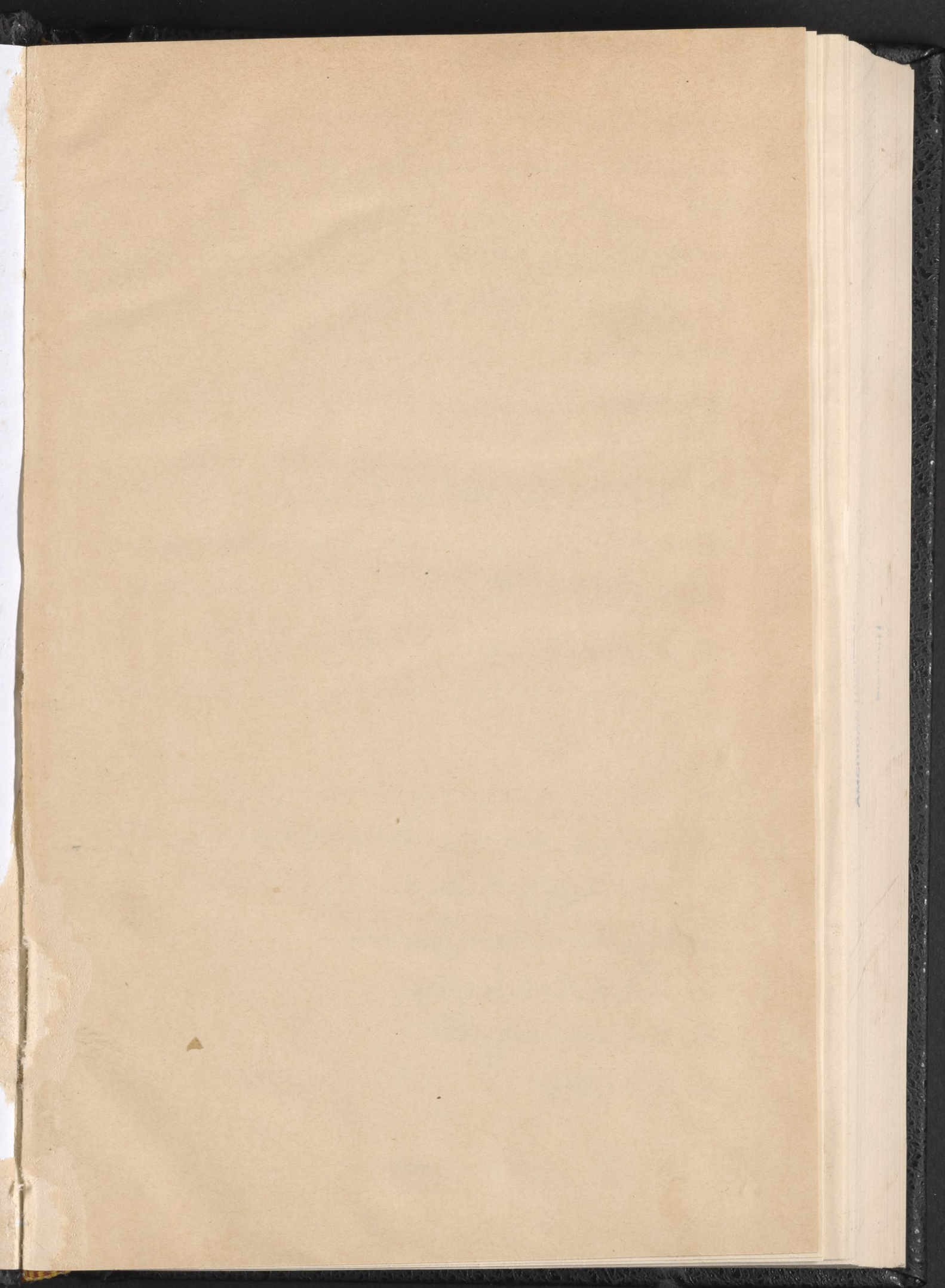
- ٨٩ من بروكسيل الى باريس
- ٩١ معرض باريس العام لسنة ١٩٠٠
- ٩٢ القسم الاول . القصر الكبير . القصر الصغير . معرض التركستان الروسية .  
محل مستعمرة كندا . محل اليابان . محل جزيرة سيلان . آلة بلجيكية  
لتنقية الذهب . منازل البوير
- ١٠٤ قصر الصناعات الاجنبية . قصر الصناعات الفرنسية
- ١٠٥ قلب المعرض . ومعارض الدول . برج ايفل
- ١٠٧ محل السفر حول الارض
- ١٠٩ قصر النظارات
- ١١١ قصر النور
- ١١٢ معرض الآلات
- ١١٥ معرض الآلات البخارية
- ١١٩ معرض آلات الغزل
- ١٢١ معرض الآلات الحربية
- ١٢٢ أعياد المعرض
- ١٢٤ كلمة على المعرض
- ١٢٦ كلمة على باريس . وصف المدينة ومبلغ عمرانها وعلمها . وصف غابة  
بولونيا . آداب القوم وأخلاقهم . متحف اللوفر . فرساي وسرايها  
الملوكية
- ١٣٤ شئ من تاريخ سويسرا . ديفون وحماماتها الصحية . بحيرة جنيف . بلاد



- سويسرا ووصف السويسريين
- ١٤٠ مدينة جنيف ووصفها . العر بجية في جنيف والمعارف بصر . نظام  
المدارس وأعياد التلامذة
- ١٤٥ نزهة في بحيرة جنيف
- ١٤٨ من جنيف الى زرمات . وصف الطريق اليها . نهر فيسج . جبل جر نار جرات .  
بريج . الطريق منها الى جلاسييه دي رون . وصف الجلاسييه
- ١٥٦ من جلاسييه الرون الى هاندك . نهر الآر ومقابلته بنهر ايرلنباخ  
ووصف منظر شلال النهرين ومنظره العجيب .
- ١٦١ من جلاسييه الرون الى اندرمات .
- ١٦٣ من اندرمات الى جوشن
- ١٦٤ نفق سان جوتار
- ١٦٧ من اندرمات الى ايلنس
- ١٧٢ منظر تكوين السحاب
- ١٧٥ مدينة كوار ومنها الى فينا
- ١٧٧ من فينا الى بودابست
- ١٧٨ مدينة بودابست
- ١٨٠ مدينة بودا
- ١٨٣ مدينة بست . مبلغ عمراتها . وصف المجريين . تعلق المجريين بالعثمانيين .  
آمال المجريين وشئ من تاريخهم .
- ١٩٠ حديث في بودامع رجل من أهالي البوسنه

- ١٩٤ من بودابست الى بخارست  
١٩٨ مدينة بخارست . مبلغ عمرانها . وصف أهلها . شئ من تاريخها .  
٢٠٤ الاسكوبتس  
٢١٥ من بخارست الى چاسى  
٢١٨ مدينة چاسى  
٢١٩ من چاسى الى أودسا . محطة أوجين . الروسيون وهياتهم .  
٢٢٠ مدينة چوشنوف . استقبال حكومة روسيا للجناب العالى الخديوي بها .  
٢٢١ مدينة أودسا . البحر الاسود . وصف الروسيين والروسيات . البوليس  
في روسيا . الاغراب فيها . حكومة روسيا . مستخدمو السكة  
الحديدية بها . جنديت روسيا . مدينة غالتس . قطارات السكة الحديد  
في رومانيا وغيرها .  
٢٣٠ برندزى . ميناسرندوس . شهامة الالبانيين والقره ضاغ .  
٢٣٥ مدينة كورفو . مدينة بتراس . مدينة بيرا . اليونانيون وحالتهم فى بلادهم  
وبلادنا . العودة الى الاسكندرية .  
٢٣٨ التبغ والمشروبات الروحية بأوروبا ومصر .  
٢٤١ الحكومة والاهالى بأوروبا ومصر  
٢٤٦ الاهالى والمدنية عندهم وعندنا  
٢٥٣ التربية فينا وفيهم







- 9 FEB 2009



